الخُطَبُ المِنبَرِيَّة مِنَ المَسجِدِ النَّبَوِي

تأليف
د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجُزءُ الثَّانِي

الخُطَبُ المِنْبَرِيَّة

مِنَ

المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

ح عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

الخطب المنبرية من المسجد النبوي (الجزء الثَّاني)./ عبد المحسن بن محمد القاسم - ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ٥١٢، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٩-٩٧٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ـ خطبة الجمعة أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/٤٥٨٨

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٤٥٨٨

ردمك: ٩-٩٧٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م

الخطب المنبرية
من
المسجد النبوي

تأليف
د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الثاني

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:
a-alqasim.com/khotab/

الباب الثَّالِث

الإيمانُ بالرُّسل

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : الأنبياء.

الفصل الثَّاني : نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ.

الفصل الأوَّل

الأَنْبِيَاءُ

الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ(١)

الحمد للَّه المتوَحِّدِ بالعَظَمَةِ والجَلَال، المُتَّصِفِ بصفاتِ الكمال، المُنزَّهِ عن الأَشْبَاهِ والأَمْثَال، أَحْمَدُه سبحانه وأَشْكُرُه شُكْراً يَزِيدُ النِّعَم ويَحْفَظُهَا من الزَّوال.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، الكبيرُ المُتَعَال.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه كريمُ المزايا وشريفُ الخِصال، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصَحْبِه خيرِ صَحْبٍ وآل، ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ المآل.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه وَقَاه، ومَنْ أَقْبَلَ إليه أعانه وهداه، ومَنْ شَكَرَه زاده وأرضاه.

أيُّها المسلمون:

لقد بعث اللَّه الرُّسُل حين استند كلُّ قومٍ إلى ظُلَمِ آرائِهِم وأباطيل ضلالاتِهِم، فهدى اللَّهُ بهم الخلائقَ، وأَوْضَحَ بهم الطَّرائق، ولا سبيلَ إلى السَّعادة والفلاح إلَّا على أيديهم، ولا يُنال رضا اللَّه إلَّا باتباعهم.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والإيمانُ بهم أصلٌ من أُصولِ الإيمان، نُؤْمنُ بهم إِجْمَالاً على الإِجمال، وتَفْصيلاً على التَّفصيل.

حَمَلُوا ميزانَ العَدْل والقِسْط، ذَكَرَ اللَّه في كتابِه منهم خمسةً وعشرين نبيّاً ورسولاً؛ قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمِ المُرْسَلُونَ؟ قَالَ: **ثَلَاثُ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمّاً غَفِيراً**» (رواه أحمد).

رَكْبٌ مُتواصلٌ بالهدى والنُّور، يُبَشِّر المُتقدِّمُ منهم بالمُتأخِّر، ويُصدِّق المُتأخِّرُ المُتقدِّم، ازدانوا بِفَصَاحةِ لُغَتهم وعُلوِّ عبارتهم، وكمالِ شَفَقَتِهِم على أُمَمِهِم ولُطْفِهِم ورَحْمَتِهِم، أَنْسَابُهُم كَرِيمةٌ وأُصُولُهُم شَرِيفةٌ، خَلَقهم اللَّهُ على غايةٍ من الكمال والجمال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾.

أيُّها المسلمون:

إخلاصُ العملِ للَّه وخُلوصُ النِّيَّةِ له وصوابُه أصلٌ في قَبول الطَّاعات، والمُرْسَلُون أشدُّ النَّاس سعياً إلى تحقيق الإخلاص للمعبود: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، وكَسْبُ المال الحلال للدَّاعِيَة وتَوَارِيه عن الشُّبُهات والمُحرَّمات أَرْجَى للقَبولِ وأَنْفَذُ إلى القُلوب، لِذَا سَعَى الأنبياءُ إلى طِيبِ مَكْسَبِهِم؛ فكان داودُ لا يأكلُ إلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِه، وكان زَكَريَّا نجَّاراً، وما من نبيٍّ إلَّا ورَعَى الغنم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾.

أيُّها المسلمون:

الطَّيِّبُ من الأعمال والأقوال والأخلاق هَدْيُهم، وما شرعوه هو الميزان الذي توزن به الأخلاق والأعمال، هم أَبرُّ النَّاس قُلوباً

وأَعْمَقُهم عِلْماً وأَوْسَعُهم حِلْماً، صِفَاتُهم حَمِيدَة وأَخْلاقُهم مجيدة؛ برٌّ بالوالدين؛ يقول اللَّه تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، وصِدْقٌ في الوعد: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾، حِلْمٌ وأَناةٌ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾، مَحْفُوفٌ ذلك بِكَرَمٍ وسَخَاء؛ رَاغَ إبراهيمُ إلى أهلِه فَجاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ حَنِيذٍ وقدَّمَه لثلاثة أضياف، وسأل رجلٌ رسول اللَّه ﷺ مالاً فأعطاه قَطِيعاً من الغنم بين جبلين، عِفَّة ونزاهة: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾، حِفْظٌ للجميل ووفاءٌ لمعروف الآخرين: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ أي: سيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، يَعْفُون عن المسيئين، ويصفحون عن المعتدين: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، وقال رسول اللَّه ﷺ لِزُعَماء قريش لمَّا فتح مكَّة: «**اذْهَبُوا؛ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»، مَيَّزهم اللَّه بالعقول التَّامَّةِ والأفهامِ الكاملةِ والعلومِ الوافرة: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾، تواضعُهم جمٌّ؛ كان أفضلهم ﷺ يَحْلِبُ شاته ويَخدمُ نفسَه ويَخْصِفُ نعلَه.

أيُّها المسلمون:

الجنَّةُ لا تُنالُ إلَّا بالصَّبر: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾، وعند تلاطمِ المِحَن واشتداد الحال يتميَّزُ الرِّجال وَيَنْصَعُ الإيمان، وقد لقي الأنبياء من مخالفيهم الأنكالَ والأهوال؛ تنقَّصوهم وتَوَعَّدوهم، ونالوا منهم وبالغوا في أذيتهم.

تطاولَ الزَّمانُ والمُجادلةُ بين نوحٍ وقومه ألف سنة إلَّا خمسين

عاماً، وبُعِث لوطٌ إلى قومٍ يقطعون الطَّريقَ، ويخونون الرَّفيق، ويرتكبون المُنْكَرَات في مَجالِسِهم، ولا يَسْتَحْيُونَ من مُجَالِسِهِم، ومَضْرِب مَثَلِ الصَّبرِ أيوب؛ ابْتُلِيَ في جسده بأنواع من البلاء وطَال مَرَضُهُ حتَّى عَافَه الجَلِيس، وأَوْحَشَ منه الأَنِيس؛ فازداد صبراً وحَمْداً وشُكْراً واحْتِسَاباً، وأَدْمَوُا النَّبيَّ ﷺ في غزوة أُحُدٍ وكَسَرُوا رَبَاعِيته، وتُوفِّي للنَّبيِّ ﷺ في حياته ستةٌ من أولاده، وحَزِنَ قلبُه ورَقَّ فؤادُه ودَمَعَتْ عينه، وقُتِل منهم من قُتِل، قال اللَّه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

الأنبياءُ أشدُّ الناسِ بلاءً وأعظمُهُم صبراً؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**» (رواه النسائي).

أيُّها المسلمون:

إذا حقَّق العبدُ التَّوكُّلَ على اللَّه، وفوَّضَ الأمرَ إليه، ولم يُخِلَّ بالأسباب؛ أتاه الفَرَج من السَّماء؛ وُضِعَ الخليلُ عليه السلام في كِفَّة المَنْجَنِيقِ مُقيَّداً مَكْتُوفاً، ثمَّ أُلْقِيَ في النَّار؛ فلم يَزِد على قوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، فجعلها اللَّهُ برداً وسلاماً، وخُوِّف رسولُ اللَّه ﷺ بكثرة الأعداء واجتماعهم، فقال: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ**»، ففرَّق اللَّهُ جَمْعَهم وأبطلَ مكرَهم.

وبالدُّعاء يَقْوَى الضَّعيفُ ويَفْرَحُ الحزين ويُستفتَحُ الفَرَجُ؛ نادى أيوبُ عليه السلام ربَّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فاستجاب له ربُّه فكشف ضُرَّه وآتاه أهلَه ومثلَهُم معهم، وزكريَّا بعد وَهْنِ عَظْمٍ منه

وَقُـرْبِ أجـلِـه نـادى ربَّـه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾، فاستجاب له ربُّه وَوَهَبَ له يحيى وأَصْلَحَ له زوجَه.

أيُّها المسلمون:

تمامُ السَّعادة بصلاح الأبناء؛ فهُمُ النَّسَبُ الباقي والعمرُ الثاني، ومع ما لاقاه رسلُ اللَّه من المشاقِّ وسوء الطِّباع من أقوامهم، فإنَّ ذلك لم يَشْغَلْهم عن اهتمامهم بإصلاح أهليهم، دعا إبراهيمُ ابنَه إِسماعيلَ لِرَفعِ قواعدِ البيت معه، وكان إِسماعيلُ يأمرُ أهلَه بالصَّلاة والزَّكاة، وكان زكريَّا وأهلُ بيته يدعون ربَّهم رغَباً ورهَباً وكانوا له خاشعين.

عبادَ اللَّه:

كثرةُ العبادة دليلٌ على صِدْق التَّوجُّهِ إلى اللَّه، كان إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَانِتاً للَّه، وكان داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصومُ يوماً ويُفْطِرُ يوماً، وكان رسولنا ﷺ يقومُ من اللَّيلِ حتى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاه.

فعلى المسلمِ أَنْ يهتديَ بِهَدْيِهِم ويَتَأَسَّى بِصَبْرِهِم ويَتَّصِفَ بنَبيلِ خِلالِهِم؛ لِيَلْحَقَ بِرَكْبِهِم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه حَمْداً كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأُولى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالرَّحْمةِ والهدى، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصَحبه ومَنْ سار على هديهِم واقتفى.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

خُلاصةُ الرِّسالات السَّماويَّة: الدَّعوةُ إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له، ونَبْذُ ما يُعْبَدُ من دونه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.

والأنبياءُ لا يُرْفَعُونَ فوق قَدْرِهم، ولا يُنْزَلُونَ دون منزلتهم، فهُمْ رُسلُ اللَّه وعَبيدُه، لا يُكَذَّبون ولا يُصْرَفُ لهم شيءٌ من أنواع العبادة؛ فلا يُدعون من دون اللَّه، ولا يُستعانُ بهم، ولا يُنذرُ ولا يُذبحُ لهم، ولا يُحلفُ بهم، ولا يُطلبُ منهم الشِّفاء.

يَعْتَرِيهم ما يعتري البَشَرُ؛ فقد خاف إبراهيمُ من أضيافِه حين امتنعوا من أكلِ الطَّعام، و«**نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ**» (متفق عليه)، ونَسِيَ النَّبيُّ ﷺ في صلاته، وقال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**» (متفق عليه)، وهُمْ يَأكُلُون

ويَشْرَبُون ويَجُوعُون، ويَحْزَنُون ويَبْكُون، ويَمْرَضُون ويَمُوتُون، يقول أبو الأنبياء عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، ويقول نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ لابنته: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِيْنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً**» (رواه البخاري).

فاللَّهُ سبحانه هو النَّافعُ الضَّارُّ، والأمرُ له وَحدَه؛ يُعطي ويَمنع، يُحيي ويُميت، يقول تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

نَبَيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ

دَلائِلُ النُّبُوَّةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عباد اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أرسل اللَّه الرُّسُل لهداية الخلق، يُكَمِّلون الفِطْرة بما معهم من نورِ الوحي، ويَدْعون إلى عبادة اللَّه ومحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، وحاجة العباد إلى الرُّسُلِ أعظم من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب والنَّفَس؛ إذْ لا سبيلَ إلى السَّعادةِ والفلاحِ ونَوَال رضا اللَّه البتَّة إلَّا على أيديهم.

واللَّهُ تعالى مُتَفرِّدٌ بالغِنى التَّامِّ، والقدرةِ الكاملة، والعلم المحيط، والرُّسل عليهم السلام بشرٌ لا يَمْلِكون من هذه الثَّلاثة إلَّا ما آتاهم اللَّه، قال اللَّه

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾، فاختصَّهم اللَّهُ من قدرتِه وعِلمِه ومُلْكِه بآياتٍ باهرة؛ ليظهر للعباد أنَّهم رُسُل اللَّه صادقون فيما أخبروا به، قال ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ» (متفق عليه).

فأَتى صالحُ عليه السلام قومَه بناقةٍ عظيمةٍ خرجت من صخرة.

وأُلقي إبراهيم عليه السلام في نارٍ عظيمةٍ؛ فلم تُؤْذِه.

وأُوتي موسى عليه السلام تسع آيات بَيِّنَاتٍ، وضَربَ البحر بعصا؛ فانْفَلَق فكان كلُّ فِرْقٍ كالجبل العظيم، وألقى عصاهُ فصارت ثعباناً عظيمَ الخِلقة.

وعُلِّم داودُ وسليمانُ عليهما السلام مَنْطِقَ الطَّير، وأُوتِيَا من كلِّ شيء.

وعيسى عليه السلام كان يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَص ويُحْيِي الموتى - بإذن اللَّه -، وتكلَّم في مَهْدِه فبرَّأَ أُمَّه ووحَّد ربَّه.

ومِنْ آياتِهم الشَّاهدة بصِدْقِهم: ما كانوا عليه من حُسنِ السِّيرة، واستقامةِ الخُلُق، وما فعله اللَّه بهم وبأتباعهم من النُّصرةِ وحُسنِ العاقبة، وما فعله بمكذِّبيهم ومخالِفيهم من الهلاك والعذاب.

وجَمَع اللَّهُ لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ أكثرَ وأعظمَ ممَّا جاء به الأنبياء عليهم السلام من الآيات، قال شيخُ الإسلام رحمه الله: «وَمُعْجِزَاتُهُ تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ مُعْجِزَةٍ، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا عِلْمٌ مَطْلُوبٌ بِالأَخْبَارِ المُتَوَاتِرَةِ إِلَّا وَالعِلْمُ

بِآيَاتِ الرَّسُولِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ أَظْهَرُ مِنْهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾».

فمن آيات نبُوَّتِهِ: بِشارةُ الأنبياء به قبلَ مَجيئِه، قال إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ﴾، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾.

ونَزَل إليه مَلَك وهو في صِبَاه فَشقَّ صدره، وانتزع ما فيه من حظِّ الشَّيطان.

وعَصَمهُ اللَّهُ قبل البِعثة من أمور الجاهلية ودَنَسِها، فلم تُرَ له عورةٌ، ولم يَمسَّ بيده صنماً، ولم يَشرب خَمْراً، أو يُبايعْ أحداً بمُحرَّم.

وزِيدَت حِراسة السَّماء بالشُّهب التي تُرْجَم بها الشَّياطين؛ حِفظاً لرسالته، قالت الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

ومنها ما كان في حياتِهِ وباقٍ إلى اليوم كالقرآن العظيم، والعلم والإيمان الذي حمَله أتباعه.

ومنها إخبارُه بما أَطْلَعَهُ اللَّهُ عليه من الحوادث الكثيرة السَّابقة والغيوب اللَّاحقة، إخباراً مفصَّلاً لا يَعْلَمُه أحد إلَّا بتعليم اللَّه عز وجل، قال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ﴾.

قصَّ علينا ممَّا مضى: نبأَ آدمَ وسجودِ الملائكة له، وإبليسَ واستكبارِه، وتفاصيلَ كثيرةً عجيبةً من قَصَصِ الأنبياء، وما اختلفت فيه الأُممُ قبلَنا، وخبرَ أصحابِ الكهف، وأصحابِ الفيل.

وتحدَّى اللَّهُ الخلقَ أَنْ يأتوا بسورةٍ من مثل القرآن؛ وأخبر أنَّهم لن يفعلوا ذلك إلى يوم القيامة، فلم يَسْتَطِعْ أحدٌ منهم ذلك، وقال عن الكفَّار - وهو مُستضعَفٌ بمكَّة -: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، وظَهر تصديقُ ذلك بَعد سنين طويلة، فأرى المسلمين مصارِعَ صَنَادِيدِ قريشٍ قبل يوم بدر، فقال: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، قَالَ - أَنَسٌ رضي الله عنه -: وَيَضَعُ يَدَهُ - أَيِ: النَّبِيُّ ﷺ - عَلَى الأَرْضِ هَاهُنَا هَاهُنَا، فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم).

وخرج إلى خيبرَ فكبَّر وقال: «خَرِبَتْ خَيْبَرُ»؛ ففتحها اللَّهُ عليه (متفق عليه).

وأرسلَ أصحابَه إلى مُؤْتَةَ غُزَاةً للرُّوم، ونَعَى شهداءَهم قبلَ مجيءِ خَبَرِهم (رواه البخاري).

وذكر أنَّ الفُرْسَ ستَغْلِبُ الرُّومَ في حياتِه، ولمَّا جاءَه رسولُ كِسْرَى بكتابٍ منه قال له: «إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّكَ - أَيْ: سَيِّدَكَ - اللَّيْلَةَ» (رواه أحمد).

وفي طريقِه إلى تبوك قال: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ» (متفق عليه).

وأخبر بِدُنُوِّ أَجَلِه وانتقالِه إلى الرَّفيقِ الأعلى، وجلس على المنبر وقال: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ؛ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ! فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا!» (متفق عليه)، فما لَبِثَ أيَّاماً حتى فارقَ الدُّنيا.

وقال لأصحابِه في آخرِ حياتِه: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ» (متفق عليه).

فكان كلُّ ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام.

وأخبر عن فتحِ بيتِ المَقْدِس، ثمَّ يَعْقُبُه طاعون يُفني المسلمين، ثم يَفيض بعده المالُ فلا يَقْبَلُه أحد، فكان ما أخبر به؛ ففُتِح بيت المقدس، ووَقَع الطاعون بالشَّام، كلاهما في خلافةِ عمرَ رضي الله عنه، ثمَّ فاض المالُ في خلافةِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه حتى كان أحدهم يُعطى مئةَ دينارٍ فَيَسْخَطُها.

وأخبر أنَّ الأمصارَ تُفتح فَيَخرج إليها أهلُ المدينةِ طلباً للرَّخاءِ والسَّعة، وقال: «وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (متفق عليه)، وأنَّ كِسْرى وقَيصَر يَهْلِكان وتُنفق كنوزُهما في سبيل اللَّه، وأنَّ الدُّنيا ستُفْتَح على أُمَّته فيتنافسون فيها كتنافس مَنْ قبلهم، وأنَّ أُمَّتَه ستَتَشَبَّهُ بالأُمم قبلَها وتَتَّبعُ سبيلَها حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلُوه (متفق عليه).

وبيَّن أشراطَ السَّاعةِ التي تقع بين يديها: مِن قِلَّة العلم، وكَثرة الجهل، وظهور الفِتَن، وكثرة القَتل، وتَطاوُل النَّاس فِي البُنْيَانِ.

وقام في أصحابه فأخبرهم بما سيكون إلى يوم القيامة، قال حذيفة رضي الله عنه: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَاماً، مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ» (متفق عليه).

وحَدَّثهم بمشاهد رآها في السَّماء، فأسرى اللَّهُ بروحه وجسده من مكَّة إلى المسجد الأقصى، ثمَّ عُرِج به إلى السَّماء حتى بلغَ سِدْرَة المُنْتَهى، ثمَّ رجع من ليلتِهِ إلى مكَّة، وأخبرهم بما رآه من الجنَّة والنَّار وأهلِهما وسِدْرة المُنْتَهى، وبما سمعه من صَرِير أقلام تدبير الكون.

وأيَّده اللَّه بآياتٍ كونيَّةٍ مشاهَدة: فشقَّ اللَّهُ القمرَ آيةً له حتَّى صار فِرْقَتَين، رآهما النَّاس في مكَّةَ وغيرِها.

وآياتُ نبُوَّتِهِ ظهرت في الإنس أيضاً: ففي خُطبة حَجَّة الوَداع فتح اللَّهُ له أسماعَ النَّاس حتى سمعوه جميعاً، وكانوا أكثرَ من مئةِ ألفٍ (رواه أبو داود).

ودعا لأنسٍ رضي الله عنه بكثرة المال والولد؛ فدَفَن في حياته أكثرَ من مئةٍ وعشرين من صُلْبِهِ (متفق عليه).

ودعا لأبي هريرة وأُمِّه رضي الله عنهما أنْ يُحَبِّبَهما اللَّه إلى المؤمنين، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي» (رواه مسلم).

ودعا لعُرْوَة البَارِقيِّ رضي الله عنه بالبركة في بَيْعِهِ؛ فكان لو باع التُّرابَ لَرَبِح فيه (رواه البخاري).

وكُسرت رِجلُ عبد اللّه بن عَتِيك رضي الله عنه فمسحها؛ فبَرَأَت (رواه البخاري).

وبصق في عَيْنَيْ عليٍّ رضي الله عنه مِنْ رَمَدٍ كان به؛ فبرأ كأن لم يكن به وَجَع (متفق عليه).

ودلائلُ نُبُوَّتِهِ ظهرت في البهائم أيضاً: دخل عليه الصلاة والسلام يوماً حائطاً لبعض الأنصار فيه جَمَل، فلمَّا رأى الجملُ رسولَ اللّه ﷺ بكى، فمسح عليه رسولُ اللّه ﷺ فسكت، فقال لصاحب الجمل: «**أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ؟! إِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ** - أَيْ: تُتْعِبُهُ -» (رواه أبو داود).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعِبَ وَاشْتَدَّ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ رَبَضَ فَلَمْ يَتَرَمْرَمْ - أَيْ: لَمْ يَتَحَرَّكْ وَلَمْ يُخْرِجْ صَوْتاً - مَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي البَيْتِ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ» (رواه أحمد).

ومن آياته: ما أُوتِيه من تكثير الطَّعام والشَّراب، ففي الحُدَيْبية كان معه ألفٌ وخمس مئةٍ من أصحابه، قال جابر رضي الله عنه: «وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ - وَهِيَ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ -؛ فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ - أَيْ: يَنْبُعُ بِشِدَّةٍ - بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قِيلَ لَهُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً - أَيْ: أَلْفاً وَخَمسَ مِئَةً -» (رواه البخاري).

وفي غزوةِ ذاتِ الرِّقَاعِ جَمَع الماءَ اليسيرَ في جَفْنَةٍ - وهي: وِعاءٌ للطَّعام -؛ فملأ منها جميعُ العَسْكَرِ آنيتَهم.

وفي خَيْبَر قَلَّ الطَّعام؛ فأمرهم ﷺ فجمعوا ما عندهم، فبرَّك عليه - أي: دعا بالبركة فيه -، فأكلوا حتى أَشْبَعَ الجيش كلَّهم، وكانوا ألفاً وخمسَ مئة.

وكان معه في تبوك نحوُ ثلاثين ألفاً يطلبون الماء، فتَوَضَّأَ في عين من عيونها؛ ففاضت بماءٍ مُنْهَمِرٍ حتى اسْتَقَوْا جميعاً (رواه مسلم).

وقال سَمُرة بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَدَاوَلُ مِنْ قَصْعَةٍ - وَهِيَ: وِعَاءٌ مُسْتَدِيرٌ يُؤْكَلُ فِيهِ - مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ، تَقُومُ عَشَرَةٌ وَتَقْعُدُ عَشَرَةٌ، قُلْنَا: فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ؟ قَالَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ» (رواه الترمذي).

وسخَّر اللَّه لهُ الأشجارَ والأحجارَ آيةً لنُبوَّته: نَزَل مع أصحابه وادياً فأخذ بشجرتين فانْقَادَتَا معه والْتَأَمَتا عليه - أي: اجتمعتا عليه - بأمره (رواه مسلم).

واجتمع عليه الجِنُّ يَسْتَمِعُون منه القرآنَ وهو بمكَّة؛ فأخبرته بوجودهم شجرةٌ كانت حوله (متفق عليه).

وكان يَخْطُب على جِذْع نخلة في مسجده ثم صُنع له منبر، فلمَّا خطب عليه حنَّ الجِذع وبَكى بُكاءَ الصِّبيان، حتى وضع عليه يده ﷺ؛ فسكت (رواه البخاري).

وقال: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ» (رواه مسلم).

وصَعِد على أُحُدٍ مع ثُلَّة من أصحابه فَرَجَفَ بهم، فضربه وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ»؛ فَثَبَت (رواه البخاري).

وأيَّده اللَّه بملائكته تأييداً لم يُؤَيَّد به أحدٌ قبلَه آيةً لنُبوَّته؛ في مكَّةَ استأذنَه مَلَكُ الجبال أَنْ يُطْبِق على كُفَّارِهَا الأَخْشَبَيْن - وهما: جَبَلانِ بمكَّةَ - فاسْتَمْهَلَهُ لهم.

وفي الهِجْرَةِ قال اللَّهُ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

وفي بدرٍ قَاتَلَ معه خيرُ الملائكة.

وفي أُحُد رُؤِيَ النَّبِيُّ ﷺ بين جبريل وميكائيل يقاتلان عنه أشدَّ القتال (متفق عليه).

وسار جبريلُ عليه السلام معه من الخَنْدَقِ إلى بني قُرَيظَة (رواه البخاري).

ومن آيات نُبوَّتِه: عِصمة اللَّه له في نُبوَّتِه من أعدائه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ فلم يتمكَّنوا منه حتى ظَهر عليهم مع كثرتهم وقوَّتهم.

وسَحَرَهُ بعضُ اليهود؛ فأظهرَهُ اللَّهُ على سِحْرِهم فأَبْطَلَه، ووَضَعُوا له السُّمَّ في شاةٍ؛ فأَنْبَأَه اللَّهُ بذلك.

ومن آيات نُبوَّتِه: أخلاقه الطَّاهرة وخَلْقه الكامل.

ومع ظهور أمره ﷺ، وطاعةِ الخلق له، وتقديمِهم له على الأنفس والأموال، مات ولم يُخَلِّف درهماً ولا ديناراً، ولا شاةً ولا بعيراً، إلَّا بَغْلَته وسِلاحَه، ودِرْعه وكانت مَرْهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير ابتاعها لأهله.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

مَنْ تدَّبر سيرةَ النَّبيِّ ﷺ مِن وِلادتِه إلى موتِه؛ عَلِم أنَّه رسولُ اللَّهِ حقّاً، أَتى بكلام لم يَسْمَعِ الأوَّلون والآخرون بنَظِيرِه، وكان في كلِّ وقت يأمر أُمَّته بالتَّوحيد، ويدلُّهم على كلِّ خير، وينهاهم عن كلِّ شرٍّ، ويُظهر اللَّهُ له من عجائب الآيات.

جاء بأكمل دين، وجَمَع محاسن ما عليه الأمم، فأصبحت أمَّتُه أكملَ الأمم في كلِّ فضيلة، وهذه الفضائل به نالُوها، ومنه تعلَّمُوها، وهو الذي أمرهم بها، فصار من اتَّبعَه أعلمَ أهل الأرض وأدْينَهم وأعدلَهم وأفضلَهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

التَّأَمُّلُ في آياتِ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ ودلائلِ صِدْقِه يزيدُ من الإيمان، والرِّفعة تُنال بكثرة النَّظر في محاسنه البَاهرةِ وشريعته الطَّاهرة، ولا طريق لنا لمعرفة اللَّهِ إلَّا بالرَّسول ﷺ.

وَمَنْ أراد معرفة صدق الرِّسالة وجَلاء براهينها فعليه بالقرآن العظيم.

ولمَّا كانت حاجة الخلق إلى تصديق الرَّسُولِ ﷺ أشدَّ من حاجتِهِم إلى جميعِ الأشياء؛ يَسَّرَ اللَّهُ الدَّلائلَ الَّتي بها يُعرَفُ صِدْقُ الأنبياء، وجعلها من الكثرة والظُّهور والوضوح بِحَيْث لا يتخلَّف عن الإيمان بها إلَّا مُعاند، ولا يتردَّد في التَّصديق بها إلَّا مُكابر.

والخيرُ كلُّه في الثَّباتِ على التَّصديقِ بالنُّبوَّة، وطاعته.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

اعْرِفْ نَبِيَّكَ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عنه تردَّى.

أيُّها المسلمون:

اخْتَارَ اللَّهُ من البِقَاعِ والبِلادِ خَيرَها، ومن النُّفوسِ أشرَفَها، اصْطَفَى من البَشَرِ رسلاً، جعل أقوالَهم وأعمالَهم وأخلاقَهم موازينَ تُوزنُ بها الأقوالُ والأخلاقُ والأعمال.

ومعرفةُ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ من الأصولِ الثَّلاثَةِ الَّتي يجبُ على الإنسان معرفتُها، وكلُّ عبدٍ يُسْأَلُ عنه في قَبْرِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اضْطِرَارُ العِبَادِ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ؛ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ».

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع والعشرين من شهر شوَّال، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

سيِّدُ ولدِ آدم وفَخْرُهُم في الدُّنيا والآخرة: مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ عبدِ المطَّلب، اصطفاه اللَّه من بَنِي هاشم، واصطفى بَنِي هاشمٍ من قريش، وهُمْ من سُلَالة نبيِّ اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

صَفْوَةُ الخَلْق، هو خيرُ أهلِ الأرض نَسَباً على الإطلاق؛ قال ﷺ: «فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً» (رواه الترمذي).

نشأ يتيم الأبوين، فاقداً تربيتهما وحنانهما: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، متقلِّباً بين أحضانٍ مُتواليةٍ برعايةٍ مِنَ اللَّه وكَلاءةٍ، بُغِّضَتْ إليه عبادةُ الأوثان والخُنُوعُ للأصنام، حَفِظَهُ ربُّه في صِغَره، وصَانَه في شَبَابِه؛ فما اسْتَلَم صَنَماً ولا مَسَّ وَثناً.

تزوَّج قبلَ البِعْثة بامرأةٍ نَبِيلَةٍ شَرِيفَةٍ لَبِيبَة، هي أعظمُ النِّساءِ شرفاً وأَوفرُهنَّ عقلاً؛ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بعثهُ اللَّه والأرضُ مملوءةٌ بعبادةِ الأوثان وأخبارِ الكُهَّان، وسَفْكِ الدِّمَاء، وقطيعةِ الأرحام؛ فدَعَا إلى عبادة اللَّه وحده صابراً على ما يلقاه من تكذيبٍ وإعراضٍ وجفاء.

رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَه وأَعْلَى شَأْنَه، مُعْجِزَاتُه بَاهِرَة، ودلائلُه ظاهرة، مَنْصُورٌ بالرُّعْب، مغفورُ الذَّنب، أوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنه القَبْر، وأوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ يوم القيامة، وأَكْثَرُ الأنبياء تَبَعاً، وأوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّة، وأوَّلُ مَنْ يَعْبُرُ الصِّرَاط.

كان عَبْداً للَّه شكوراً؛ يقومُ من اللَّيلِ حتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاه، قُرَّةُ عَيْنِه

في الصَّلاة، يقومُ للَّه مُخلِصاً خَاشِعاً، يقولُ عبد اللَّه بن الشِّخِّير ﵁: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أحمد)، قال عن نفسه: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ**» (رواه مسلم).

مُعَظِّمٌ لِربِّه، رَفيعُ الأَدَب مع خَالِقِه، لا يدَّعي لِنَفْسِه شَيئاً ممَّا لا يَمْلِكُه إِلَّا اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وجاءَهُ رَجلٌ فقال له: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ: **أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلاً؟! قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**» (رواه النسائي)، وقال اللَّه له: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، قال ابنُ كثيرٍ ﵀: «أَيْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ يُوحَى إِلَيَّ، وَعَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غِوَايَتِكُمْ، بَلِ المَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ».

أشدُّ النَّاسِ تواضعاً وأحسنُهم بِشْراً، يُجَالِسُ الفقراء ويُؤَاكِلُ المساكين، يَخْصِفُ نَعْلَه، ويَخْدمُ أهلَه ونفسَه، وشَرِبَ من القِرْبَة البَالِيَة، وحَمَلَ مع صحابتِه اللَّبِن في بناءِ المسجد، لا يَعِيبُ على الخَدَم ولا يُوبِّخُهُم، قال أنسٌ ﵁: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئاً قَطُّ» (رواه مسلم)، يُوقِّرُ الكبار ويَتَواضعُ للصِّغار، إِنْ مَرَّ على صبيانٍ سَلَّمَ عليهم، رَأَى أبا عمير ﵁ - وكان صبيّاً -، فقال مُدَاعِباً له: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» (متفق عليه)، يقول أنسٌ ﵁: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ

بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم)، عَظيمُ التَّوَاضُع، بَعِيداً عن الفَخْرِ والخُيَلاءِ والكِبْرِ والاستعلاء، يقول: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (رواه البخاري).

كريمُ النَّفس، سَخِيُّ اليد، غَزِيرُ الجود؛ يُنْفِقُ سَخَاءً وكَرَماً وتَوَكُّلاً، ما سُئِل شيئاً مِنْ مَتَاعِ الدُّنيا ممَّا يَمْلِكُ فَرَدَّ طالبَه؛ يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ» (رواه مسلم)، لا تُغْضِبُه الدُّنيا وما كان لها، أَعْرَضَ عن هذه الدَّار وعَمِلَ لِدَارِ القَرَار، كان يقول: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحت شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (رواه الترمذي).

كان يَمُرُّ به هِلَالٌ وهِلَالٌ وهِلَالٌ وما يُوْقَدُ في بُيُوتِه نار، ويَبِيتُ اللَّيالي المُتَتَابِعَة طَاوِياً وأَهلُه لا يجدون عَشاءً، يقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَي: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم)، وخَرَجَ من بيته من حَرارةِ الجوع، ورَبَطَ على بطنه الحَجَرَ من أَلَمِ الجوع، وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يعرفونَ الجُوعَ فيه من تَغيُّر صوتِه، يقول أبو طلحة رضي الله عنه: «سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ»، وتأتي أيَّام على بيتِ النُّبوَّة وما فيها إلَّا الماء، «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ» (متفق عليه)، كاملُ الخوفِ من ربِّه مع ما لَاقَاهُ من الجوع، فقد كان

يَجِدُ التَّمْرَ على فراشه فيقول: «فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيَهَا» (متفق عليه).

لَقِيَ من الحياة مشاقَّها، ومن الشَّدائدِ أَحْلَكَها؛ نَشَأَ يَتِيماً فاقِداً حَنَان الأُمومَة، وتُوُفِّي والدُه ولَمْ تَأْنس عَيْنُه بِرُؤْيتِه، وآذاه قَومُه بالقَولِ والفِعل، قال أنسٌ رضي الله عنه: «ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ» (رواه أحمد).

اتَّهمُوه بالجُنون ورَمَوْه بالسِّحْرِ ووَصَفُوه بالكَذِب: ﴿وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وفي الغارِ كَرْبٌ وهَمٌّ، خَوْفٌ وحُزْنٌ: ﴿إِذْ يَـقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وفي أُحُدٍ كُسِرَت رَباعيتُه، وشُجَّ في وجهه، وسَالَ دَمُه.

لَاقَى من الجوعِ حَرَارَتَه، ومن العَدُوِّ بَأْسَه؛ وَضَعُوا السُّمَّ في طعامه، وسَحَرُوه في أهلِه، تَوالَتْ عليه المَصَائب وتَكالَبَتْ عليه المِحَن، وربُّه يقول له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾، يَبُثُّ أَشْجانَه وأَحْزَانَه إلى زوجتِه عائشة رضي الله عنها؛ يقول: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ» (رواه البخاري).

مَاتَ سِتَّةٌ مِنْ أَوْلَادِه في حياتِه فَلَمْ تَثْنِه تلك الكروب عن الدَّعوةِ إلى اللَّه، صَبَرَ على كَمَدِ الحياة ولَأْوَائِهَا، يقول عن نفسه: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ» (رواه أحمد).

رقيقُ القلب مليءٌ بالرَّحمة، إذا سَمِعَ بكاءَ الصَّبيِّ في الصَّلاة؛

تَجوَّز في صلاتِه ممَّا يَعْلَمُ من شدَّةِ وَجْدِ أُمِّه من بكائِه، يَزُورُ البقيعَ فيَتَذَكَّر الآخرةَ ويَبْكِي، كان يَزُورُ ابنَه إبراهيمَ عند مُرْضِعَتِهِ وهو رضيع، فيأتِيه إبراهيمُ وعليه أَثَرُ الغُبَار فَيلْتَزِمُه النَّبيُّ ﷺ ويُقبِّلُه ويَشَمُّه من عَطْفِ الأُبُوَّةِ عليه (رواه البخاري)، ولمَّا مَاتَ دَمعَتْ عَيْنَاه، وقال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**» (متفق عليه).

كاملُ العقل، سَامِي الأَخْلَاق، لَمْ يَضْرِبْ أَحداً بيدِه؛ تقول عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَربَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً» (رواه مسلم).

أَعَفُّ النَّاس وأَشْرَفُهم، لم تمس قطُّ يدُه امرأةً لا تحلُّ له.

كاملُ الوفاء مع أهلِ بيتِه وصحابتِه رضي الله عنهم، كان يَذْبَحُ الشَّاةَ ثمَّ يُقَطِّعُها أعضاءً ثمَّ يَبْعَثُهَا إلى صواحبِ خديجةَ رضي الله عنها بعد وفاتها وفاءً لها، وصلَّى على قتلى أُحُدٍ بعد ثماني سنين من الغَزْوَة كالمُوَدِّع لهم، يُكْرِمُ صحابتَه ولا يُؤْثِر لنفسِه شيئاً دونهم؛ يقول عثمانُ بنُ عفَّان رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَاسِينَا بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ».

وَسِعَ النَّاسَ بِخُلُقِه، حليمٌ لا يَجْزِي بالسَّيِّئَةِ ولكن يَعْفُو ويَصْفَح، لا يَغْضَبُ لنفسِه ولا يَنْتَصِرُ لها، يَجْذِبه الأَعْرَابيُّ يريدُ مالاً فَيلْتَفتُ إليه مُبْتَسِماً ويُعْطِيه سُؤْلَه.

عَفَا عمَّنْ سَحرَه، ولَمْ يُثَرِّبْ على مَنْ وَضعَ له السُّمَّ في طعامه، وَصفَحَ عمَّن قاتلَه، وقال لهم في فتحِ مكَّة: «**اذْهَبُوا؛ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»،

تقول عائشة ﵂: «وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ» (رواه مسلم).

لَيِّنُ الجانبِ دائمُ البِشْرِ؛ يقول جَريرُ بن عبد اللَّه ﵁: «وَلَا رَآنِي - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا تَبَسَّمَ» (رواه البخاري).

يَتَفَقَّدُ أصحابَه، ويُؤْثِرُ أهلَ الفضل بأَدَبِه، جميلُ المُعَاشَرَة، حَسنُ الصُّحْبَة، يَصِلُ ذوي رَحِمَه ولا يَجْفُو على أحد.

عَفُّ اللِّسان، لَمْ يَكُنْ فَاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، بل كانَ أشدَّ حَياءً من العَذْرَاءِ في خِدْرِها، خِلَالُه على سَجِيَّته، لا يُحِبُّ تعظيمَ الألفاظ ولا تَشَدُّقَها؛ «جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا! وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ** ﷻ» (رواه النسائي).

وفي طعامه لضيفه لا يَتَكَلَّفُ مَوْجُوداً ولا يَطْلُبُ مَعْدُوماً، أَحبَّه الصَّحابةُ حُبّاً جمّاً، إنْ قال استَمَعُوا لقولِه، وإنْ أَمَر تَبَادَرُوا إلى أمرِه، يقولُ أنسٌ ﵁: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه أحمد).

جَمَعَ من الأخلاقِ أطيبَها ومن الآدابِ أَزْكَاها، قال شيخ الإسلام ﵀: «لَا تُحْفَظُ لَهُ كِذْبَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا ظُلْمٌ لِأَحَدٍ، وَلَا غَدْرٌ بِأَحَدٍ؛ بَلْ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بِالعَهْدِ، مَعَ اخْتِلَافِ الأَحْوَالِ عَلَيْهِ - مِنْ أَمْنٍ وَخَوْفٍ، وَتَمَكُّنٍ وَضَعْفٍ -».

يُبجِّلُ أهلَ بيتِه ويُحسنُ معامَلَتَهُم، إذا قَدِمَتْ إليه ابنتُه فاطمةُ رضي الله عنها قام إليها وقال لها: «مَرْحَباً» وأَجْلَسَهَا بِجَانِبِه، وقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (رواه الترمذي)، شَهِدَ له خَالِقُه بِعُلوِّ خُلُقه؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

أَبْهَى النَّاسِ وأَنْضَرُهم مَنْظراً؛ يَتَلَأْلَأُ وجهُه تَلَأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البَدْرِ؛ يقول البراء رضي الله عنه: «لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» (رواه البخاري)، طَيِّبُ الجَسَدِ زَكِيُّ الرَّائِحَة؛ يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا شَمَمْتُ عَنْبَراً قَطُّ وَلَا مِسْكاً وَلَا شَيْئاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» (رواه مسلم).

فَصِيحٌ بَلِيغٌ بَاهِرُ البيان، كلامُه يأخذُ بِمَجَامِعِ القلوب، أوقاتُه كلُّها مَعْمُورَةٌ في طاعةِ اللَّه ومرضاتِه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، مِن بِعْثَتِه إلى مماتِه يَدْعُو إلى عبادةِ ربِّه ويَنْهَى أُمَّتَه عن الوقوعِ في الشِّرك، لا خَيْرَ إلَّا دلَّ الأُمَّةَ عليه ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه.

فالْزَمُوا طريقَه، واستمسِكوا بهَدْيِه وسنَّتِه، واحذَرُوا مخالفتَه؛ تَفُوزوا بالدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعد، أيُّها المسلمون:

نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ مِنَ البَشَرِ؛ يَمْرَضُ ويَجُوع، ويَحْزَنُ وينام، ليس له من خصائص الرُّبوبيَّةِ ولا الأُلوهيَّةِ شيء، وإنَّما هو رسولٌ يُبَلِّغُ رسالةَ ربِّه؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، لا يُرْفَعُ فوقَ قَدْرِه، ولا يُنْقَصُ من منزلتِه، واجبٌ اتِّباعُه وامتثالُ أمره، قال في فتحِ المَجيدِ: «يَحْصُلُ تَعْظِيمُ الرَّسُولِ ﷺ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ».

وبِطاعتِه تَتَنَزَّلُ الرَّحمات وتتوالى الخيرات: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ومحبَّتُه بطاعتِه مقدَّمةٌ على الوَلَد والوَالِد؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» (متفق عليه)، وباتِّباعِه يَرْغُدُ العيش ويَهْنَأُ الجميع، قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وسَعادةُ العبدِ في الدَّارَيْن مُعلَّقةٌ بالتَّمسُّكِ بهديه، والعِزَّة على قَدْرِ متابعتِه، والفلاحُ باقتفاءِ أَثَرِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

نُصْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أربَحُ المكاسب، وأَجْزَلُ المواهب.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ البشرَ وفضَّلَ بعضَهم على بعض؛ ففضَّلَ المؤمنَ على الكافر، والبَرَّ على الفاجر، والنَّبيِّين على سائر المخلوقين، والرُّسُلَ على النَّبيِّين، وفضَّلَ خاتَمَهُم مُحمَّداً ﷺ على سائر الرُّسُل؛ فهو صَفْوَةُ ولدِ إبراهيم، اختصَّه من بين الرُّسُل بالوَسيلةِ والفَضيلةِ والمَقَام المَحْمُود، وعمومُ رِسالتِه للعَرَبِ والعَجَم، أَعْلَى النَّاس نَسباً وأَشْرَفُهم لَقَباً، رَفَعَ اللَّه مكانتَه وشَأْنَه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع من شهر محرَّم، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» (رواه مسلم)، أكثرُ الأنبياء تَبعاً، وأوّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّة، وأوّلُ مَنْ يَعْبُر الصِّراط.

نَشَأَ يَتِيماً فَلَمْ يرَ وَالِدَه في دَهْرِه، ولَمْ يَأْنَس بِحضَانَةِ أُمِّه لفِرَاقِها، أشدُّ النَّاس تَبتُّلاً إلى اللَّه، في ليله مصلِّياً باكياً، يقول عبد اللَّه بن الشِّخِّيرِ رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أحمد).

وفي نهارِه داعياً رَحِيماً، يُجالِسُ الفُقَرَاء، ويُؤَاكلُ المَسَاكين، يُوَقِّرُ الكبار، ويَتَوَاضَعُ للصِّغار، إنْ مرَّ على صِبْيانٍ سَلَّم عليهم ورَحِمَهُم؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحداً كَانَ أَرْحَمَ بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم).

كريمُ النَّفس، جوادُ اليد؛ يُنْفِقُ سَخاءً وكَرَماً وتَوكُّلاً، ما سُئل شيئاً فقال: لا قطُّ، مُعْرِضٌ عن الدُّنيا وزينتِها؛ كان يقول ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (رواه الترمذي).

تَمْضِي أيَّامٌ وليس في بُيُوتِه سِوَى تَمْرَة واحدة، بل يَمْضِي زمنٌ وليس فيها سوى الماء، بات ليالي هو وأهلُه لا يَجِدُون عَشَاءً؛ قال عمر رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَيْ: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم)، وخَرَجَ من بيته مِراراً من شدَّة الجُوع، وهو صابرٌ مُحتسبٌ لِتبْلِيغِ رسالةِ ربِّه.

رقيقُ القلب مليءٌ بالرَّحْمَة، إذا سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبيِّ في الصَّلاة تَجوَّز فيها.

لَيِّنُ الفُؤَاد، عظيمُ الوَجَلِ من ربِّه، كان يزورُ المَقْبَرَةَ تِبَاعاً ويَتَذَكَّرُ الآخرة ويَبْكِي مِرَاراً.

عفُّ اللِّسان، لا يَقَعُ في عِرْضِ أَحَدٍ، وكان أَشدَّ حياءً من العَذْرَاءِ في خِدرِها، لَمْ يَضْرِبْ خَادِماً ولا امْرَأَةً ولا دَابَّة، خُلُقُهُ عظيم، قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «وَلَا رَآنِي - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا تَبَسَّمَ» (رواه البخاري).

جَمَعَ من الصِّفاتِ أعلاها، ومن الآدابِ أَزْكَاها، أحبَّه الصَّحابةُ حُبّاً جمّاً، إِنْ قَال سَمِعُوا لقولِه، وإِنْ أمر تَبادَرُوا إلى أمرِه، قال أنسٌ رضي الله عنه: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ولم يَكُنْ كِبَارُ الصَّحابةِ يَضَعُونَ أَعْيُنَهُم في عَيْنِه حَيَاءً منه وإجلالاً؛ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

وقد عظَّم الصَّحابةُ نبيَّهم أيَّمَا تَعْظِيم بقُلُوبِهِم، وأَبَتْ نفوسُهُم أَنْ يَسْكُنُوا في دارٍ هُمْ في أعلاها وهو في أَسْفَلِها، وعلى هذا سَارَ تابعونَ وأَسْلَاف؛ فكان مُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ لا يَتَمالَكُ نفسَه من البكاء إذا قَرأَ حديثَ رسولِ اللَّه ﷺ، وقال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَيُّوبَ السِّخْتِيانِيِّ، فَإِذَا ذَكَرْنَا لَهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّه ﷺ بَكَى حَتَّى نَرْحَمُهُ».

وملوكُ النَّصارى وكُبراؤُهم في زمن النَّبيِّ ﷺ أَحبُّوا رُؤْيَته وتَمَنَّوْا خِدْمَتَه، قال هِرَقْلُ - عَظيمُ الرُّوم -: «لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ» (متفق عليه).

ولمَّا رآه أَحبارُ اليهود عَلِمُوا صِدْقَه؛ قال عبد اللَّه بن سَلام - وَكَانَ مِنْ أَحْبَارِهِمْ -: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ - أَيْ: ذَهَبُوا إِلَيْهِ - وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَيْ: رَأَيْتُهُ - عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ» (رواه الترمذي).

رَفَعَ اللَّه ذِكْرَه، وغَفَرَ له ما تقدَّم وما تأَخَّر مِنْ ذَنْبِه، وصَانَهُ بالرِّعَايَة وحَفِظَهُ بِالكَلَاءة، في الغار كان معه بِنَصْره وتَأْييدِه، وفي بَدْرٍ وحُنَيْن قَاتَلَت معه الملائكة، وفي أُحُدٍ عَصَمَهُ مِنْ قَتْلِ المُشْرِكِين، وفي بَنِي النَّضِيرِ كَشَفَ له كَيْد الغَادِرِين، وفي الخَنْدَقِ بَدَّدَ عنه جيشَ المُتَحزِّبين، وفي المدينة سَلَّمَهُ من خِدَاعِ المُنَافِقِين؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

فَرَضَ اللَّهُ على جَمِيعِ النَّاسِ الإيمانَ به وتَوْقِيرَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقد أجلَّه اللَّه ورَفَعَ مَكَانَته، وكَتَبَ العِزَّة له؛ قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وجعلَ الغَلَبةَ والعَاقِبةَ له؛ قال ﷻ:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، ولعظيم قَدْرِه عند ربِّه توعَّد اللَّهُ مَنْ يَرْفَعُ صوتَه فوق صوتِ نبيِّه بأَنْ يُحْبِطَ عملَه؛ قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، ومَنْ آذاهُ لَعنَه اللَّهُ في الدُّنيا والآخرة وأَهانَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، ومَنْ حادَّه أَذلَّهُ وكَبَته؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾.

وتوَعَّدَ ببَتْرِ كُلِّ مَنْ أَبْغَضَهُ وعَادَاه؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، قال أهلُ العلم: «كلُّ مَنْ شَنَأَه وأَبْغَضَهُ وعَادَاه فإنَّ اللَّهَ يَقْطَعُ دَابِرَه ويَمْحَقُ عَيْنَه وأَثَرَه»، في يومِ أُحُدٍ كَسَر عُتبة بن أبي وقَّاص رَبَاعِيَةَ النَّبيِّ ﷺ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ بِالأَخْبَارِ: إِنَّهُ اسْتَقْرَى نَسْلَهُ فَلَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْهُمُ الحُلُمَ؛ إِلَّا أَبْخَرُ - أَيْ: كَرِيهُ رَائِحَةِ الفَمِ -، أَوْ أَهْتَمُ - أَيْ: مَكْسُورٌ ثَنَايَا الأَسْنَانِ -؛ يُعْرَفُ ذَلِكَ فِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ شُؤْمِ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ».

ومَنْ سَخِرَ بالأنبياء أَدَارَ عليه دوائر السّوء؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وقد يُمْهِلُ اللَّه السَّاخرين برُسُلِه لحكمةٍ ثمَّ يُنْزِلُ عليهم بَأْسَه؛ قال ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، وقَضَتْ سُنَّةُ اللَّه أَنَّ مَنْ وَقَعَ في نبيِّه قَصَمَهُ اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾.

في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ سَخِرَ به رَجُلٌ، فَلمَّا مات دفنوه، فكان كلَّما دفنوه في قبرِه وجدُوه خارج القبر مَنْبُوذاً عنه؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ هَارِباً حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ، فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذاً» (متفق عليه).

وسَخِرَ أبُو جَهْلٍ بالنَّبيِّ ﷺ، فَقَتَلَهُ غِلْمَانٌ من الصَّحابةِ نِكَايَةً به، قال عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنه: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ» (متفق عليه).

وزَالَتْ مَمَالِكُ، فلم تَبْقَ لها قَائِمةٌ لمَّا سَخِرُوا بالنَّبيِّ ﷺ،

كَتَبَ ﷺ إلى كِسْرَى وقَيْصَر، وكِلَاهُمَا لَمْ يُسْلِم، لكنَّ قَيْصَرَ أَكْرَمَ كتابَ رسولِ اللَّه وأَكْرَمَ رَسولَه؛ فثَبَتَ مُلْكُه، وكِسْرَى مَزَّق كِتَابَ رسولِ اللَّه واسْتَهْزَأَ برسولِ اللَّه؛ فَقَتَلَهُ اللَّهُ بعدَ قليلٍ من تمزيقِ كتابه، ومزَّقَهُ اللَّهُ كلَّ مُمزَّق.

والحصونُ تتساقط إذا تعرَّض أصحابُها للنَّبيِّ ﷺ بالذَّمِّ والمَلَامَة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «حَدَّثَنَا أَعْدَادٌ مِنَ المُسْلِمِينَ العُدُولِ أَهْلِ الفِقْهِ وَالخِبْرَةِ عَمَّا جَرَّبُوهُ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي حَصْرِ الحُصُونِ وَالمَدَائِنِ، قَالُوا: كُنَّا نُحَاصِرُ الحِصْنَ أَوِ المَدِينَةَ الشَّهْرَ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الشَّهْرِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَلَيْنَا، حَتَّى نَكَادَ نَيْأَسُ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا تَعَرَّضَ أَهْلُهُ لِسَبِّ رَسُولِ اللَّهِ وَالوَقِيعَةِ فِي عِرْضِهِ تَعَجَّلْنَا فَتْحَهُ وَتَيَسَّرَ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَأَخَّرَ إِلَّا يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ».

وإذا أُوذِيَ الرُّسُلُ حلَّ العذاب، جاء في «الصَّارِمِ المَسْلُول»: «وَإِذَا اسْتَقْرَأْتَ قَصَصَ الأَنْبِيَاءِ المَذْكُورَةَ فِي القُرْآنِ، تَجِدُ أُمَمَهُمْ إِنَّمَا أُهْلِكُوا حِينَ آذَوُا الأَنْبِيَاءَ، وَقَابَلُوهُمْ بِقَبِيحِ القَوْلِ أَوِ العَمَلِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فمَحبَّةُ النَّبيِّ ﷺ فَرْضٌ على هذه الأُمَّة، بالذَّبِّ عنه وحِمَايَةِ جَنَابِه ﷺ، ولْيَحذرِ المُسلمُ من التَّطلُّع إلى الرُّسُومَاتِ المَسْمُومَة السَّاخِرَة بأَجلِّ البَشَر، فقد كان السَّلفُ يَحْذَرُونَ من ذلك، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «التَّكَلُّمُ فِي تَمْثِيلِ سَبِّ الرَّسُولِ وَذِكْرِ صِفَتِهِ؛ ذَلِكَ مِمَّا يَثْقُلُ عَلَى القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَنَحْنُ نَتَعَاظَمُ أَنْ نَتفَوَّهَ بِذَلِكَ».

ومِنْ مَحبَّته: طاعتُه، واقتفاءُ أَثَرِه، واتِّباعُ سُنَّتِه؛ قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾، ومِنْ مَحبَّته ﷺ: عدمُ الغُلوِّ فيه بِرَفْعِهِ فوق منزلةِ الرِّسالَةِ والعُبوديَّة في المَدَائِحِ والإِطْرَاء؛ قال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» (رواه البخاري).

وعِزَّةُ المسلمين على قَدْرِ طَاعَتِهِم له، وفلاحُ العَبْدِ في الدَّارَيْنِ مُعَلَّقٌ بالتَّمسُّكِ بِهَدْيِه، والشَّقاءِ في عدم الإيمان، أو السُّخْرِيَة به أو بِدِينِه، أو الاسْتِخْفَاف بكتابِ اللَّه العَظِيم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ومِن نَصْرِ اللَّهِ لأنبيائه: إغراقُ فرعونَ في شهرِ اللَّهِ المُحرَّم؛ لكُفْرِه وسُخْرِيَتِه بموسى عليه السلام، وقد شَرَعَ اللَّه صومَ العَاشِرِ منه شُكْراً للَّهِ على نُصْرَةِ أوليائِه؛ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَوَجَدَ اليَهُودَ صِيَاماً يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا هَذَا اليَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟** فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ؛ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ؛ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْراً، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ؛** فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» (متفق عليه)، ولمُسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ سُئِلَ عن صيامِ يوم عاشوراء فقال: «**أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»، وقد عَزَمَ على أَنْ يَصُومَ يوماً قبلَه مُخَالَفَةً لأهلِ الكتاب؛ فقال ﷺ: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ، لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»؛ فيُسْتَحبُّ للمسلمين أن يصوموا يومَ العَاشِرِ اقتداءً بأنبياءِ اللَّه، وطلباً لثواب اللَّه، وأَنْ يصوموا يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه مخالفةً لليهود، وعملاً بما اسْتَقَرَّت عليه السُّنَّة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

السَّعادَةُ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ لعبادته وحده؛ ليعيشوا في ظلِّ التَّوحِيدِ بطمأنينةٍ ورَخَاء، وسكينةٍ وأَمَان، وكان النَّاسُ قبل البِعْثَة في ضلال؛ فعبدوا الأصنامَ، ووَأَدُوا البَنَات، وأكلَ بعضُهم أموالَ بعضٍ بالباطل، وعاشوا في ذُعْرٍ بسبب الشِّرك؛ فتَشَاءَمُوا بشهورٍ وطيور، وصف أبو رجاء العَطَارِديُّ حالهم بقوله: «كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَراً جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ» (رواه البخاري).

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع من شهر جمادى الأولى، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد سَئِمُوا من عباداتهم الباطلةِ وعاداتِهم المَقِيتَة فكانوا يَتَحَيَّنُونَ بِعْثَةَ رسولٍ بَشَّر به عيسى ابن مريم يُنْقِذُهُم ممَّا هم فيه: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾، فاصطفى اللَّه رجلاً منهم، هو خيرُهم نسباً، وأرجحُهم عقلاً، وأكمَلُهم صفاتٍ، نشأ على الصِّدقِ والأَمَانة، والعفافِ والتَّواضُع، عَرَفَ قومُه حميدَ صفاته قبل بعثته، قال ﷻ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾، وعظَّمَ اللَّهُ شأنَه، وَرَفَعَ ذِكْرَه، وغَفَر ذنبَه، وحفِظه وصانَه، وخصَّه بالمَقَام المَحْمُود وبالكَوْثَر، وعُرِج به إلى السَّماء إلى مستوًى سَمِع فيه صَرِيفَ الأقلام، وكلَّمَهُ من غيرِ واسطةٍ، وسَخَّر معه الملائكةَ فقاتلوا معه في حُنَيْنٍ والأحزاب، وكان اللَّهُ وملائكتُه معه في بدرٍ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾.

وأخذ اللَّهُ الميثاقَ على الرُّسُلِ أنَّهم إنْ أَدْرَكُوا مُحَمَّداً لَيَتَّبِعُنَّه، والجِنُّ فَرِحَتْ بدعوته وأَمَرَ بعضُهم بعضاً باتِّباعه، ولمَّا قدِم المدينة قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى رَأَيْتُ الوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ» (رواه البخاري).

لاقى المحنَ وقاسى الشَّدائدَ في نشر الدِّين، أُخْرِج من بلدِه، وحُبِسَ في الشِّعب، وكُسرت رَبَاعِيَته، وشُجَّ في وجهه وسال الدَّمُ منه، وقُتِلَ أصحابُه ومَكر به المشركون ليقتلوه، واجتمع عليه الأحزاب،

وكان يقول: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**» (رواه أحمد).

وأمَرَ اللَّهُ بطاعتِه واتِّباعِه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، حديثُه وَحْي، ومزاحُه حقٌّ، قيل: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: **إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقّاً**» (رواه الترمذي)، وليس لأحدٍ تشريعٌ بعدَه، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تُوزَنُ الأَقْوَالُ وَالأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ».

باتِّباعه يُنالُ الهُدَى والفَلَاح؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي**» (رواه الحاكم)، قال الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنَّةُ: مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ»، ومَنْ لَمْ يَتَّبِعْه نَدِم، قال جلَّ شأنه: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾.

والصَّحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ عرفُوا قدْرَ النَّبيِّ ﷺ؛ فأجلُّوه وعظَّمُوه؛ قال عروة بن الزُّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «إِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ» (رواه البخاري)، وكانوا يُنْصِتُون إلى حديثه؛ قال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ سَكَتَ النَّاسُ؛ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ»، ويَمْتَثِلُون أوامره، قال أبو

بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» (رواه مسلم).

وشَرْعُه - بحَمْدِ اللَّه - كاملٌ من جميعِ الوُجُوه؛ قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ومِنْ وصاياه ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» (رواه الترمذي)، قال أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ».

ومَنْ قَدَّمَ عَقْلَه وهواه على سُنَّته؛ ضلَّ، وكان الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع رُجحانِ عقولهم وفَهْمِهم للنُّصوص: يُقدِّمون الاتِّبَاعَ والإِذْعَانَ على آرائهم؛ قبَّل عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحجرَ الأسودَ، وقال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»، وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ أَسْفَلُ الخُفِّ أَوْلَى بِالمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ»، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنَ الأَدَبِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْ لَا يُسْتَشْكَلَ قَوْلُهُ؛ بَلْ تُسْتَشْكَلُ الآرَاءُ لِقَوْلِهِ، وَلَا يُعَارَضَ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ؛ بَلْ تُهْدَرُ الأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ، وَلَا يُحَرَّفَ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ يُسَمِّيهِ أَصْحَابُهُ المَعْقُولَ، وَلَا يُوقَفَ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ».

ومَنْ خالفَ أمرَه توعَّده اللَّه بمصيبةٍ أو عذاب؛ قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ودينُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ متينٌ، مَنْ طعَنَ فيه، أو لَمَزَ شيئاً منه، أو سَخِرَ منه؛ هلك، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

أيُّها المسلمون:

بعد وفاةِ النَّبيِّ ﷺ رحل الصَّحابةُ في الأوطان؛ لِجَمْعِ ما فَاتَهُم منها، قال جابر رضي الله عنه: «بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيراً، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْراً حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ»، فأخذ منه الحديث.

وتَوَالَى العلماءُ على حِفْظِ سُنَّتِه للنَّاس، وتأصيلِ الأُصولِ والقَوَاعِدِ لها، بتَصْنِيفِ الصِّحَاحِ والمَجَامِيعِ، والمَسانِيدِ والسُّننِ والآثَار، وكُتُبِ الجَرْحِ والتَّعْديل، لاقَوْا في ذلك الشَّدائدَ والأَخْطَار، وسطَّروا للتَّاريخ العَجَب في الصَّبرِ والجَلَد، قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: «طَافَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله الدُّنْيَا سِنِينَ، حَتَّى جَمَعَ المُسْنَدَ»، ورَحَلَ بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ رحمه الله من الأَنْدَلُس إلى بغدادَ على قَدَمَيْه، حتى يسمعَ الحديثَ من الإمام أحمد.

وفي مواطن إلقاء الشُّبُهات يكون التَّمسُّك بالسُّنَّة أَلْزَم، واتِّباعُها أَوْجَب، قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «لَا يُلْتَفَتُ إِلَى الآرَاءِ - وَلَوْ قَوِيَتْ - مَعَ وُجُودِ سُنَّةٍ تُخَالِفُهَا».

فالواجب على العبد: تقديمُ الوَحْيِ على العقل، وتعظيمُ سُنَّة النَّبيِّ ﷺ في النُّفوس، وتَلقِّيهَا بالقبولِ والرِّضا، وكمالِ التَّسليمِ والانقياد.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

حَفِظ اللَّهُ سنَّةَ نَبيِّه ﷺ فوصلت إِلَيْنَا شَرِيعةً غَرَّاء؛ قال ﵊: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ**» (رواه ابن أبي عاصم)، والفلاحُ في العملِ بوصيَّتِه ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» (رواه الترمذي)، قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز ﵀: «عَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عِصْمَةٌ».

وتعظيمُ سُنَّتِه ﷺ تَقْتَضِي التَّسليمَ، وعدمَ طلبِ الهدى من غيرِ طريقِه، وحُسنَ الاتِّباع فيما بلَّغه عن ربِّه، ولا سعادةَ للعباد، ولا هدايةَ ولا نجاةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا باتِّباعِ كتابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ - اعتقاداً وقولاً وعملاً -، والاستقامةِ على ذلك والصَّبر عليه حتَّى الممات.

وحَقُّ النَّبيِّ ﷺ على أُمَّته: إبلاغُ رسالته للنَّاس على وَفْق ما جاء به، قال ﵊: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» (رواه البخاري).

فاجتهدوا في طاعة ربِّكم، وإبلاغِ سُنَّة نبيِّكم، والاهتداءِ بخير الهَدْيِ، هَدْيِه ﷺ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَخْلاقُ النَّبِيِّ ﷺ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

كرَّم اللَّهُ بني آدم وفضَّلَهم على كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تَفْضيلاً، واجْتبَى منهم مَنْ خصَّه بالنُّبوَّة والرِّسَالَة، واصْطفَى مِنْ أولئك: أفضلَهم؛ نبيَّنا مُحَمَّدَ بن عبدِ اللَّه، صفوةَ بني هاشم، وهاشمُ خِيارُ قريش، فهو خيارٌ من خيارٍ، اختاره اللَّه لهذه الأمَّة؛ لِهدايتها إلى دينِ اللَّهِ القَويم، وصراطِه المستقيم، فكانت حياتُه عبادةً وشُكْراً، ودعوةً وحِلماً، وابتلاءً وصبراً، تحلَّى فيها بخُلُقٍ سام وفَأْلٍ محمود، شمائلُه عِطرةٌ وسيرتُه حافلة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اضْطِرَارُ العِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ».

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع عشَر من شهر شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

مَا مِنْ خيرٍ إلَّا دلَّ الأُمَّةَ عليه، وما مِنْ شرٍّ إلَّا حذَّرَها عنه، قال عن نفسِه ﷺ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ» (متفق عليه).

قضى قريباً مِن شَطْر زَمَنِ رسالته يدعو لأمرٍ واحدٍ هو أعظمُ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّهُ به، مَنْ لَمْ يَسْتجب له فيه خلَّده اللَّه في النَّار وحرَّم الجنَّةَ عليه، اسْتَفتَحَ رِسَالتَه به وقام على جبلِ الصَّفا وقال لقريشٍ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا».

مكثَ عشر سنواتٍ في مكَّةَ لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ دعا إلى بقيَّةِ الشَّرائعِ معه إلى مماته، ووَعَد مَنْ حقَّق هذا الأمر بدعوةٍ منه مُستجابةٍ له يوم القيامة، فقال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً» (متفق عليه).

كثيرُ التَّعبُّد للَّه؛ قَامَ بالطَّاعةِ والعبادةِ خيرَ قيام، قدَماه تَتَشَقَّقُ من طولِ القيام، في ركعةٍ واحدةٍ قرأ البقرةَ وآلَ عمران والنِّساء، وكان جميلَ الصَّوتِ في تلاوة القرآن؛ قال البراء رضي الله عنه: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي العِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾؛ فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحسَنَ صَوْتاً أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ» (متفق عليه).

خاشعٌ للَّه يُصلِّي وفي صدره أَزِيزٌ كأَزِيز المِرْجَل من البكاء، ولسانُه لا يفتُر عن ذكر اللَّه، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» (رواه مسلم)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

يُحبُّ الصَّلاةَ ويُوصِي بها؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ مَوْتِهِ: الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، قَالَ: حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ وَمَا يَكَادُ يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ - أَيْ: مَا يَقْدِرُ عَلَى الإِفْصَاحِ بِهَا -» (رواه أحمد).

وكان يَحثُّ صغارَ الصَّحابةِ على نوافل الصَّلَوَات؛ قال لابنِ عُمرَ رضي الله عنهما وهو فتًى: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» (متفق عليه).

يقينُه باللَّه عظيم، مُوقِنٌ بأنَّ كلام اللَّهِ فيه شفاء، إذا مَرِض يَرقِي نفسَه بكلام اللَّه، قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ» (متفق عليه).

مُعظِّمٌ للرُّسُلِ مِنْ قبلِه؛ قال له رَجُلٌ: «يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ! فَقَالَ: ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ» (رواه مسلم).

ونَهى عن إِطْرَائِه وتَعْظِيمِه؛ فقال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (رواه البخاري).

يدعو كلَّ أَحدٍ إلى هذا الدِّين ولو كان المَدْعُو صغيراً، زار غلاماً يهوديّاً مريضاً، فَقَعد عند رأسه، وقال له: «أَسْلِمْ؛ فَأَسْلَمَ - الغُلَامُ -»

(رواه البخاري)، يتواضَعُ للصَّغير ويغرِسُ في قلبه العقيدة؛ قال لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

يتلطَّفُ في تعليم صحابَتِه ويُظهِرُ ما في قلبِه من حُبِّه لهم؛ أَخَذَ بيدِ مُعاذ وقال له: «**إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» (رواه أبو داود).

لا يُعنِّفُ ولا يتكبَّر؛ بل صدره مُنشرحٌ لكلِّ أَحَدٍ؛ دخل رجلٌ وهو يَخْطُب، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا» (رواه مسلم).

رفيقٌ بالشَّبابِ مُشْفِقٌ عليهم؛ قال مالكُ بن الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا؛ فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقاً رَحِيماً، فَقَالَ: **ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» (متفق عليه).

دَمْثُ الأخلاق؛ ليس بفاحشٍ ولا مُتفَحِّشٍ في الألفاظ، وحياؤُه أشدُّ من العَذْراءِ في خِدْرِها.

عفُّ اليد؛ لَمْ يَضْرِبْ أحداً في حياته، قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ولَمْ يَنْتَقِمْ لنفسِه؛ بل يَعْفُو ويَصْفَح، وإذا خُيِّر بين أَمْرَيْنِ أَخَذَ أَيْسَرَهُما ما لَمْ يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ النَّاس منه.

طَلْقُ الوَجْه؛ قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «مَا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ إِلَّا تَبَسَّمَ».

واصلٌ لِرَحِمِه، صادقٌ في حديثِه، قاضٍ لحوائج المكروبين، قالت له خديجة رضي الله عنها: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ».

بارٌّ بوالدته؛ زار قبرها فبكى وأبكى مَنْ حولَه، وقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا؛ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا؛ فَأَذِنَ لِي**» (رواه مسلم).

يُوصِي بالجار ويَحُثُّ على حُسنِ جِوارِه وإِكْرامِه؛ قال لأبي ذَرٍّ رضي الله عنه: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً؛ فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**» (رواه مسلم).

رقيقُ القلب رفيقٌ بمَنْ تَحتَ يده؛ خدَمَهُ أنسٌ رضي الله عنه عَشْر سِنِينَ،

فمَا قالَ له النَّبيُّ ﷺ أُفٍّ قطُّ، وَلَا قالَ لِشَيْءٍ صَنَعَهُ: لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ؟

رحيمٌ بالضُّعفاء والمرضى؛ أَمَرَ مَنْ يُصلِّي بهم أَنْ يُخفِّفَ صلاته مِنْ أجلِهِم، رؤوفٌ بالنَّاس شديدُ الحِلْم؛ بالَ أعرابيٌّ جَهْلاً منه في مسجدِه، فَتَنَاوَلَهُ النَّاس، فقال لهم: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ -، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» (رواه البخاري).

كثيرُ البذل والعطاء، لا يَرُدُّ سائلاً ولا مُحتاجاً؛ قال حكيمُ بن حزام رضي الله عنه: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي» (متفق عليه)، كريمُ اليد واسعُ الجُود؛ جاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جَبَلَيْن، ورأى رجلٌ عليه بُردةً فقال: «اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا! فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا» (رواه البخاري).

طيبٌ لا يأْكُلُ إلَّا طيِّباً، يَتَوَارَى عن أيِّ شُبهةٍ في المَطْعَم أو المَشْرَب؛ قال ﷺ: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً؛ فَأُلْقِيهَا» (متفق عليه).

يُجِلُّ صحابته ويُعظِّمُ مكانَتَهُم - وإن كانوا حَدِيثِي السِّنِّ -، قال عن أسامة بن زيد - وهو لم يتجاوز حينذاك الثَّامنةَ عشرةَ مِنْ عُمُرِه -: «أُوصِيكُمْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ» (رواه مسلم)، وإذا مرِضَ أحدهم عادَه وحَزِنَ لمُصابه، زار سعد بن عُبادة فوجدَ مَرَضَهُ شَدِيداً فبكى.

وَفِيٌّ مع صحابته، لَمْ يَنْسَ فضلَهم وإيثارَهم، آخِرَ يومٍ صَعدَ فيه المنبر قال: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي - أيْ: جَمَاعَتِي وَخَاصَّتِي الَّذِينَ أَثِقُ بِهِمْ وَأَعْتَمِدُهُمْ فِي أُمُورِي - وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» (رواه البخاري).

وحَفِظَ لخديجةَ رضي الله عنها مواقِفَها العظيمة وبَذْلَها السَّخيَّ، وعقلَها الرَّاجِح، فكان يَذْكُرُها بالخير بعد وفاتها ويَصِلُ أَقْرِبَاءَها ويُحسِنُ إلى صَدِيقَاتِها.

وأمر بسدِّ كلِّ خَوْخَةٍ - أي: بَابٍ يُفتَحُ من بُيوتِهم على مسجدِه - سوى باب أبي بكرٍ رضي الله عنه وفاءً له.

ومع عِظَم أَعْبَاء ما أُوكِل إليه من الرِّسالةِ كان جميلَ العِشْرَةِ مع أهلِه مُتلطِّفاً معهم، فإذا دخل بيتَه «يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (رواه البخاري).

رقيقٌ مع أولادِه وأحفادِه مُكرِمٌ لهم، «إِذَا دَخَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ يَقُومُ لَهَا وَيَأْخُذُ بِيَدِهَا وَيُجْلِسُهَا فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ» (رواه أبو داود)، وكان يَضعُ الحَسَنَ على عاتِقِه فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ؛ فَأَحِبَّهُ» (متفق عليه)، وخرج على صحابته وبنتُ ابنته أُمَامَةُ على عاتقه، فصلَّى بها، «فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا» (متفق عليه).

وَصَفَ عثمانُ رضي الله عنه معاملتَه لصحابتِه فقال: «صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ» (رواه أحمد).

ذاقَ من الحياةِ مُرَّها ولأْواءَها؛ قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلَتْنِي؛ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ» (متفق عليه)، وربطَ على بطنِه الحَجَرَ من الجوع؛ قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَيْ: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم).

لَاقَى من المِحَنِ والشَّدائدِ أَشَقَّها؛ نَشَأَ يَتِيماً، وأُخرِج من بَلَدِه، وحُوصِر في الشِّعبِ ثلاث سنين، واختفَى في غارٍ، ومات له سِتَّة من الولد، وتبِعَه قومُه في مُهاجَرِه وقَاتَلُوه، ومكرَ به أهلُ النِّفاق، وسُقِي السُّمَّ، وعُمِل له السِّحْر، وكان يقول: «**أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ**» (رواه الترمذي)، ومع ما لاقاه من تلك المصائب وغيرها كان مُتفائلاً في حياته ويقول: «**يُعْجِبُنِي الفَأْلُ؛ الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ، الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**» (متفق عليه).

أعرضَ عن الدُّنيا ورجا ما عند اللَّه؛ فكان يقول: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**» (رواه الترمذي)، ففارقَ الحياةَ ولم يُخَلِّف شيئاً من حُطامها؛ قالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيراً، وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ» (رواه مسلم)، ووصفه عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: «لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ» (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالنَّبيُّ ﷺ قد أدَّى أمانةَ رسالته ونصحَ لأُمَّته، وقال: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ ناراً، فَجَعَلَ الجَنَادِبُ - طَائِرٌ يُشْبِهُ الجَرَادَ - وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» (رواه مسلم).

ومِنْ وفاءِ الأُمَّة له: أداءُ حقوقِه من الإيمانِ به والتَّصديقِ بما جاء به، فقال: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم)، ومن حقِّه ﷺ: تقديمُ حُبِّه على جميع المَحَابِّ؛ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (متفق عليه).

ومن واجبات الأُمَّة في جَنابه: طاعتُه فيما أَمَر، واجتنابُ ما عنه نَهى وزَجَر؛ قال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (رواه البخاري).

ومن أصول الشَّهادة له بالرِّسالَة: أن لا يُعبَدَ اللَّهُ إلَّا بما شَرَع؛ قال ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ» (رواه أبو داود).

ومن محبَّته: قراءةُ سيرتِه ومعرفةُ هَدْيِه في كلِّ حِين، ونَشْرُ دعوته في الآفاق، وأن يَدْعُوَ المُسلمُ لِمَا دعا إليه من التَّوحيدِ وأوامرِ الدِّين

ومحاسنِه وفضائِلِه، ومَنْ جَعَلَ النَّبيَّ ﷺ قُدْوَتَه في عباداتِه ومعاملاتِه؛ نالَ الفلاحَ والرِّضا.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ الدَّارَيْن بطاعتِه ﷺ، وعلى قَدْر متابعتِه تكون الهداية والعِزَّة والنَّجاة؛ قال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾.

ومَنْ أَطاعَهُ صَلَح دينُه وحَسُنَتْ دُنْيَاه وانْشرَحَ صدرُه، ومَنْ أَحبَّ أن يكون رفيقَه في الآخرة فَلْيَكُنْ مُقْتَفياً أَثرَه، مُسْتنّاً بسُنَّتِه، مُعْرِضاً عمَّا يُناقِضُ الشَّهادةَ له بالرِّسالةِ أو يُنقِصُها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آلِه وأصحابِه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

جَعَل اللَّه تَعالى في الحياةِ قوَّةً بين ضَعفَين؛ وتلك القوَّة هي العِمادُ في الحياة والثَّمرة في الآخرة، وسِنُّ الشَّبابِ هو القوة بعد الضَّعف، فيه تَوَقُّد العزيمة وعُلوُّ الهمَّة، ونَفْعُهم عبر العصور كبير، قال قومُ إبراهيمَ عليه السلام عنه: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾، وقال اللَّه عن يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أَي: الفَهْمَ وَالعِلْمَ وَالجِدَّ وَالعَزْمَ، وَالإِقْبَالَ عَلَى الخَيْرِ، وَالإِكْبَابَ عَلَيْهِ، وَالاجْتِهَادَ فِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ حَدَثُ السِّنِّ»، وقال تعالى عن أصحاب

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي عشَر من شهر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكَرَ تَعالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ - وَهُمُ الشَّبابُ -، وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ المُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ شَبَاباً»، ومن السَّبعة الَّذين يُظلُّهم اللَّه في ظلِّه يوم القيامة: «**شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ**» (متفق عليه).

وسيرةُ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ مع صِغار الصَّحابةِ وشبابِهم أعظمُ سيرة؛ تَواضَعَ لهم وجَالَسَهم وزارَهُم وعَلَّمَهم ورفَعَ هِمَمَهُم، فَخَرَجَ منهم أَعظَمُ جِيل.

فمِنْ تواضُعِه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا مَرَّ بِصِبْيَانٍ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ» (متفق عليه)، قال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الصِّبْيَانِ مِنْ خُلُقِهِ العَظِيمِ وَأَدَبِهِ الشَّرِيفِ وَتَوَاضُعِهِ».

وكان النَّبيُّ ﷺ شديدَ الحرصِ على تعليمِهم، قال جُنْدُبُ بنُ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ - أَيْ: قَارَبْنَا البُلُوغَ -، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ القُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَاناً» (رواه ابن ماجه).

وكان يَغرِسُ العقيدةَ في نفوسِهم، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوماً، فَقَالَ: **يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...**» الحديث (رواه الترمذي).

ويَتلطَّفُ في تعليمِهم بتنوُّع طُرُقِه:

فأحياناً يأخذُ بأيديهم، قال معاذٌ ﵁: «أَخَذَ بِيَدِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **إِنِّي أُحِبُّكَ**، قُلْتُ: وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: **أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِكَ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

وأحياناً يَضَعُ كفَّ أحدِهم بين كفَّيْهِ، قال ابنُ مسعودٍ ﵁: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ - التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» (متفق عليه).

وأحياناً يأخذُ بمَنْكِب أحدِهم، قال عبدُ اللَّه بنُ عمرَ ﵄: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» (رواه البخاري).

ولرأفتِه في التَّعليم كانوا يأتُون إليه ويقولون له: «عَلِّمْنَا»، قال ابن مسعودٍ ﵁: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ - أَيْ: مِنَ الْقُرْآنِ -، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: **إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**» (رواه أحمد)؛ فكان أحد قرَّاء هذه الأمَّة.

وكان يَصبِرُ على تعليمِهم، قال جابرٌ ﵁: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» (رواه البخاري).

ومِنْ تَوَدُّدِه لهم: كان يُردِفُهم خلفَه إذا رَكِب دابَّته مع وجودِ كِبارِ

الصَّحابة، فأَرْدف أسامة ﵁ مِن عَرفَةَ إلى المُزْدَلِفةِ، ثمَّ أَرْدف الفضلَ بنَ العبَّاسِ ﵄ من المُزْدَلِفةِ إلى مِنًى (متَّفق عليه).

وكان يحثُّهم على العبادة، قال لعبدِ اللَّه بنِ عمرَ ﵄ - وهو يومئذٍ غلام -: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؛ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» (متَّفق عليه).

وكان يُوَجِّهُهُم بألطفِ عبارة، قال لخُرَيْم الأَسَدِيِّ ﵁: «نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا خُرَيْمُ! لَوْلَا خَلَّتَانِ فِيكَ، قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِسْبَالُكَ إِزَارَكَ، وَإِرْخَاؤُكَ شَعْرَكَ» (رواه أحمد).

وكان يُشْفِقُ عليهم ويَسْأَلُهم عن أهلِيهِم، قال مالكُ بنُ الحُوَيْرِثِ ﵁: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ - أَيْ: شَبَابٌ - مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا؛ فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقاً رَحِيماً، فَقَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (متَّفق عليه).

والنَّبيُّ ﷺ وهو الرَّجلُ العظيمُ كان يُمازِحُ الصِّبيان، قال مَحْمودُ بن الرَّبيع ﵁: «عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ - أيْ: أَدْخَلَ النَّبيُّ ﷺ ماءً فِي فَمِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبِيِّ عَلَى سَبِيلِ المُمَازَحَةِ -» (متفق عليه).

بل ويَسألُهُم عن طيورِهِم ويَكْنِيهِم مُلَاطَفةً لهم، قال أنسٌ ﵁: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا

فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ - وَهُوَ طَيْرٌ صَغِيرٌ -» (متَّفق عليه)، قال ابنُ بطَّالٍ ﷺ: «كَانَ ﷺ يُمَازِحُ الصِّبْيَانَ وَيُدَاعِبُهُمْ لِيُقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي مُمَازَحَتِهِ لِلصِّبْيَانِ تَذْلِيلُ النَّفْسِ عَلَى التَّوَاضُعِ وَنَفْيُ التَّكَبُّرِ عَنْهَا».

وكان يأخذُهم معه بيدِه إلى بيتِه لإطعامِهم، قال جابرُ بنُ عبدِ اللَّه رضي الله عنهما: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ فِلَقاً - أَيْ: كِسَراً - مِنْ خُبْزٍ» (رواه مسلم).

وإذا دخلوا بيتَه يأذنُ لهم بسماع حديث بيتِه، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهُ ﷺ: **إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الحِجَابُ** - أَيْ: إِذَا رَأَيْتَ سِتَارَ البَابِ مَرْفُوعاً فَادْخُلْ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ بِالقَوْلِ -، **وَأَنْ تَسْتَمِعَ سِوَادِي** - أَيْ: سِرِّي - **حَتَّى أَنْهَاكَ** - أَيْ: عَنِ الدُّخُولِ -» (رواه مسلم).

وكان يأكلُ معهم، ويُعلِّمُهم آداب الطَّعام، قال عمرُ بنُ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما: «كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَيْ: فِي حَضَانَتِهِ -، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ - أَيْ: تَتَحَرَّكُ وَتَمْتَدُّ إِلَى نَوَاحِيهَا -، فَقَالَ لِي: **يَا غُلَامُ! سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» (متَّفق عليه).

ويُجيبُ دعوةَ صِغارِ أصحابِه وشبابِهم، قال عبدُ اللَّه بنُ بُسْرٍ المَازِنِيُّ رضي الله عنهما: «بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَدْعُوهُ إِلَى طَعَامٍ؛ فَجَاءَ مَعِي، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنَ المَنْزِلِ أَسْرَعْتُ، فَأَعْلَمْتُ أَبَوَيَّ، فَخَرَجَا، فَتَلَقَّيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَحَّبَا بِهِ» (رواه أحمد).

وإذا بلغه مرضُ أحدِ صِغار أصحابه عاده، قال زيدُ بن أرقمَ رضي الله عنه: «أَصَابَنِي رَمَدٌ - وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُ العَيْنَ -؛ فَعَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ» (رواه أحمد).

وكان عليه الصلاة والسلام يَسْتَشْرِفُ نبوغَ كلِّ واحدٍ منهم، فيوجِّهه بما ينفعُ نفسَه وأُمَّتَه؛ لَمَّا قَدِمَ ﷺ المدينةَ رأى زيدَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه - وهو دُونَ الخامسةَ عشْرة - يُحسِنُ الكتابةَ، فجعله من كُتَّابِ الوَحْيِ، وأَبْصَر فيه ذكاءً فطَلَب منه تعلُّمَ لغةِ اليهود؛ لِيُتَرْجِمَ له ما يُكتَب بلسانهم، قال زيدٌ رضي الله عنه: «فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ» (رواه أحمد).

وحثَّ على تعلُّم كتاب اللَّه مِن صِغارِ أصحابِه، فقال: «**خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ** - أَي: ابْنِ مَسْعُودٍ -، **وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ**» (متفق عليه).

وكان يُثْنِي عليهم ويُظهِرُ مكانتَهم؛ سمِع قراءةَ سالمٍ مولى أبي حُذيفةَ رضي الله عنه - وهو غلامٌ صغيرٌ، حَسَنُ الصَّوْت بالقُرآن -، فقال: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا!**» (رواه ابن ماجه)، ورأى مِن مُعاذٍ رضي الله عنه فِقْهاً، فقال: «**وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**» (رواه أحمد).

وكان يُظهِرُ محبَّته لصِغارِ أصحابه وشبابِهم، ويُخاطبُهم بذلك ليُبيِّنَ لهم ولغيرِهم منزلَتَهم عنده، قال عن زيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه: «**إِنْ كَانَ لَمِنْ**

أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا - أَيِ: ابْنَهُ أُسَامَةَ - لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ» (متفق عليه)، ورأى صبيانَ الأنصارِ ونساءَهم مُقبِلِين فقال: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» (متفق عليه).

وكان يدعو لصِغارِ الصَّحابة بخيرَيِ الدُّنيا والآخرة مَحبّةً لهم وإكراماً، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ» (رواه البخاري)، ودعا لأنسٍ رضي الله عنه بقوله: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ» (متفق عليه).

وكان يَخُصُّهُم بأسرارٍ دونَ غيرِهم ثِقَةً فيهم، قال أنسٌ رضي الله عنه: «أَسَرَّ إِلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سِرّاً، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَداً بَعْدُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي عَنْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ - وَهِيَ أُمُّهُ - فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ» (متَّفق عليه).

وكان يَعهَدُ إليهم الأمورَ العِظام، وَلَّى عَتَّابَ بنَ أَسِيد رضي الله عنه مكَّة، فأقامَ المَوْسِمَ وحَجَّ بالمسلمين سنةَ ثمانٍ، وهو دون العشرين عاماً.

وأكثرُ مَنْ روى حديثَ النَّبيِّ ﷺ بعدَ أبي هريرة رضي الله عنه خمسةٌ: أنسٌ وجابرٌ وابنُ عبَّاسٍ وابنُ عمرَ وعائشةُ رضي الله عنهم، وكلُّهم من صِغارِ الصَّحابة.

وكان عليه الصلاة والسلام يَسْتَشِيرُ صِغارَهم فيما يخصُّه من الأمور العِظام؛ ففي حادثةِ الإفكِ أَرْسلَ إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ وأُسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهم حين اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُما (متَّفق عليه).

وفي مَجلسِه ﷺ يُوَقِّرُهم ويُعْلِي من شأنِهم مع وجود كِبار الصَّحابة؛ «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَرَابٍ؛ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ

وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: **أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟** فَقَالَ الغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ! لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً، فَتَلَّهُ - أَيْ: وَضَعَهُ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ» (متَّفق عليه).

وكان ﷺ يَستعظِمُ المُصِيبةَ إذا كانت في الصِّغارِ والشَّباب، قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ شَبَابٌ مِنَ الأَنْصَارِ سَبْعِينَ رَجُلاً يُسَمَّوْنَ القُرَّاءَ، كَانُوا يَكُونُونَ فِي المَسْجِدِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعاً؛ فَأُصِيبُوا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَتَلَتِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً فِي صَلَاةِ الغَدَاةِ» (رواه أحمد، وأصلُه في الصَّحِيحَيْن).

وعامَّةُ مَنْ تَقدَّم إسلامُه ونصَر النَّبيَّ ﷺ في أوَّلِ أمرِه أعمارُهم ما بين الثَّامنةِ إلى الثَّلاثةَ عشَر عاماً؛ كعَلِيٍّ وطلحةَ والزُّبيرِ رضي الله عنهم.

ولَمَّا همَّت قريشٌ إخراجَ النَّبيِّ ﷺ من مكَّةَ جاءَه الأنصار من المدينةِ - ونِصفُهُم مِن الصِّغار -؛ فبايَعوه عند العَقَبَة مرَّتين.

وأرسل ﷺ إلى المدينةِ - شابّاً صغيراً بين يدَيْ هِجْرتِه، يُعلِّم أهلَها القرآنَ ويفقِّهُهم في الدِّين - مصعبَ بنَ عمير، فنزل على - شابٍّ مثلِه - أسعدَ بنِ زُرَارة؛ فآواه.

ولَمَّا عزم النَّبيُّ ﷺ على الهجرة أمرَ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه - وهو شابٌّ - أن يتخلَّف عن الهجرة حتَّى يُؤَدِّيَ عن رسول اللَّه ﷺ الودائعَ التي كانت عنده للنَّاس.

وفي طريقِ هجرتِه ﷺ آزرَه الصِّغارُ والشَّبابُ؛ فكان يأتِيه وهو في

الغَار مع صاحبِه عبدُ اللَّه بنُ أبي بكرٍ رضي الله عنهما، يَنقُلُ إليهما خَبرَ أهلِ مكَّةَ، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ - أَيْ: فَطِنٌ سَرِيعُ الفَهْمِ -» (رواه البخاري)، وأسماءُ رضي الله عنها كانت جَارِيةً صغيرةً تحملُ إليهما الطَّعامَ والشَّراب.

ولَمَّا وصل إلى المدينةِ استقبلَه غِلمانُها فَرَحاً به، قال البراءُ رضي الله عنه: «وَتَفَرَّقَ الغِلْمَانُ وَالخَدَمُ فِي الطُّرُقِ، يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا مُحَمَّدُ! يَا رَسُولَ اللَّهِ!» (رواه مسلم).

ولَمَّا استقرَّ عليه الصلاة والسلام في المدينةِ هاجر أصحابُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من مكَّة إلى المدينة وكانوا شباباً، قال أنسٌ رضي الله عنه: «قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم - أَيِ: المَدِينَةَ - وَلَيْسَ فِي أَصْحَابِهِ أَشْمَطُ - أَيْ: مَنْ شَابَ شَعْرُهُ - غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ» (رواه البخاري).

وفي غزوة بدر نَدَب النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه إلى القتال، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «فَتَسَارَعَ إِلَيْهِ الشُّبَّانُ» (رواه ابن حِبَّان)، ويوم حُنَيْن خرج شُبَّانُ الصَّحابةِ من غير سِلاحٍ.

وقبل موتِه عليه الصلاة والسلام جيَّشَ جيشاً عظيماً لغَزْو الرُّوم في الشَّام، وأمَّر عليهم أُسامةَ بنَ زيد رضي الله عنهما وعُمُرُه سبعةَ عشَر عاماً.

ولمُعَاملةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الفَريدةِ للصِّغارِ أَحبُّوه حُبّاً جمّاً؛ فكان إذا قَدِمَ من سفرٍ خرجوا من المدينة لاستقبالِه، قال السَّائبُ رضي الله عنه: «خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ» (رواه البخاري)، وكانوا يَبِيتُون مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في بيتِه، قال رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ

الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ» (رواه مسلم).

وإذا ناموا في بيتِه يَضعُ أحدُهُم رأسَهُ عند رأس النَّبيِّ ﷺ على وِسادتِه، «بَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ - أُمِّ المُؤْمِنِينَ -، وَهِيَ خَالَتُهُ، قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فكلَّما عَلَتْ أخلاقُ العُظماءِ تواضَعَتْ للصِّبيَان.

والصَّغيرُ مَجبولٌ على مَحبَّةِ مَنْ دنا منه وعلَّمَه، وَإِدْراكُهُم في الحِفظِ والفَهْمِ قد يَفُوق الكِبارَ.

ودينُ الإسلامِ مُوافقٌ لِفِطْرتِهِم؛ يُحبُّونه ويحبُّون آدابَه وشرائعَه، وهديُ النَّبيِّ ﷺ تَنْشِئَتُهُم عليه، واحتقارُهم والإعراضُ عنهم لا يُوَافِقُ شِيَم العُقلاء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

هديُ رسولِ اللَّه ﷺ أكملُ الهديِ، وطريقتُه أكملُ الطُّرق، ومُعَامَلتُه أَرْفَعُ المُعامَلَة، وصِغارُ اليوم هُمْ أملُ الأُمَّةِ وعِمَادُها، ومَنِ ابتغَى الخير للنَّاشئة فَلْيَلزمْ هديَ النَّبيِّ ﷺ في تَعامُلِه معهم.

وبعنايتِه عليه الصلاة والسلام بصِغارِ أصحابِه وشبابِهم آلَ إليهم العلمُ، وانتفعت الأُمَّة بهم.

ومِنْ توفيقِ اللَّه للصِّبيان تيسيرُ عالمٍ لهم يُعلِّمُهم دينَهم، ويُؤدِّبُهُم بأخلاقِ الأنبياء عليهم السلام، وعلى أوليائهم أَنْ يَسْعَوا لهم بذلك.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

حُقُوقُ النبيِّ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالنَّعيمُ في اتِّباعِ الهُدى، والشَّقاءُ في مُوافقةِ الهَوَى.

أيُّها المسلمون:

مِنَنُ اللَّهِ على عباده جِسام، ونِعَمُهُ عليهم عِظام، ومِنْ أَجلِّ نِعَمِهِ أَنْ أَرْسلَ الرُّسُلَ به مُعرِّفين، ولِتَوْحِيدِه دَاعِين، وهمُ الوَسَائِطُ بين اللَّه وخلقِه في أمرِه ونهيه، والسُّفراءُ بينَه وبين عبادِه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

ولا سَبيلَ إلى السَّعادةِ في الدُّنيا والآخرة إلَّا على أيديهم، ولا طريقَ إلى معرفةِ الطَّيِّبِ والخبيثِ على التَّفصيلِ إلَّا من جِهتِهم، ولا

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر ربيع الآخر، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يُنالُ رِضا اللَّهِ البَتَّةَ إلَّا من طريقِهِم، قال شيخ الإسلام ﷺ: «الرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ العَالَمِ، وَنُورُهُ، وَحَيَاتُهُ، وَلَا بَقَاءَ لِأَهْلِ الأَرْضِ إِلَّا مَا دَامَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، فَإِذَا انْدَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنَ الأَرْضِ، وَانْمَحَتْ بِالكُلِّيَّةِ؛ خَرَّبَ اللَّهُ العَالَمَ العُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ وَأَقَامَ القِيَامَةَ».

وخيرُ الرُّسُل نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، وشرفُ أمَّته، وعلُوُّ منزلتِها به، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ قَصبَ السَّبْقِ إِلَى الخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ»، ولفَضْلِه كان صَحْبُهُ خيرَ صَحْبٍ لِنَبيٍّ، وقرْنُه خيرَ قَرْنٍ، وما فُضِّلَ إلَّا به، ولِفَضْلِ اللَّه عليه كان أكثرَ الرُّسُلِ تابِعاً يوم القيامة.

اختارَه اللَّه من بين النَّاسِ فكان سيِّدَ ولدِ آدم، واصطفاهُ اللَّه على الخلقِ فكان خيرَهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» (رواه مسلم).

عظَّمَه اللَّه فأقسَمَ بعُمره، ولم يُنادِه في كتابِه باسم مُجرَّدٍ كسائرِ الأنبياء؛ بل ما ناداه إلَّا باسم النُّبُوَّةِ والرِّسالَة، شرحَ اللَّه صدرَه، وغفَرَ ذنبَه، ورفَعَ ذِكرَه، وأَخَذَ اللَّهُ على النَّبيِّين الميثاقَ بالإيمانِ به؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَهُوَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ

الَّذِي لَوْ وُجِدَ فِي أَيِّ عَصْرٍ وُجِدَ، لَكَانَ هُوَ الوَاجِبَ الطَّاعَةَ، المُقَدَّمَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانَ إِمَامَهُمْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِبَيْتِ المَقْدِسِ».

ختَمَ اللَّهُ به النُّبُوَّةَ والرِّسالَةَ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وأتمَّ به الدِّين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، أيَّده اللَّه بالآيات، وأنْزَلَ عليه أفضلَ كتاب، وحفِظَ دينَه ووعَدَ بنصرِه.

الإيمانُ به ﷺ ومحبَّتُه وتصديقُه أصلٌ من أصول الدِّين، قُرِنَت الشَّهادةُ له بالرِّسالةِ بالشَّهادةِ للَّه بالوحدانيَّة، أرسله اللَّهُ إلى العرب والعجَم، والإنسِ والجنِّ؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

أرسله اللَّه رحمةً للعالَمين؛ فحصَلَ لهم النَّفعُ برسالتِه، ورحمتُه بالمؤمنين خاصَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ﴾، ما ترك خيراً إلَّا دلَّ الأمَّةَ عليه، ولا شرّاً إلَّا حذَّرها منه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ**» (متفق عليه).

ومَنْ لَمْ يُؤمِنْ بالنَّبيِّ ﷺ ويتَّبعْه؛ توعَّدَهُ اللَّهُ بالنَّار، قال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾.

وأهلُ الكتابِ واجبٌ عليهم الإيمانُ به واتِّباعُه؛ قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ، وَلَا**

نَصْرَانِيٌّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم).

ولا غِنى للنَّاس عن الإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ وطاعتِه في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، علانيةً وسِرّاً، جماعةً وفُرادَى، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُمْ أَحْوَجُ إِلَى ذَلِك مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ بَلْ مِنَ النَّفَسِ؛ فَإِنَّهُمْ مَتَى فَقَدُوا ذَلِكَ فَالنَّارُ جَزَاءُ مَنْ كَذَّبَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ».

بالنَّبيِّ ﷺ زكَّانا اللَّه، وعلَّمنا ما لَمْ نَكُنْ نَعْلَم؛ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، قال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَمْ تُمسِ بِنَا نِعْمَةٌ ظَهرَتْ وَلَا بَطنَتْ نِلْنَا بِهَا حَظّاً فِي دِينٍ وَدُنْيَا، أَوْ دُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا وَفِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا، إِلَّا وَمُحَمَّدٌ ﷺ سَبَبُهَا، القَائِدُ إِلَى خَيْرِهَا، وَالهَادِي إِلَى رُشْدِهَا».

ولا يَتَحقَّقُ إيمانُ العبدِ بالنَّبيِّ ﷺ إلَّا بِطاعَتِه؛ قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وقد أمرَ اللَّهُ بِطاعَتِه في أكثرَ من ثلاثينَ مَوْضِعاً من القرآن، وقرَنَ طاعتَه بطاعتِه، وقرَنَ بين مُخالَفَتِه ومُخالَفتِه، مَنْ أطاعَهُ فازَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أعظمُ خِصالِ التَّقوى وآكَدُها وأصلُها: إفرادُ اللَّه بالعِبادة، وإفرادُ الرَّسُولِ ﷺ بالمُتابعة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، وفي ذلك حياةُ المرءِ وسعادتُه؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، والفِتْنَةُ في مُخالَفتِه؛ قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومَنْ حادَّ الرَّسولَ أَذلَّه اللَّه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾، ومَنْ رَغِبَ عن سُنَّته تُوعِّدَ بِبَرَاءةِ النَّبيِّ ﷺ منه؛ قال ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي» (متفق عليه).

ومِنْ حقِّه ﷺ: أن لا يُعبَدَ اللَّهُ إلَّا بما شَرَع، لا بالأَهْوَاءِ والبِدَع، ولا رأيَ لأحدٍ مع سُنَّةٍ سَنَّهَا رسولُ اللَّه ﷺ، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم).

حبُّه من أعظمِ واجِباتِ الدِّين، ولا يكفِي فيها أصلُ المَحبَّة؛ بل واجبٌ أن تكونَ محبَّةً زائِدةً على محبَّة جميعِ الخلق حتى على النَّفسِ؛ قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (متفق عليه)، ولا يَنالُ العبدُ حلاوةَ الإيمان إلَّا بذلك؛ قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» (متفق عليه).

والمحبَّةُ الصَّادقةُ تظهرُ في المُتابَعَة؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، والصَّادقُ في محبَّته يُحشَرُ

معه في الآخرة، جاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» (متفق عليه).

ومِن محبَّته: النَّصيحةُ له بالإيمان به وبما جاءَ عنه، والتَّمسُّك بطاعتِه، واختِيارُ سُنَّته، ونشرُ علومِه، وتعظيمُ أمرِه، ومحبَّةُ أوليائِه، ومُعاداةُ أعدائِه؛ قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم).

تعظيمُه وتوقيرُه من أُسس الدِّين، ومن حِكَم بعثتِه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، قال الحليميُّ رحمه الله: «حُقُوقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجَلُّ، وَأَعْظَمُ، وَأَكْرَمُ، وَأَلْزَمُ لَنَا، وَأَوْجَبُ عَلَيْنَا مِنْ حُقُوقِ السَّادَاتِ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ، وَالآبَاءِ عَلَى أَوْلَادِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ، وَعَصَمَ بِهِ لَنَا أَرْوَاحَنَا، وَأَبْدَانَنَا، وَأَعْرَاضَنَا، وَأَمْوَالَنَا، وَأَهْلِينَا، وَأَوْلَادَنَا فِي العَاجِلَةِ، فَهَدَانَا بِهِ لِمَا إِذَا أَطَعْنَاهُ فِيهِ أَدَّانَا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

أعظمُ مَنْ عرَف قَدْرَه: أصحابُه رضي الله عنهم؛ قال عُروةُ بن مسعُودٍ رضي الله عنه: «وَاللَّهِ! لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً؛ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ» (رواه البخاري).

وأَشدُّ النَّاسِ حُبّاً له صَحَابَتُه؛ قال عمرو بن العاص ﵁: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

مَنْ عَرَفَ سِيرَتَه وسُنَّتَه، أو سَمِعَ بها وهو عَادِلٌ مع نفسِه لَمْ يَمْلِك إلَّا أن يُجِلَّه، سَمِع به ملوكُ النَّصارَى فَعَظَّمُوه، قال هِرَقْلُ: «لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ حجرٍ ﵀: «وَفِي اقْتِصَارِهِ عَلَى ذِكْرِ غَسْلِ القَدَمَيْنِ إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ سَالِماً، لَا وِلَايَةً، وَلَا مَنْصِباً، وَإِنَّما يَطْلُبُ مَا تَحْصُلُ بِهِ البَرَكَةُ».

رأسُ الأدبِ مع رسولِ اللَّه ﷺ: كَمالُ التَّسليمِ له، والانقِيادُ لأمرِه، وتلقِّي خبَره بالقَبُولِ والتَّصديق، ومن الأدبِ معه: أن لا يُسْتَشْكَلَ قولُه؛ بل تُسْتَشْكَلُ الآراءُ لقولِه، ولا يُعارَضُ قولُه بِقِيَاسٍ، ولا يُوقَفُ قَبولُ ما جاء به على مُوافَقَة أَحدٍ، قال ابن القيِّم ﵀: «العَقْلُ مَعَ الوَحْيِ، كَالعَامِّيِّ المُقَلِّدِ مَعَ المُفْتِي العَالِمِ؛ بَلْ وَدُونَ ذَلِكَ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ لَا تُحْصَى».

ومِنْ أَعظمِ حقوقِه: إنزالُه المنزلةَ التي أنزله ربُّه ﷻ من العبوديَّة والرِّسالة؛ فلا يُرفَعُ إلى منزلةِ الرُّبوبيَّة فيُدعَى من دونِ اللَّه، ولا يُحطُّ من قدرِه فيُترَك اتِّباعُه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فنبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ رَسُولُ اللَّهِ حقّاً، أحبَّه اللَّهُ وأمرَنا بحبِّه، وبعثَه وأمرَنا بتصديقِه، وأيَّدَه وأمرَنا بالتَّمسُّكِ بِشَرِيعَتِه، وأَعزَّه وأَمرَنا بالذَّبِّ عنه، ولَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ إلَّا بالإيمانِ به، واقتِفاءِ أثرِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الرِّسالةُ ضروريَّةٌ في إصلاحِ العبدِ في مَعَاشِهِ ومَعَادِهِ؛ فكَمَا أنَّه لا صَلاحَ له في آخرتِه إلَّا باتِّباعِ الرِّسالة، فكذلك لا صلاحَ له في مَعَاشِهِ ودُنْيَاهُ إلَّا باتِّباعِ الرِّسالة، فالعِزُّ في طاعة اللَّه ورسولِه ﷺ، وكلَّما كان المرءُ مُقْتدِياً بالنَّبيِّ ﷺ علَت درجتُه.

ومَنْ أبغضَ النَّبيَّ ﷺ أو هَدْيَه؛ خَذَلَهُ اللَّه، وأَذلَّه، وأَهانَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، وكلُّ أُمَّةٍ تُعظِّمُ نبيَّها وصحابتَه، وأعظمُ شرفٍ لهذه الأُمَّةِ تعظيمُ نبيِّها وحبُّ صحابتِه؛ فبه رِفعتُها، وسعادتُها، وتقدُّمُها على الأُمم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فخيرُ الزَّاد ما صحِبَه التَّقوى، وخيرُ العمل ما قَارَنه الإخلاصُ للمولَى.

أيُّها المسلمون:

أوجدَ اللَّهُ الثَّقلَيْن لعبادتِه، وأمرَهم بامتِثالِ أوامره، وكتبَ السعادةَ لأهل طاعته، وعبادتُه سبحانه هي الحِصنُ الذي مَن دخله كان من الآمِنين، ومن أدَّاها كان من النَّاجِين، وهي خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيها؛ قال ﷻ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وكلُّ خيرٍ في الأرض فإنَّه بسبب طاعةِ اللَّه ورسولِه، والشَّرُّ والألَمُ والغَمُّ الذي يُصيبُ العبدَ في نفسِه فإنَّما هو بسببِ مُخالفةِ الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام؛

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ تَدبَّرَ العَالَمَ وَالشُّرُورَ الوَاقِعَةَ فِيهِ: عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَرٍّ فِي العَالَمِ سَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَالخُرُوجُ عَنْ طَاعَتِهِ».

ومِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بعبادِه: أَنْ أمرَهم بالاستِجابةِ له؛ لِيَنالَهُم الخير؛ فـقـال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ فاستجابَ المؤمنون لربِّهم وأفلحوا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وبذلك أَحيَا اللَّهُ قلوبَهم وعلا قدرُهم؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ومَنْ بَادرَ إلى طاعة ربِّه زادَه هُدًى إلى هُداه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكُلَّما كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِنَبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ وَإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ».

ومَنِ استَجابَ لربِّه أُجيبَ دُعاؤُه؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يُجيبُ دُعاءَهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ بل وأَحبَّهُ اللَّه ورَحِمَه وأَدْخَلَه الجنَّة؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجَنَّة.

والرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بادَرُوا إلى الإِذْعَان والتَّسْلِيم؛ قال اللَّه لخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأمره بذَبْح ابنه الأَوْحَدِ بيدِه فَتلَّه للجَبِينِ لِذَبْحِه، وابنُه إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وموسى عليه السلام سارع لإرضاءِ ربِّه وقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

وأخذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبيِّين إِنْ بُعِثَ فيهم نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ أن يُؤمِنوا به وينصُرُوه، فقالوا: ﴿أَقۡرَرۡنَاۚ﴾.

وقال اللَّهُ لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، فخرجَ إلى النَّاسِ دَاعِياً إلى التَّوحيد، وقال له: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، فقام حتى تفطَّرَت قدماه.

وحوارِيُّو عيسى عليه السلام استَجابُوا له، قال لهم عيسى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

وحَثَّ الجنُّ بعضُهم بعضاً إلى إجابةِ دُعاء اللَّه: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

ونالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم الفضلَ؛ لِصُحبتهم وإخلاصِهم وسَبْقِهم في الاستِجابة للَّه ولرسولِه، فزادَت رِفعتُهم عند اللَّه، أُمِرُوا باسْتِقبَالِ الكعبة فَحَوَّلُوا وِجهتَهم من بيت المَقْدِس إليها حِينَما سَمِعُوا بِتَغْيِيرهَا وهم في الصَّلاة، ولم يُؤَخِّرُوا الامتِثالَ إلى الصَّلاة التي تَليهَا.

وندَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّدقة، فبذَلُوا نفيسَ أموالهم؛ فأنفقَ عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفقَ أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مالَه كلَّه، وقال ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ؛ فَلَهُ الجَنَّةُ**، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه» (رواه البخاري).

ونَزَلَ قولُ اللَّه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فقام أبو طلحة رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ» (رواه البخاري).

وبإشارةٍ من النَّبيِّ ﷺ لصِغارِ الصَّحابةِ إلى فَضْلِ قِيامِ اللَّيلِ كَانُوا عُبَّاداً لِلَّه فيه؛ قال ﷺ لِعبدِ اللَّهِ بن عُمَر رضي الله عنهما وهو صَغيرٌ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؛** فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» (متفق عليه).

وَفدَوُا النَّبيَّ ﷺ بأرواحِهم طاعةً للَّه؛ أتى المِقدادُ بنُ الأسودِ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ وهو يَدْعُو على المُشركين، فقال: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ - يَعْنِي: قَوْلَهُ -» (متفق عليه).

وكفَّ الصَّحابةُ عن أقوالٍ وأفعالٍ حين سَمِعُوا النَّبيَّ ﷺ يَنْهَى عنها ولم يُراجِعُوهُ فيها اسْتِجَابةً له؛ في الجاهليَّة كانوا يَحْلِفُونَ بآبائِهم واعْتَادَتْه أَلْسِنَتُهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا، ذَاكِراً وَلَا آثِراً - أَيْ: نَاقِلاً هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَنْ غَيْرِي -» (متفق عليه).

وفي يوم مَجَاعةٍ طَبَخُوا طعاماً وتركُوهُ لِنَهْيِ النَّبيِّ ﷺ عنه، في يوم خيبَر كانت الحُمرُ الأهليَّةُ مُباحةً فطَبَخُوها، فنادَى مُنادِي رسولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ؛ فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ**

الشَّيْطَانِ، قَالَ أَنَسٌ ﵁: فَأُكْفِئَتِ القُدُورُ بِمَا فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ» (متفق عليه).

والخَمْرُ كان مُباحاً إلى أوائلِ الإسلام، وبِسَمَاعِهِم نَهْيَه مِنْ رجُلٍ يمشِي في الطُّرُقات أراقُوها، قال أبو النُّعمان ﵁: «كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «فَمَا رَاجَعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ» (رواه مسلم).

ويَتَأَسَّوْن ﵃ بالنَّبيِّ ﷺ فيما يلبَسُونَه من غير أن يُكلِّمَهُم بشيءٍ؛ قال ابن عمر ﵄: «اصْطَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الخَاتِمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ**؛ فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَداً**؛ فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ» (متفق عليه).

وكتبَ عبدُ اللَّه بن عمر ﵄ وصيَّته حين سمِع قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**، قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﵄: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ؛ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي» (متفق عليه).

وبادَرُوا ﷺ إلى حِفظِ أَلْسِنَتِهِم عمَّا لا يليقُ؛ امْتِثَالاً لِوَصيَّةِ النَّبيِّ ﷺ؛ قال جابرُ بن سُلَيْم ﷺ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ، وَفِيَّ جَفَاؤُهُم؛ فَأَوْصِنِي، قَالَ: **لَا تَسُبَّنَّ أَحداً**، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحداً، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيراً» (رواه أحمد).

وانْقَادُوا لِأَوَامِرِ النَّبيِّ ﷺ في حَرَكَاتِهِم وسَكَنَاتِهِم، في يوم خيبَرَ أعطى النَّبيُّ ﷺ الرَّايَةَ لِعَلِيٍّ ﷺ، وقال له: «**امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**، فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! - أَيْ: رَفَعَ صَوْتَهُ لِبُعْدِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَلْتَفِتِ؛ امْتِثَالاً لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ -: عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟» (رواه مسلم).

وابتَعَدُوا عمَّا نهاهم عنه - وإن كان في ارتكاب النَّهي مصلحةٌ ظاهرةٌ لنُصرة المسلمين -، قال النَّبيُّ ﷺ لحُذيفة يوم الأحزاب: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ! فَأْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ** - أي: لا تفزعْهُم فيَعْرِفُوك ويُقبِلُوا عَلَيْنَا -، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَأَى أَبَا سُفْيَانَ - وَكَانَ حِينَئِذٍ قَائِدَ المُشْرِكِينَ - قَرِيباً مِنْهُ، يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ - أَيْ: يُدْفِئُهُ مِنَ البَرْدِ -، قَالَ: فَوَضَعْتُ سَهْماً فِي كَبِدِ القَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ» (رواه مسلم).

واتِّباعُهم للنَّبيِّ ﷺ في الأوامر والنَّواهي عن إيمانٍ ويقينٍ راسِخ، قال رافعُ بن خُديج ﷺ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً، وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» (رواه مسلم).

ونساءٌ مُؤمناتٌ بادَرْنَ للاستِجابة طاعةً للَّه؛ هاجرُ عليها السلام توكَّلَتْ على ربِّها، وأطاعَت زوجَها، وسكَنَت وادياً لا زرعَ فيه ولا ماء، وليس بمكَّة يومئذٍ أحَد، وفي ظاهر الحال هلاكٌ لها ولولدِها، فقالت لزوجِها إبراهيمَ عليه السلام: «آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» (رواه البخاري).

ولمَّا نَزَلَ فَرْضُ الحِجَابِ على الصَّحَابيَّات لَمْ يَكُنْ إذْ ذَاكَ عندهم قُماشٌ للحجاب، فبادَرنَ إلى شقِّ ثِيابٍ لَهُنَّ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللَّه، وحَجَبْنَ به وُجُوهَهنَّ؛ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾؛ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ - وَهُوَ الزَّائِدُ مِنْ أُزُرِهِنَّ -، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» (رواه البخاري).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فطاعةُ اللَّهِ ورسولِه تحقيقٌ للشَّهَادَتَيْن وكمالٌ في العُبوديَّة؛ فإِنْ طَرَقَ سَمْعَك أمرٌ فسارِع لامتِثالِه وأَنْتَ فَرِحٌ مَسْرُورٌ بِعِبَادَةِ ربِّك، وإِنْ كَانَ نَهْياً فَاجْتَنِبْه وَانْأَ عنه مُوقِناً بِضَرَرِه، طالِباً مرضاةَ خالقِك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أكملُ النَّاس حياةً أكْمَلُهم استجابةً، ومَنْ فاتَه جُزءٌ منها فاتَه جزءٌ من الحياة، ومَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ للَّه اسْتَجَابَ لغيره من المخلوقين وأذلَّه.

واللَّهُ حذَّر من عِصيانِه فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال أَبُو بَكْرٍ ﵁: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» (متفق عليه).

والتَّردُّدُ في فِعل الطَّاعةِ أو الكسلُ في أدائِها يُنافِي كمالَ الامتِثال، ومن قدَّمَ قولاً على قولِ النَّبيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ من المُسْتَجِيبِينَ له، وفي الآخرة كلُّ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ «يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (رواه البخاري).

والمُعرِضُ يَتَمَنَّى الرُّجوعَ إلى الدُّنيا لِطَاعةِ اللَّهِ ورَسُولِه، ويَوَدُّ الافْتِدَاء بمِلْءِ الأرضِ ومِثْلِه؛ للنَّجاة مِنَ العُقُوبَة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب الرَّابِع

الإيمانُ باليومِ الآخِر

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : أشراطُ السَّاعة.

الفصل الثَّاني : يومُ القِيَامة.

الفصل الأوَّل

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ(١)

الحمد للَّه مُعزِّ مَنْ أَطَاعَه واتَّقاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَه وعَصَاه، أَحْمَدُه على جزيلِ كَرَمِه وما أَوْلَاه، وأَشْكُرُه على آلائهِ الجَسِيمَةِ وما أَسْدَاه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه ولا نعبد إلَّا إياه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ عبدٍ اجتباه، وأفضلُ رسولٍ اصطفاه، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ كان هواه تبعاً لِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وتَمسَّكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى، واعْلَمُوا أنَّ أقدامَكم على النَّارِ لا تَقْوى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الإيمانَ باليومِ الآخِرِ وما فيه من ثوابٍ وعقابٍ أحدُ أركانِ الإسلام ومَبَانِيهِ العِظَام، وقد جعلَ اللَّهُ بين يَدَيِ السَّاعةِ أَشْرَاطاً تَدُلُّ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر ذي القَعدة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

على قُرْبِها؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾، ولقد كان ﷺ يُعظِّمُ أَمْرَ السَّاعة؛ فكان إذا ذَكَرَها احْمرَّت وَجْنَتَاه، وعَلَا صَوْتُه واشْتَدَّ غضبُه، وقد أَبْدَى فيها وأَعَاد.

وقد كان الصَّحابةُ رضي الله عنهم يَتَذَاكَرُونَ أَمْرَ السَّاعة؛ قال حذيفة رضي الله عنه: «اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنا وَنَحْنُ نتَذاكَرُ، فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ» (رواه مسلم)، ولمَّا أكثر النَّبيُّ ﷺ مِنْ ذِكْرِهَا وتَعدَّدتِ الآياتُ بِقُرْبِهَا أَشْفَقَ الصَّحابةُ مِنْ قِيَامِهَا عَلَيْهِم.

هذا، وقد ظَهَرَ كثيرٌ مِنْ أَشْرَاطِهَا وتَحقَّق مَا أَخْبَرَ به المصطفى ﷺ، وكلَّ يومٍ يزداد فيه المؤمنون إيماناً به وتصديقاً له؛ إذْ يَظْهَرُ من دلائلِ نُبوَّتِه وآياتِ صدقِه ما يوجب على المسلمين التَّمسُّكَ بهذا الدِّينِ الحنيفِ لِيَتأَهَّبُوا للنُّقْلَة، فإنَّ السَّاعةَ قد قَرُبَتْ وبَدَتْ أَمَارَاتُها، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

وإذا ظَهَرَتِ الأَشْرَاطُ الكُبْرَى؛ تَتَابَعَتْ كتَتَابُعِ الخَرَز في النِّظام الذي انْفَرَطَ عِقْدُه؛ قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا؛ فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً» (رواه مسلم)، وفي المُسْنَد: «الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضاً».

أيُّها المسلمون:

مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعة: بعثةُ المصطفى ﷺ؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعاً، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي» (رواه أحمد).

ومِنْهَا: موته ﷺ، وقد أَظْلَمَتِ الدُّنيا في عُيُونِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم بوفاته.

ومِنْ أَشْرَاطِهَا: ظُهورُ فِتَنٍ عظيمةٍ يَلْتَبِسُ فيها الحقُّ بالباطل، ويتزلزلُ الإيمان، و«يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى القَبْرِ فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ - لِتغيُّرِ الأَحْوَالِ وَتبَدُّلِ الشَّرِيعَةِ - وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا البَلَاءُ» (متفق عليه)، يقول ابنُ مسعُودٍ رضي الله عنه: «سَيأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَوْ وَجدَ أَحدُكُمُ المَوْتَ يُبَاعُ؛ لَاشْتَرَاهُ»، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً» (رواه أحمد).

وآخِرُ هذه الأُمَّة تُصابُ بالبلاء؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ: جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ» (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

ومِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة: كثرةُ الزَّلازل، ويَقَعُ خَسْفٌ بالمَشْرِقِ وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ وخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَب، ويُكَلِّمُ السِّباعُ الإِنْسَ، ويُكَلِّمُ الرَّجلَ عَذْبَةُ سَوْطِه وشِرَاكُ نَعْلِه، ويُخْبِره فَخِذُه بما أحدث أهلُه بعدَه، وتَخْرُجُ دابَّةٌ على النَّاسِ ضُحًى تُكَلِّم النَّاسَ: أَنَّ النَّاسَ كانُوا بآياتِ ربِّهِم لا يُوقِنُون.

ويَقْرُبُ الزَّمان؛ فتَكُونُ السَّنَةُ كالشَّهر، والشَّهرُ كالجُمُعَة، والجُمُعةُ كاليوم، واليومُ كالسَّاعة، والسَّاعةُ كاحْتِرَاقِ السَّعَفَة، وتَكْثُرُ النِّساءُ ويَقِلُّ الرِّجالُ حتَّى يكونَ لِخَمْسينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ واحد، ويَخْرُجُ يَأْجُوج ومأجوج، في الصَّحيحَيْن عن زينبَ بنتِ جحشٍ رضي الله عنها أنَّ الرَّسول ﷺ دخل عليها يوماً فَزِعاً يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ،** وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا» (متفق عليه).

ويَقِلُّ العلمُ ويَظْهَرُ الجَهْلُ حتَّى لا يَعْرِفُ النَّاسُ فَرَائِضَ الإسلام؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَدْرُسُ الإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسُكٌ، وَيُسَرَّى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ - الشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالعَجُوزُ الكَبِيرَةُ -، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَنَحْنُ نَقُولُهَا**» (رواه الحاكم).

ويُسْتَهَانُ بالمَحَارِمِ ويُسْتَخَفُّ بالنَّواهي فَيُشْرَبُ الخمر، ويَفْشُو الزِّنى، ويُلقى الشُّحُّ في القلوب، ويَكْثُرُ الهَرْجُ - وهو: القَتْل -، «حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي القَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا المَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: الهَرْجُ؛ القَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ» (رواه مسلم).

وتَشْرَئِبُّ أعناقُ البَشَرِ إلى الدُّنيا؛ فيتطاولون في البُنْيَان، ويُعْرِضون عن دين اللَّه، ويَقَعُ الشِّركُ في هذه الأُمَّة وتَلْحَقُ قبائلُ منها بالمُشْرِكِين؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ» (رواه أحمد).

وإذا ابْتَعَدَتِ الأُمَّةُ عن دِينِهَا وأَضَاعَتْ مِلَّتَهَا وتَنَكَّرت لِشَرِيعَتِهَا؛ ضَلَّتْ وتَلَمَّسَتِ الهُدَى مِنْ غَيْرِ وَحْيِهَا؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ» (رواه البخاري).

ويَكْثُر فيها الدَّجَلُ والكَذِب، ويُبْعَثُ دجَّالون كذَّابون قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يَزْعُمُ أنَّه نبيٌّ.

وتُسْلَبُ صِفاتٌ مَحْمُودةٌ في البَشَرِ، فلا تَكادُ تُؤَدَّى الأَمَانَة؛ «فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلاً أَمِيناً، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» (متفق عليه)، ومِنْ إِضَاعةِ الأَمَانَة: إِسْنَادُ الأمرِ إلى غيرِ أَهْلِه.

و«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ المَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ»، وتُتْرَكُ المدينةُ عامرة «عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي - يُرِيدُ: عَوَافِيَ السِّبَاعِ، وَالطَّيْرِ -، ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا - أَيْ: المَدِينَةَ - وَحْشاً - أَيْ: خَالِيَةً، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ - حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا» (متفق عليه).

أيُّها المسلمون:

ليس بين خَلْقِ آدَمَ إلى قيام السَّاعةِ خَلْقٌ أَشَرَّ وأَكْبَرَ فِتْنَةً من الدَّجَّال، ومَا مِنْ نبيٍّ إلا حذَّر أُمَّتَه منه، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يَتعوَّذُ منه في كلِّ صلاة، وقد أَكْثَرَ ﷺ مِن ذِكْرِهِ لِأَصْحَابِه؛ قال النَّوَّاسُ بنُ سَمْعانَ رضي الله عنه: «حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! - أَيْ: نَاحِيَتِهِ -، فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (رواه مسلم).

وفي خَفْقَةٍ من الدِّينِ وإِدْبَارٍ من العلم يَخْرُجُ مَسِيحُ الضَّلالةِ مِنْ جِهَةِ المَشْرِق؛ فيَفِرُّ النَّاسُ منه في الجبال، ويَسِيرُ في الأرض، فلا يَتْرُكُ بَلَداً إِلَّا دَخَلَه، إلا مكَّةَ والمَدِينَة؛ فقد حرَّم اللَّهُ عليه دخولَهُما، كلَّما

أرادَ أَنْ يَدْخُلَهُمَا اسْتَقْبَلَه مَلَكٌ بِيَدِه السَّيفُ صَلْتاً يَصُدُّه عنه، على كلِّ نَقْبٍ من أَنْقَابِهِمَا ملائكةٌ يَحْرُسُونَهُمَا، وتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثلاث رَجَفَات فيَخْرُجُ منها كلُّ مُنافقٍ وكافر، ويَنْزِلُ في السَّبَخَة في الجُرْف، ويَكُونُ أكثرُ مَنْ يَخرُجُ إليه النِّساء، حتى إنَّ الرَّجلَ يَرْجِعُ إلى حَمِيمَتِه وإلى أُمِّه وابنتِه وأُختِه وعَمَّتِه فيُوثِقُها رِباطاً؛ مخافةَ أن تَخْرُجَ إلى الدَّجَّال.

أيُّها المسلمون:

إن للدَّجَّال فِتْنَةً عظيمة، معه نَهْرَانِ يَجْرِيَان: أحدُهما رأيَ العينِ ماءٌ أبيض، والآخرُ رأيَ العين نارٌ تأجَّجُ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهَرَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً، وَلْيُغْمِضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ**» (رواه مسلم)، هذا، وإنَّ الَّذي يَرى النَّاسُ أنَّه ماءٌ فهو نارٌ تَحْرِق.

يَمْتَحِنُ اللَّهُ عبادَه بالدَّجَّال؛ بما يَخْلُقُه معه من الخَوَارِقِ المُشَاهَدَة في زَمانِه، ويُقْدِرُه على أشياءَ من مَقْدُورَاتِ اللَّه تعالى؛ مِنْ إِحْياءِ الرَّجلِ المَيِّتِ الذي يَقْتُلُه، ومِنْ ظُهُورِ زهرةِ الدُّنيا والخَصبِ معه وجنَّتِه ونَارِه ونَهْرَيْه، واتِّباعِ كُنُوزِ الأَرْضِ له، وأَمْرِه السَّماءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِر والأرضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِت، ومَنْ لا يَسْتَجيبُ له ويَرُدُّ عليه أَمْرَه تُصيبُهُم السَّنَةُ والجَدْبُ والقَحْطُ والقِلَّةُ وموتُ الأَنْعَامِ ونقصُ الأموالِ والأنفسِ والثَّمراتِ، يقعُ ذلك كلُّه بقُدْرةِ اللَّه تعالى ومشيئتهِ، ثم يُعجزُه اللَّه تعالى بعد ذلك فلا يَقْدِرُ على قتلِ ذلك الرَّجلِ الذي أحياه بعد قتله ولا غيرِه.

يَبْتَلِي الرَّبُّ به عبادَه في آخرِ الزَّمان؛ فيُضِلُّ به كثيراً ويَهْدِي به كثيراً، ويَكْفُرُ المُرْتَابُونَ ويَزْدادُ الَّذين آمنوا إيماناً، لُبْثُه في الأَرْض: أَرْبَعُونَ يوماً؛ يومٌ كَسَنَة، ويومٌ كَشَهْر، ويومٌ كجُمُعَة، وسائرُ أيَّامِه كأيَّامِكُم، وإِسْرَاعُه في الأرض كَغَيْثٍ اسْتَدْبَرْتُه الرِّيح.

وأمَّا نَعْتُه: فشَابٌّ جَسِيمٌ أَحْمَر، أَجْلَى الجَبْهَة، عَرِيضُ النَّحْر، فيه دَفَأٌ - أي: انْحِنَاءٌ -، جَعْدُ الرَّأس، كثيرُ الشَّعر، أَعْورُ العَيْن، كأنَّ عَيْنَه عِنَبةٌ طَافِيَة، لا يُولَدُ له، قال تميمٌ الدَّاريُّ ﵁ في وصفه: «أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً وَأَشَدُّهُ وَثَاقاً»، وقال ﷺ في وصفه: «**مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ**» (رواه مسلم).

يقول الإمام السَّفَّارِينيُّ ﵀: «يَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمٍ أَنْ يَبُثَّ أَحَادِيثَ الدَّجَّالِ بَيْنَ الأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اشْرَأَبَّتْ فِيهِ الفِتَنُ وَكَثُرَتْ فِيهِ المِحَنُ».

إنَّ العِصْمَةَ منَ الدَّجَّال بالتَّمسُّك بالإسلام والتَّسلُّحِ بالإيمان ومعرفةِ أسماءِ اللَّه وصفاتِه الحُسْنَى على ضوءِ ما جاء في كتابِ اللَّه وسُنَّةِ رسوله ﷺ.

فالمسيحُ بَشَرٌ يَأْكُلُ ويَشْرَبُ واللَّهُ تعالى مُنَزَّه عن ذلك، والدَّجَّالُ أَعْوَرُ وربُّنا لَيْسَ بِأَعْوَر، واللَّهُ لا يَرَاهُ أحدٌ قبلَ أَنْ يَمُوت، والدَّجَّالُ يَرَاه النَّاسُ مُؤْمِنُهم وكافرُهم.

فأكثِروا من التَّعوُّذ من فِتْنَتِه، ومَنْ أَدْرَكَه منكُم فَلْيَقْرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهف، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ؛ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**» (رواه مسلم)، وفي لفظ: «**خَوَاتِيمِ سُورَةِ الكَهْفِ**» (رواه أبو داود)، وإذا سمعتَ بالدَّجَّال فَانْأَ عنه ولا تأتِهِ؛ فإنَّ الرَّجلَ ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنَّه مؤمن فيتبعُه ممَّا يبعثُ به من الشُّبهات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه الذي يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَه، ويَزِيدُ مَنْ شَكَرَه، ويَتُوبُ على مَنْ تَابَ إليه واسْتَغْفَرَه، ويعذِّبُ مَنْ جَحَدَه وكَفَرَه، أَحْمَدُه على سَابغِ نِعَمِهُ، وأسْأَلُه المزيدَ مِنْ فَضْلِه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، أَمَرَ المؤمنين بِتَقْوَاه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الذَّاكرين وقُدْوَةُ الشَّاكِرِين، صلى اللَّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتَّابعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

إذا خرج الدَّجَّال في آخر الزَّمان كَثُر أتباعُه وعَمَّت فِتْنته، ولا يَنْجُو منه إلا قِلَّةٌ مِن المؤمنين، وعند ذلك ينزلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام في شَرقَيْ دِمَشْق، عند المَنَارَة البَيْضَاء، ويَلتقي حولَه عبادُ اللَّه المؤمنون؛ فَيَسيرُ بهم قاصداً مَسيحَ الضَّلالة، ويكونُ الدَّجَّالُ عند نزولِ عيسى متوجِّهاً بيتَ المَقْدِس، فيَلْحَقُ به عيسى عليه السلام عندَ بابِ لُدٍّ في فِلسطين، فإذا رآه الدَّجَّال ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماء، فيقولُ له عيسى: إنَّ لِي فيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَفُوتَني، فيُدركُه عيسى فيَقتلُه بحربته، ويَنهزمُ أتباعُه، وبقتله تنتهي فتنته العظيمة، والأمر للَّه مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ.

عبادَ اللَّه:

وزمنُ عيسى بعد قتل الدَّجَّال زمنُ أمنٍ ورخاءٍ ورغدٍ من العيش، يُرْسِلُ اللَّهُ مطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وبر، ويُقَالُ للأرض: أَنْبِتِي

ثَمرتَكِ ورُدِّي بَركَتَكِ، فيَوْمَئِذٍ تَأْكلُ الجماعة من الرُّمَّانة، ويَسْتَظِلُّونَ بقِحْفِها ويُبَارَكُ في الرِّسْل - أي: اللَّبَن - حتى إنَّ اللَّقْحَةَ من الإبلِ لَتكْفِي الفِئَامَ من النَّاس، واللَّقْحَة من البَقَر لَتكْفِي القَبِيلَة من النَّاس، واللَّقْحَةَ من الغنَم لَتكْفِي الفَخِذَ من النَّاس، وتَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرض؛ فتَرْتَعُ الأُسُود معَ الإِبل، والنِّمَارُ معَ البَقَر، والذِّئَاب معَ الغَنَم، ويَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بالحَيَّات لا تضرُّهم.

وبعد مُكْثِ عيسى عليه السلام في الأرض سبعَ سِنِين يُرْسِل اللَّه رِيحاً بَارِدةً مِنْ قِبَلِ الشَّام، فلا يَبْقَى على وجهِ الأرض أَحَدٌ في قلبه مِثْقَالُ ذرَّةٍ من خَيْرٍ أو إيمانٍ إلَّا قَبَضَتْه.

وتقومُ السَّاعةُ وليس على وجهِ الأرض مَنْ يقول: اللَّهُ اللَّهُ، وتَطْلُعُ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فإذا طَلَعَتْ ورَآهَا النَّاسُ آمَنُوا جَمِيعاً؛ «فَذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾»، ويُطْبَع على كلِّ قلبٍ بما فيه، ويُكْفَى النَّاسُ العمل.

وآخِرُ أَشْرَاطِ السَّاعةِ الكُبْرَى وأوَّلُ الآيَاتِ المُؤْذِنة بقيامِ السَّاعة: نارٌ عظيمةٌ تَخْرُجُ من اليَمَن، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم، تَقِيلُ معهم حيث قَالُوا، وتَبِيتُ معهم حيث بَاتُوا، وتُصْبِحُ معهم حيث أصبحوا، وتُمْسِي معهم حيث أَمْسَوا.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فوعْدُ اللَّه حقٌّ، والسَّاعةُ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، والدُّنيا قد آذَنَتْ بِصُرْمٍ، ووَلَّتْ حَذَّاءَ، والآزِفةُ قد أَزِفت، ومَنْ غَفَلَ عن نفسِه تَصَرَّمَتْ

أوقاتُه ثمَّ اشْتَدَّتْ عليه حَسَرَاتُه، فالآمالُ تُطْوَى والأعمارُ تَفْنى، ومَنْ أَطالَ الأملَ نَسِيَ العَمَل، وغَفلَ عن الأَجَل، وفي صَبَاحِ كلِّ يومٍ يَنْعَاكَ ضَوْؤُه، فالسَّعيدُ مَنْ أَعدَّ العُدَّةَ واسْتَعَدَّ للنُّقْلَة، قال بعضُ الحكماء: «عَجِبْتُ مِمَّنْ يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ مَالِهِ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ عُمُرِهِ».

فاجْتَهِدْ في العِبَادةِ وابْكِ على الخطيئة وَفِرَّ من العُقُوبة؛ فالمُوَفَّقُ مَنْ صَرَفَ أَمَلَه إلى ما يبقى وقَطَعَهُ عمَّا يَفْنى، لمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدَ بن سِيرِينَ الوَفاةُ بَكَى، فقيل له: «مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِتَفْرِيطِي فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ، وَقِلَّةِ عَمَلِي لِلْجَنَّةِ العَالِيَةِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على البشير النَّذير والسِّراج المنير ...

المَسِيحُ الدَّجَّالُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقاه هداه، ومَنْ لَجأَ إليه حَفِظَهُ ووَقَاه.

أيُّها المسلمون:

جَعَلَ اللَّهُ هذه الأمةَ آخرَ الأُمَم، وفيها تَظْهَرُ أَشْرَاطُ السَّاعة، وعليها تقومُ القيامة، وأخبر سبحانه عن قُرْبِ ذلك؛ فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ السَّاعةَ احْمرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» (رواه مسلم)، وسأل المُشركون النَّبيَّ ﷺ عن زمنِ قيامِها مِراراً، فقال له ربُّه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر محرَّم، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومِنْ رَحْمَتِه سبحانه بعبادِه: أَنْ جَعَلَ للسَّاعةِ أَمَاراتٍ قبل قيامِهَا؛ لِيَعُودَ النَّاسُ إلى ربِّهم، وأخبرَ تعالى عن أَمَاراتِ اقترابها؛ فقال: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾، وعلامات السَّاعةِ الكُبرى إِنْ خَرَجَتْ فالأُخْرَى على إثرِهَا قَرِيبةٌ منها.

وأمرٌ كبيرٌ جعلَه اللَّهُ من علامات السَّاعة، مَا مِنْ نَبيٍّ إِلَّا حذَّر أُمَّتَه منه، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ؛ أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ**» (رواه البخاري)، وأنذَره النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه، فقال: «**إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ**» (رواه البخاري)، وكان عليه الصلاة والسلام يَتعوَّذُ في صلاتِه مِنْ فِتْنَتِه، ويُعلِّم أَصْحابَه التَّعوُّذَ منه كما يُعلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآن، وَيَعِظُ صَحَابَتَهُ وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ قُرْبِ ظُهُورِ ذَلِكَ الأَمْرِ؛ قال النَّوَّاسُ بنُ سَمْعَانَ رضي الله عنه: «حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ - أَيْ: عِنْدَ النَّخلِ الَّذِي بِجَانِبِهِم -» (رواه مسلم).

وكان السَّلفُ يأمرون بالتَّذكير به حيناً بعد حين، قال السَّفَّارينيُّ رحمه الله: «مِمَّا يَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمٍ أَنْ يَبُثَّ أَحَادِيثَ الدَّجَّالِ بَيْنَ الأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اشْرَأَبَّتْ فِيهِ الفِتَنُ وَكَثُرَتْ فِيهِ المِحَنُ، وَانْدَرَسَتْ فِيهِ مَعَالِمُ السُّنَنِ».

والدَّجَّال حيٌّ الآنَ في جَزيرةٍ مِنْ جُزُرِ البحر، مُقيَّدٌ بوَثَاقٍ شديد، يَدَاهُ مجموعةٌ إلى عُنقِهِ ما بين رُكبتَيْه إلى كعبيْه بالحديد، وخروجُه قد دنا؛ قال عن نفسِه: «وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ» (رواه مسلم).

وعلاماتُ خروجِه: أن لا يُثمِرَ نَخلُ بَيْسَانَ - وهي مدينةٌ بين حَوْرَان وفلسطين - بعد أن كان يُثمِر، قال ياقوتُ الحمويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ رَأَيْتُها مِرَاراً؛ فَلَمْ أَرَ فِيهَا غَيْرَ نَخْلَتَيْنِ حَائِلَتَيْنِ - أَيْ: غَيْرَ مُثْمِرَتَيْنِ -».

ومِنْ أَمَارَاتِ خُرُوجِه: ذَهابُ ماءِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّة، وماؤُهَا قلَّ الآن، وهو في نُقصان.

ومِنْ عَلَامَاتِه: ذَهابُ ماءِ عينِ زُغَرَ - بَلْدَةٍ في الشَّامِ -، وعَدَمُ زِرَاعَةِ أَهْلِهَا بِمَاءِ تِلْكَ العَيْنِ.

وأوَّلُ مَخْرَجِه مِنْ حَيٍّ يُقالُ له: «اليَهُودِيَّة»، في مدينةِ أَصْبَهانَ من أَرْضِ خُراسان، يَخرُجُ ومعه سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ يَهُودِها، وله حرسٌ وأعوانٌ.

وهو شابٌّ أحمرُ، جَسِيمٌ كَبِيرُ الخِلْقَة، وَاسِعُ الجَبْهَة، فيه انْحِنَاء، لَه شعرٌ كثيرٌ مُجَعَّد، عَيْنُه كأنَّها عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ - أَيْ: ظَاهِرَةٌ عَوْرَاء -، قال عنه تميمٌ الداريُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد رآه: «أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً»، وهُو أكبرُ خلقٍ في هذه الدُّنيا؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**» (رواه مسلم).

وبيَّن النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِفاتِه لِيَعْرِفَه النَّاسُ إذا خَرَج، وأنَّه الدَّجَّالُ لا رَبُّ العَالَمِين كما يَزْعُم؛ ولِأَنَّ الدَّجَّالَ سَيَخْرُجُ في هذه الأُمَّةِ أَخْبَرَنا النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِفةٍ فيه لم يَذْكُرْهَا أَحدٌ مِنَ الأنبياء، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ؛ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**» (رواه البخاري).

وخُرُوجُه في حالِ خَفقَةٍ من الدِّين وإِدْبَارٍ من العلم؛ لِيَتَمَيَّزَ المُؤمنُ من الكافر، ويَتَبيَّن المُسلمُ من المُرتاب، فَيَدَّعِي أنَّه ربُّ العَالَمِين، ويُفْتَنُ به العبادُ بما يَخْلُقُه اللَّه معه من الخوارِق.

ومِنْ فِتْنَتِه: أَنْ يَقْتُل الرَّجلَ ثمَّ يُحْيِيَه - بإذن اللَّه -، ويَضْرِبَ آخر بالسَّيف فيَقْطَعه قِطْعَتَيْن، ثمَّ يَدْعُوه بعد قَتْلِه فيُقبِلَ ذلك المَقْتُولُ يَتهَلَّلُ وَجْهُه، ويَنْشُرَ الرَّجلَ بالمِنْشَار من مِفرَقِ رَأْسِه حتى يَقْطَعَ ما بين رِجلَيْه، ثمَّ يَمْشِي الدَّجَّال بين القِطْعَتَين، ثمَّ يقول له: قُمْ، فيَسْتَوِي قَائماً، ويَأْخُذَ الرَّجلَ برِجْلَيْه ويَدَيْه فيقذِفُ به إلى النَّار الَّتي معه، فيُحسَبُ أنَّما قذَفَه إلى النَّار، وإِنَّما أُلقِيَ في الجَنَّة - فَجَنَّتُه نارٌ، وناره جنَّةٌ -.

ومعه نَهْرَانِ يَجْرِيَان، أَحَدُهُمَا: رَأْيَ العين ماءٌ أبيض، والآخر رَأْيَ العين نارٌ تأجَّج، قال ﷺ: «**فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ؛ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ**» (رواه مسلم).

ويَأْمُرُ السَّماءَ أَنْ تُمْطِر فتُمْطِر، والأرضَ أَن تُنبِت فَتُنبِت، ويَمُرُّ بالخَرِبَة فيقولُ لها: أَخْرِجي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُه كُنُوزُها، قال ابنُ العربيِّ رحمه الله: «وَذلِكَ كُلُّهُ أَمْرٌ مَخُوفٌ».

ومَشْيُه في الأرض سَرِيعٌ؛ وَصَفَه النَّبيُّ ﷺ بقولِه: «**كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**» (رواه مسلم).

ويَلْبَثُ في الأرض أَرْبَعِينَ يوماً؛ يومٌ كَسَنةٍ، ويومٌ كشَهْرٍ، ويومٌ

كأُسْبُوعٍ، وبَقيَّةُ أيَّامِه كأيَّامِنا، ولا يَدَعُ قريةً إلَّا هبطَها غيرَ مكَّةَ والمَدِينَة، فإنَّ على كلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِها - أيْ: أَبْوَابِهَا - مَلَائِكةٌ يَحْرُسُونَها، وإذا أراد أَنْ يَدْخُلَ واحدةً منهما استقبَلَه ملَكٌ بيدِه السَّيفُ صَلْتاً يصدُّه عنها.

وجميعُ القُرى تَفزَعُ من الدَّجَّال سوى المدينة، لا يَدْخُلُهَا رُعْبُ الدَّجَّال ولا الخَوْفُ منه.

ومِنْ شُكرِ نِعْمَةِ اللَّه على أَهْلِ مكَّةَ والمَدِينَة: أَنْ يَعْمُرُوهَا بِطَاعَةِ اللَّه؛ إِذْ خَصَّهَا اللَّهُ بِحِفْظِها من الدَّجَّال، وإذا مُنِعَ من دخول المَدِينَة يَنْزِلُ في سَبَخَةِ الجُرْفِ - غَرْبَ جبلِ أُحُد -، ويَضْرِبُ فيها لِواءَه، ويَكُونُ أكثرَ مَنْ يَخْرُج إليه النِّساء، وتَرْجُفُ المَدِينَةُ بأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إليه منها كلُّ كافرٍ ومُنافِق.

وخيرُ النَّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ: مَنْ أَنْكرَ مُنْكَراً رَآه؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وإذا مَكَثَ حولَ المَدِينَةِ يَخرُجُ إليه شابٌّ يُنكِرُ عليه ادِّعاءَه الرُّبوبيَّة ودَجَلَه؛ قال ﷺ: «**وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ: مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ**» (متفق عليه).

وخسارةُ المسلمين بِوَفَاةِ النَّبيِّ ﷺ عظيمة؛ إذ لو كانَ حيّاً لَكَفَانَا إيَّاه؛ قال ﷺ: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ**»

(رواه مسلم)، وبعد وفاة النَّبيِّ ﷺ كلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نفسِه مع الدَّجَّال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ؛ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» (رواه مسلم).

ومِنْ أَسْبَابِ العِصْمَةِ منه: العلمُ الشَّرعيُّ بمعرفة أسماءِ اللَّه وصفاتِه، فالدَّجَّالُ أَعْورُ، وربُّنا سبحانه لَيْسَ بِأَعْوَر، واللَّهُ لا يراه أحدٌ في الدُّنيا، والدَّجَّالُ يراهُ النَّاس، والدَّجَّالُ مَكْتوبٌ بين عَيْنَيْهِ كافرٌ يَقْرَؤُه كلُّ قارئٍ وغيرُ قارئٍ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «المُؤْمِنُ يَتَبَيَّنُ لَهُ مَا لَا يَتَبَيَّنُ لِغَيْرِهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الفِتَنِ».

والفِرارُ من الفِتَنِ والابتِعادُ عنها عِصْمةٌ منها - بإذن اللَّه -؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ؛ فَلْيَنْأَ عَنْهُ** - أَيْ: لِيَهْرُبَ -، **فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ** - أَوْ: **لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ** -» (رواه أبو داود).

والتَّمسُّك بالدِّين فيه النَّجاةُ من الدَّجَّال؛ فإنَّ أتباعَه غيرُ المؤمنين، والإكثارُ من الدُّعاء بالتَّعوُّذ منه حرزٌ وأمانٌ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ** - أَيْ: فِي الصَّلَاةِ -؛ **فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**» (رواه مسلم)، وكان طاووس رحمه الله يأمُر ابنَه بإعادة الصَّلاة إذا لم يقرأ بهذا الدُّعاءِ في صلاتِه.

والقرآنُ الكريمُ أصلُ العِصْمَةِ مِنْ كلِّ فِتْنةٍ، ومَنْ سَمِعَ بِخرُوجِهِ وهو حَافظٌ لِعَشْرِ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سورةِ الكَهف؛ عُصِم منه - بإذن اللَّه -، ومَنْ رَآه فَلْيَقرَأْ عليه فواتِحَ سُورةِ الكَهف، قال ﷺ: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ؛ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ» (رواه مسلم).

وإذا كَثُر أَتْباعُه وعَمَّت فِتْنَتُه يَنْزِلُ عيسى عليه السلام عِنْدَ المَنَارَةِ الشَّرْقِيَّة بدمشق، فَيَلْتَفُّ عبادُ اللَّه حولَه، فَيَلْحَقُ عيسى عليه السلام بالدَّجَّال حين تَوجُّهِهِ إلى بيتِ المقدِس، فيُدرِكُه عند بابِ لُدٍّ في فِلَسْطين، فإذا رآه الدَّجَّالُ ذابَ ذوَبَان المِلْح، فيَلْحقُه عيسى عليه السلام فَيَقْتُلُه بحَرْبَةٍ.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فوعدُ اللَّهِ حقٌّ، والسَّاعةُ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وقيامُها سَرِيعٌ؛ قال ﷺ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ» (رواه مسلم).

والمُسلمُ مُبادِرٌ لفعلِ الصَّالِحاتِ في كلِّ زمانٍ وحينٍ، وهو لها أَشدُّ امتِثالاً وإكثاراً حين غُربَة الدِّين وكثرة الفِتَن؛ قال ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ العَامَّةِ» (رواه مسلم).

وطاعةُ النَّبيِّ ﷺ حفظٌ للعبد في الرَّخاء والشِّدَّة، سألَ الدَّجَّالُ تَمِيماً الدَّاريَّ رضي الله عنه ومَنْ معه من الصَّحابةِ حين رأَوْه؛ سألهم عن

نبيِّنا ﷺ: «مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ العَرَبُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ» (رواه مسلم).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

وَلَئِن كان أمرُ الدَّجَّال كبيراً، فإنَّ الرِّياءَ بالأعمال الصَّالِحَة أخوَفُ عند النَّبيِّ ﷺ على أُمَّتِه من الدَّجَّال؛ قال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟** قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ: **الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**» (رواه أحمد)، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «إِنَّمَا كَانَ الرِّيَاءُ كَذَلِكَ لِخَفَائِهِ، وَقُوَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهِ، وَعُسْرِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ؛ لِمَا يُزَيِّنُهُ الشَّيْطَانُ وَالنَّفْسُ الأَمَّارَةُ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ»، والمُؤمنُ يجمعُ في العملِ بين صلاحِه بمُتابَعة النَّبيِّ ﷺ وإخلاصِ النِّيَّة فيه للَّهِ وحدَه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

يَومُ القِيَامَةِ

اليَوْمُ الآخِرُ: يَوْمُ الدِّينِ(١)

الحمدُ للَّه الَّذي بِنِعْمَتِه اهْتَدَى المُهْتَدُون، وبعَدْلِه ضلَّ الضَّالون، لا يُسْأَلُ عمَّا يفعلُ وهُم يُسْأَلُون، أَحْمَدُه سبحانه حمدَ عبدٍ نزَّه ربه عمَّا يقول الظَّالِمُون.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، شهادةً ارْتَضَاهَا الصَّالحون.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّادقُ المأمون، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه الذين هم بِهَدْيِه مستمسكون، وعلى نَهْجِهِ سَائرون.

أمَّا بعدُ:

فأوصيكُم ونَفْسِي بتقوى اللَّه؛ فهي النَّجاةُ غداً، والسَّعادةُ أبداً.

أيُّها المسلمون:

التَّصديقُ باليومِ الآخرِ مِنْ أُسُسِ الإيمانِ الَّتي دعا إليها الرُّسُل، وقد بلَّغ الأنبياءُ أُمَمَهُم باليومِ المَوْعُود، وبشَّرُوهُم بالجَنَّة وأَنْذَرُوهُم النَّار، وأوَّلُ صفةٍ في كتابِ اللَّه مِنْ نُعوتِ المُتَّقين: هي الإيمان

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر محرَّم، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بالغيب: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

وعندما أُهْبِطَ آدم إلى الأرض قال اللَّه له: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، ونوح ﷺ حذَّر قومَه يومَ الجزاء وضربَ لهم الأمثال الدَّالة على وُقُوعِه وحُدُوثِه؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، وقال شعيب ﷺ لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وأَمَدُ المَرْءِ في هذه الحياة قصير، وأيَّامُه في هذا العَالَم الفَانِي مَحْدُودة، وحاجاتُه على الأرض لا تَنْقَضِي وآمالُه مَمْدُودَة، وسَيَرْحَلُ وفي نفسِه حاجات وعلى أرضِه الَّتي رَحَلَ عنها آماله، وسَيَأْتِي يومٌ تَفْنَى فيه الحياة والأحياء؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

ثمَّ يأتي زمنٌ يُعِيدُ اللَّهُ فيه العِبَادَ ويَبْعَثُهُم، فيُوقِفُهُم بين يَدَيْهِ ويُحَاسِبُهُم على ما قَدَّمُوه مِنْ أعمال، وسَيُلَاقِي العِبَاد في ذلك اليومِ شيئاً عظيماً من الأهوال لا يَنْجُو منها إلَّا مَنْ أَعَدَّ لذلك اليومِ عُدَّته - مِنَ الإيمَانِ والعَمَلِ الصَّالح -، ويُسَاقُ العبادُ في خِتَامِ ذلك إلى دار القَرَار، الجَنَّة أو النَّار.

هذا اليومُ هو يومُ القيامة؛ يومٌ يقرَعُ القلوب ويَصُخُّ الأسماع حتَّى يَكَادَ يَصُمُّ الآذان، يوم طامة يَطُمُّ على كلِّ أمرٍ هائل، ويَغْشَى النَّاس بأفزاعهم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، يتحسر فيه العباد ويندمون: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وتقول النَّفس: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾،

وتَبْلُغُ الحَسْرَةُ ذِرْوَتَها بأهلِ الكفر عند ما يتبرَّأُ السَّادةُ والأتباعُ مِنْ مَتْبُوعِهِم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

ويَكْثُرُ فيه التَّنَادِي؛ فَكلُّ إنسانٍ يُدْعَى باسمِه للحسابِ والجزاء، وأصحابُ الجنَّة يُنادُون أصحابَ النَّار، وأصحابُ النَّار يُنادُون أصحابَ الجنَّة، وأهلُ الأعرافِ يُنادُون هؤلاء وهؤلاء: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

إنَّه يومُ التَّغابُن؛ يَغْبِن فيه أهلُ الجنَّة أهلَ النَّار؛ إذْ يدخلُ هؤلاء الجنَّة فيأخذون ما أَعَدَّ اللَّه لهم ويَرِثُون نصيبَ الكفَّار من الجنَّة، ويَتَحَقَّقُ فيه الوَعْد والوَعِيد، وتَتَجَلَّى فيه الأمورُ ومُخَبَّآت الصُّدُور، يومٌ تُبَعْثَرُ فيه القبور ويَحْصُلُ ما في الصُّدُور، يومٌ عَسيرٌ على الكافرين غيرُ يسير، يُنَبَّأُ الإنسانُ فيه بما قدَّم وأخَّر.

أيُّها المسلمون:

وبينما النَّاس في أموالهم ومعايشهم يَخْتَصِمُون ويَتَشَاجَرُون إذْ نُفِخ في الصُّور، فلا يَبْقَى أَحَدٌ على وجهِ الأرض «**إِلَّا أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً**»، يَضعُ صفحةَ عنقه ويَرفعُ صفحته الأخرى، يَتَسَمَّعُ الصَّوتَ من السَّماء فلا يَتَمكَّنُ من كتابةِ وَصِيَّتِه ولا الرُّجوعِ إلى أهلِه؛ يقول تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾، «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ،**

قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ»، وفي الحديث: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا؛ فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ؛ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ؛ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ؛ فَلَا يَطْعَمُهَا» (رواه البخاري).

عبادَ اللَّه:

والصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه، وصاحبُ الصُّورِ مُسْتَعِدٌّ للنَّفخ فيه مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُ اللَّه، يَنْظُرُ نَحوَ العَرْشِ مَخافَة أَنْ يُؤْمَرَ قبل أَنْ يَرْتَدَّ إليه طرفه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ؛ فَيَنْفُخُ؟! قَالَ المُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

تقومُ السَّاعةُ يومَ الجُمُعَة، وفي كلِّ يوم جُمُعةٍ تُشْفِقُ جميعُ المخلوقات إلَّا الثَّقَلَيْنِ من حين تُصْبِحُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمس؛ خوفاً من قيام السَّاعة فيه، وإذا شاء اللَّهُ إعادةَ العباد وإحياءَهم أَمَرَ إسرافيلَ فنَفَخَ في الصُّورِ فَتَعُودُ الأرواحُ إلى الأجسادِ ويقُومُ النَّاس لِرَبِّ العالمين: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، وأوَّلُ مَنْ يَفيقُ مِنَ الصَّعْقِ وأوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرض: نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ.

وبعدَ نفخةِ الصَّعقِ يُنزِلُ اللَّهُ ماءً من السَّماءِ تَنْبُتُ منه أَجسادُ العباد كما يَنْبُتُ البَقْل، وليس في الإنسان شيءٌ إلَّا بَلِي سوى عَجْبِ الذَّنَب، منه يُرَكَّبُ الخلق يوم القيامة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

يَجمعُ اللَّهُ يومَ الدِّين العباد أَجْمَعِين، ويَسْتَوِي في هذا الجَمْعِ الأَوَّلُون والآخِرُون: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، وعلى أيِّ صفةٍ هَلَكَ العباد - في ظلماتِ البَحْرِ، أو في بطونِ الجَوَارِح، أو أَعْمَاقِ الأرض - فإنَّ اللَّهَ قادرٌ على الإتيان بهم: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وعِلْمُ اللَّه تعالى مُحِيطٌ بهم أينما مَاتُوا وحَيْثُما هَلَكُوا، لا يُنْسَى منهم للحشر أحد، ولا يَتَخلَّف في المُقام بشر، قال ﷻ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

فاتَّقِ اللَّه واجْعَلِ اليومَ الآخِرَ في خَلَدِك، وذِكْرَاه على لِسَانِك، واسْتَعِدَّ له بالإيمان والعملِ الصَّالح، وعِشْ ما شِئْتَ فإنَّك مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فإنَّك مُفارِقُه، واعملْ ما شِئْتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ به، وتَزَوَّدْ

من التَّقوى فإنَّ السَّفَر بعيد، وخَفِّفِ الحِمْل فإنَّ العَقَبة كَؤُود، يقول يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ: «طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَبَنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَهْوَالُ القِيَامَةِ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

النَّاسُ في هذه الحياة في غَفْلَةٍ، وأمَلُهم فيها عَرِيضٌ، ولا بدَّ من إلْجَامِ النَّفْسِ بِتَذْكِيرِهَا بمصيرها؛ لِتَعْمُرَ الآخرةَ بالدنيا، ويُغْتَنَمَ الحاضرُ للمستقبل، وقد جَعلَ اللَّه اليَقِينَ باليومِ الآخِرِ من أركانِ الإِيمان، وسَيَأْتِي اليَومُ الذي يَفْنَى فيه الخَلْقُ مِصْدَاقاً لقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، ثمَّ يأتي يومٌ يُعِيدُ اللَّه فيه العباد ويَبْعَثُهُم مِنْ قُبُورِهِم.

وأوَّلُ مَنْ يُبعَثُ وتَنْشَقُّ عنه الأرض: نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، ويُحْشَرُ العبادُ حُفاةً عُراةً غُرْلاً - غيرَ مَخْتُونِينَ - ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّلاثين من شهر رجب، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

نُّعِيدُهُۥ﴾، ويُكْسَى العبادُ، وأوَّلُ مَنْ يُكْسَى إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُكْسَى الصَّالحونَ ثياباً كَرِيمَة، والطَّالِحُون يُسَرْبَلُون القَطِرَان - نُحَاساً مُذاباً - ودُرُوعاً مِنْ جرَب، ويُحْشَرُ الخَلْقُ على أرضِ مَحْشَرٍ غيرِ هذه؛ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **عَلَى الصِّرَاطِ**» (رواه مسلم)، وفي لفظٍ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**».

وأرضُ الحَشْرِ أَرضٌ بيضاءُ عَفْرَاء؛ لَيْسَ فيها مَعْلَمٌ لِأَحد، لَمْ يُسْفَك عليها دَمٌ حَرَامٌ ولَمْ يُعمَلْ عليها خَطِيئَة، يَنْفُذُهم البَصَرُ ويُسْمِعُهُم الدَّاعي، يومٌ عبوسٌ قَمْطرير، قال عنه الكافرون: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، لا يُلَاقِي العبادُ يوماً مِثْلَه، وَصَفَهُ اللَّه بالثّقل والعُسْر، يَشِيبُ منه شَعر الوَلِيد: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، تَذْهَلُ المُرْضِعَةُ عن رَضِيعِهَا، والحاملُ تُسْقِطُ حَمْلَهَا.

يومٌ تَدْهَشُ فيه العُقُول، وتَغِيبُ الأَذْهَان، يَفِرُّ الإنسانُ مِنْ أَحبِّ النَّاسِ إليه - مِنْ أُمِّه وأَبِيه وأَخِيه وزوجتِه وأولادِه -، ويَوَدُّ العَاصِي أَنْ يَدْفَعَ بأَغْلَى النَّاسِ إليه في النَّار لِيَنْجُوَ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

والأرضُ تُزَلْزَلُ وتُدَكُّ دَكَّةً واحدة، وتُمَدُّ مدَّ الأَدِيم، وتَبْقَى صَعِيداً واحِداً لا اعْوِجَاجَ فيها ولا رَوَابِي، يَقْبِضُها اللَّهُ ويُمْسِكُها بإِصبع.

والجبالُ تُسيَّرُ وتُنْسَفُ وتَتَفَتَّت، وتَتَحوَّلُ إلى كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ مَهِيل، وكَعِهْنٍ - أي: ألوانٍ - من الصُّوفِ مَنْفُوش، يُخَيَّلُ للنَّاظر أنَّها

شيءٌ وهي سَرابٌ ليس بشيء: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، وتُزَالُ الجبالُ عن مَوْضِعِها، وتُسَوَّى الأرضُ فلا ارْتِفَاعَ فيها ولا انْخِفَاض: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، والبحار تُفَجَّر وتُسَجَّر وتَشْتَعِل ناراً.

والسَّماءُ تَنْشَقُّ وتَمُورُ وتَضْطَرِب؛ فَتُصْبِحُ ضَعِيفَةً وَاهِية، وتَأْخُذُ السَّماءُ في التَّلَوُّن: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، وتُكْشَطُ السَّماءُ فلا سِتْرَ حِينَئذٍ ولا خَفَاء، ويَطوِيها ربُّنا بِيَمِينِه كَطَيِّ السِّجلِّ للكِتَاب، ويُمْسِكُها على إِصْبع.

والشَّمسُ تُكَوَّرُ وتُجْمَعُ ويَذْهَبُ ضَوْؤُهَا، والقمرُ يَخْسِف: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

والنُّجومُ الزَّواهِرُ تَنْكَدِر، ويَنْفَرِطُ عِقْدُها فَتَتَنَاثَر، وتُظْلِمُ الأرضُ بِخُمودِ سِرَاجِهَا وزوالِ أَنْوَارِها.

والعِشَارُ تُعَطَّل، والوُحُوشُ تُحْشَر، ويَمُوجُ الخلقُ بعضُهُم إلى بعض، مَنْ رَأَى النَّاس فيه ظنَّ أنَّهم سُكَارَى وما هُمْ بِسُكَارَى ولكنَّ عذابَ اللَّهِ شديد.

الأبصارُ شاخصة، والقلوبُ لدى الحَنَاجِرِ وَاجِفَة، والملائكةُ آخذةٌ مَصَافَّها بالخلائقِ مُحدقةٌ، أَمْرٌ عظيم، وطَارِقٌ مُفْظِع، يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ المَقَامِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه النسائي).

في هذا اليوم تَعْلَمُ كلُّ نفسٍ ما أَحْضَرَت، يَقِفُ الإنسانُ نادماً بعد فوات الأوان، وتُؤْخَذُ خوافي الصُّدور أخذاً شديداً ويُبَعْثَرُ ما فيها، فما

مِنْ شيءٍ أُخْفِيَ فيها إلَّا ظَهَر، وما أُسِرَّ إلَّا أُعْلِن، صَمْتٌ مَهِيب، لا يَتَخَلَّلُه حديثٌ ولا يَقْطَعُه اعتذارٌ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

وُجُوهٌ هناك مُبْيَضَّةٌ مُسْفِرةٌ مُسْتَبْشِرَة، ضاحكةٌ نَاضِرة، ووُجُوهٌ أُخْرَى مُسْوَدَّةٌ بَاسِرة، عليها غَبرة، مُرْهَقةٌ بالقَتَرة، المُتَّقُونَ يُحْشَرُونَ إلى ربِّهم وفداً، والمُجْرِمُونَ يُسَاقُونَ يومئذٍ زُرْقاً.

والشَّمسُ تَدْنُو من رُؤُوسِ الخلائقِ حتَّى لا يكونَ بينها وبينهم إلَّا قَدْرُ مِيل، ولا ظِلَّ لِأَحدٍ إلَّا ظلُّ عَرْشِ الرَّحْمَن، فمِنْ بين مُسْتَظِلٍّ بظِلِّ العَرْش وبينَ مُضْحَوٍ بِحَرِّ الشَّمس، والأُمَمُ تَزْدَحِمُ وتَتَدَافَعُ فتَخْتَلِفُ الأَقْدامُ وتَنْقَطِعُ الأَعْنَاق، فَيَفِيضُ العَرَقُ إلى سبعين ذراعاً في الأرض، ويَسْتَنْقِعُ على وجه الأرض ثمَّ على الأَبدانِ على مراتبهم، منهم مَنْ يَصِلُ إلى الكَعْبَيْن، ومنهم مَنْ يُلْجِمُه إِلْجَاماً؛ فيُطْبِقُ الغَمُّ وتَضِيقُ النَّفَس، وتَجْثُو الأُمَمُ من الهَوْلِ على الرُّكَب، وتَرَى كلَّ أُمَّةٍ جَاثِية؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ**» (متفق عليه).

ويَنْدَمُ العُصاةُ ويَتَحَسَّرُونَ على تَفْرِيطِهم في الطَّاعة، وَلِشِدَّة حَسْرَتِهم يَعَضُّونَ على أيديهم؛ يقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، ويَمْقت العاصي نفسَه وأحبابَه وخِلَّانَه، وتَنْقَلِبُ كلُّ مَحبَّةٍ لَمْ تَقُمْ على أساسٍ من الدِّين إلى عِداء، ويُخَاصِمُ المَرْءُ أَعْضَاءَه، والمُتَكَبِّرُونَ يُحْشَرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَطَؤُهم النَّاسُ

بأقدامِهِم احْتِقَاراً لهم، والمُسْبِلُ إزاره لا يُكَلِّمُه اللَّهُ في ذلك اليوم ولا يَنْظُرُ إليه ولا يُزَكِّيهِ وله عذابٌ أليم.

وتُوضَعُ لكلِّ غادرٍ يوم القيامة رَايةٌ عند مُؤَخَّرتِه، ويُقالُ: هذه غَدْرة فلان بن فلان، ومَنْ أَخذَ من الأرض شيئاً بغيرِ حقِّه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أراضين، ويَتَضَاعَفُ يومَ القيامة ظلمُ الدُّنيا؛ «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، والحقوقُ لا تَضِيع؛ بل يُقْتَصُّ حقُّ المظلوم من الظَّالِمِ حتَّى يُقَادَ فيمَا بين البهائم.

وشرُّ النَّاسِ يومئذ: «**ذُو الوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»، و«**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً؛ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

والعَادِلُون على منابرَ من نورٍ عن يمين الرَّحْمَن، ويُبْعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه؛ فمَنْ مات مُحْرِماً بُعِثَ مُلَبِّياً، ومَنْ كُلِم في سبيلِ اللَّه جاءَ لَوْنُه لونُ الدَّمِ والرِّيحُ ريحُ المِسْك، والمُؤَذِّنونَ أطولُ النَّاس أَعْناقاً ولا يَسْمَعُ مَدَى صَوتِه شيء إلَّا شَهِدَ له يوم القيامة، ومَنْ شَابَ شيبة في الإسلام كانت له نوراً، وكلُّ امْرِئٍ في ظلِّ صَدَقَتِه حتَّى يُفْصَلَ بين النَّاس.

والصِّراطُ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ؛ فناجٍ عليه ومَخْدوشٌ ومَكْدوسٌ في النَّار.

والمِيزَانُ بالقِسطِ لا اخْتِلَالَ فيه، الحساب فيه بمَثَاقِيلِ الذَّرَّة:

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾، الحمدُ للَّه تَمْلَؤُه، وسبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم ثَقِيلَتَانِ فيه، و«سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: **تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**» (رواه الترمذي).

والصُّحُفُ المَطْوِيَّةُ تُنْشَر، كم مِنْ بَلِيَّةٍ نَسِيتَها؟! وكم مِنْ سَيِّئةٍ أَخْفَيْتَهَا؟! والكتابُ يُقْرَأ، والجوارحُ تُنْطَق، والملائكةُ حَاضِرَة، واللَّهُ شهيدٌ على جَمِيعِ الأعمال، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾.

وبَعْدَ أَنْ يَفْرغَ اللَّه من الفَصْلِ بين البهائم يَشْرَعُ في الفَصْلِ بين العباد، وأوَّلُ الأُمَمِ يُقْضَى بينها هذه الأُمَّة، وهم أوَّلُ مَنْ يَجوزُ على الصِّراط، وأوَّلُ مَنْ يَدخلُ الجنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «**المَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الخَلَائِقِ**» (رواه مسلم).

ويُكْرِمُ اللَّه عَبْدَه مُحمَّداً ﷺ في الموقف العظيم بإعطائِه حَوْضاً وَاسِعَ الأَرْجَاء، مَسِيرَتُه شَهْر، ومَاؤُه أشدُّ بَيَاضاً منَ اللَّبَن، وأَحْلَى من العَسَل، وأَطْيَبُ من المِسْك، تَرَى فيه أَبَارِيق الذَّهب والفضَّة كعددِ نُجُوم السَّماء، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعدَها أبداً، ويَرِدُ عليه أَقْوَامٌ من أُمَّتِه ثُمَّ يُحَالُ بينهم؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَيَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بدَّل بَعْدِي**» (متفق عليه).

إنَّ النَّجاةَ مِنْ تلكَ الأَهْوَالِ إنَّما تُنَالُ برحمة اللَّه ثمَّ بعملٍ صالح، والمُقَصِّرُ نادمٌ لا مَحَالَةَ في يوم لا تَنْفَعُ فيه المَعْذِرَة، ولا يُرْتَجَى فيه إلَّا المَغْفِرَة، والحياةُ طَالَتْ بكَ أَمْ قَصُرَت؛ فمصيرُك إمَّا إلى جنَّةٍ أو نارٍ.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

المُفْلِسُ يومَ القيامة: مَنْ يَأْتِي بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويَأْتِي وقد شَتَمَ هذا وقَذَفَ هذا وأَكَلَ مالَ هذا وسَفَكَ دَمَ هذا وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُه قبل أَنْ يَقْضِيَ ما عليه؛ أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه ثمَّ يُقْذَفُ في النَّار.

يقول صالح المُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلْتُ المَقَابِرَ نِصْفَ النَّهَارِ، فَنَظَرْتُ إِلَى القُبُورِ كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ صُمُوتٌ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ مَنْ يُحْيِيكُمْ وَيَنْشُرُكُمْ مِنْ بَعْدِ طُولِ البِلَى، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الحُفَرِ: يَا صَالِحُ! ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، قَالَ: فَخَرَرْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ».

يقول الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَوْمَانِ وَلَيْلَتَانِ لَمْ يَسْمَعِ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ، لَيْلَةٌ تَبِيتُ مَعَ أَهْلِ القُبُورِ وَلَمْ تَبِت قَبْلَهَا مِثْلَهَا، وَلَيْلَةٌ صَبِيحَتُهَا تُسْفِرُ عَنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَوْمٌ يَأْتِيكَ البَشِيرُ مِنَ اللَّهِ؛ إِمَّا بِالجَنَّةِ وَإِمَّا بِالنَّارِ، وَيَوْمٌ تُعْطَى كِتَابَكَ إِمَّا بِيَمِينِكَ وَإِمَّا بِشِمَالِكَ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

الخلقُ رَاحِلُونَ عن هذه الدَّارِ إلى الدَّارِ الآخِرَة ووَاقِفُونَ مَوْقِفاً عَصِيباً يَشيبُ منه شعر المَوْلُود؛ قال ﷻ: ﴿يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾، ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾، وهم حُفاةٌ عُراةٌ لا تَسْمَعُ منهم إلّا هَمْساً، والملائكةُ صَفّاً صَفّاً على أَرْضِ المَحْشَر، وَجَلٌ شديد؛ أَرْضٌ غير أَرْضِهِم، وسَمَاءٌ غير السَّماء الَّتي يَعْرِفُونَها، وشمسٌ دَنَتْ مِنْ رُؤُوسِهِم قَدْر مِيل، والعَرَقُ في الأَرْضِ إلى سَبْعِينَ ذِرَاعاً ويَرْتَفِعُ إلى أَفْوَاهِهِم.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس عشَر من شهر شعبان، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

في ذلك الكَرْبِ العظيم: يَتكرَّمُ اللَّه بحفظِ عبادٍ له لا يَنالُهُمْ ضَرَرُ الشَّمسِ ولا يُؤْذِيهِم عَرَق، ويُظِلُّهم تحتَ ظلِّ أَعْظَم مَخْلُوقٍ خَلقَه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (متفق عليه)، قال ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا أَحْسَنُ حَدِيثٍ يُرْوَى فِي فَضَائِلِ الأَعْمَالِ، وَأَعَمُّهَا وَأَصَحُّهَا، وَحَسْبُكَ بِهِ فَضْلاً أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَمْ يَنَلْهُ هَوْلُ المَوْقِفِ»، وكلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ خَافَ ربَّه وأَخْلَصَ للَّه في عَمَلِه.

فالإمامُ العادلُ؛ تَصْلُح به أمور الدُّنيا والدِّين، والقيامُ بالعدل من أعمال النُّبوَّة؛ قال اللَّه لِنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾، والصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بايَعوا النَّبيَّ ﷺ على إقامة العدل؛ قال عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (متفق عليه).

والعادلُ يُؤَدِّي عبادةً عظيمة، فلا يَرُدُّ اللَّهُ له دَعوة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ» (رواه الترمذي)، وفي الآخرة يُدْنِيه منه سبحانه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ

الرَّحْمَنِ ﷻ - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ -، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (رواه مسلم)؛ بل ويَزيدُه اللَّه من فَضْلِه، ويُظِلُّه تحت ظِلِّ عَرْشِه، ويَدْخُلُ في الإمام العادل: مَنْ وَلِيَ أمراً فَعَدَلَ فيه، - مِنْ قاضٍ، ومُعَلِّمٍ، ووَالِدٍ، وأُمٍّ، ونَحْوِهم -.

والعبادةُ في الشَّبابِ أشدّ؛ لقوَّةِ البَاعثِ على اتِّباعِ الهَوَى، ومَنْ نَشَأَ في شَبَابِه في عبادة ربِّه؛ تَوَلَّاه اللَّه ورَعَاه، إبراهيم عليه السلام دعا إلى التَّوحِيد في شَبَابِه وأَنْذَرَ من الشِّرك؛ فكان خليل الرَّحمن: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾، والإمامُ البُخاريُّ رحمه الله صَنَّفَ كتابَه «التاريخ الكبير» في رجال أهل الحديث، وعُمُرُه ثمانية عشر عاماً، وفي الآخرة وُعِدَ كلُّ شابٍّ صالحٍ بظلٍّ تحت ظلِّ العرش.

وبُيُوتُ اللَّهِ أَحبّ البِقاعِ إليه، وواجبٌ إقامةَ رُكْنِ الإسلام الثَّاني فيها، إبراهيم عليه السلام بَنَى البيت ودَعَا أَنْ يَكُونَ هو وذُرِّيَّتُه مِنْ مُقِيمِي الصَّلاة، والصَّحابةُ رضي الله عنهم بَايَعُوا النَّبيَّ ﷺ على إِقَامِتِهَا، قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (متفق عليه).

ومَنْ خَطَى خُطْوَةً إلى بيتِ اللَّه؛ كُتِبَتْ له حَسَنَة، ومُحِيَتْ عنه خطيئة، ومَنِ انْتَظَرَ صلاة؛ نَالَ أَرْفَعَ الدَّرَجات ودُعَاءَ الملائكة، ومَنْ كَانَ شديد الحُبِّ للمساجد مُلَازِماً للجماعة فيها، لا يَخْرُجُ من صلاةٍ إلَّا وهو مُنْتَظِرٌ بقلبِ الصَّلاةِ الأُخْرَى؛ أثابه اللَّه بظلٍّ تحت ظلِّ العَرْش.

والإنسانُ يَأْنَسُ بغيرِه، والمَرْءُ مع مَنْ أَحَبَّ، ومَنْ كانت مَحبَّتُه في

الدُّنيا على غير طاعةِ اللَّه؛ انْقَلَبَتْ عَداوةً يوم القيامة؛ قال سبحانه: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، والـمَحبَّةُ في اللَّه مِنْ أَعْظَم القُربات، قال يحيى بن معاذ ﵀: «وَحَقِيقَتُهَا: أَنْ لَا تَزِيدَ بِالبِرِّ، وَلَا تَنْقُصَ بِالجَفَاءِ»، وهي مِنْ أسبابِ مَحبَّةِ اللَّه للعبد، وكان النَّبيُّ ﷺ يُظْهِرُ وُدَّه لصحابتِه، أَخَذَ بِيَدِ مُعَاذٍ وقال له: «**يَا مُعَاذُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» (رواه أبو داود).

ومَنْ كانت مَحبَّتُه لِأَخِيهِ على طاعة اللَّه، وحُبُّه للَّه ورسوله أَحبّ إليه مِنْ نفسِه - وهو فَرِحٌ بالإسلام -؛ نَالَ حَلاوة الإِيمَان، وإذا اجْتَمَعَ مُسْلِمَان على حبِّ اللَّه واسْتَمَرَّا عليه حتى تَفَرَّقا مِنْ مَجْلِسِهِمَا وهُمَا صَادِقَانِ في حُبِّ كلِّ واحدٍ منهما صاحبه - حال اجتماعهما وافتراقهما -؛ أظلَّهُم اللَّهُ تحتَ ظلِّ عَرْشِه، بل ويُكْرِمُهُم مع الظِّلِّ بجلوسهم على منابرَ من نورٍ تحت العَرْش، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» (رواه أحمد).

والعِفَّة أَصلٌ في المُرُوءَات، ومِفْتَاحُ العَفاف: غضُّ البَصَر عن المُحرَّمات، وحفظُ الفَرْجِ وغضُّ البَصَر ممَّا أمر به النَّبيُّ ﷺ في مَطْلَعِ دعوتِه، قال هِرَقْل لأَبِي سُفْيان: «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ قال: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالعَفَافِ»، ومَنْ طَلَبَ العِفَّة بِصِدْقٍ نَالَهَا؛ قال ﵊: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ؛ يُعِفَّهُ اللَّهُ**» (رواه البخاري).

والصَّبرُ عن دعوةِ امْرَأَةٍ إلى نفسِها للمُحرَّم مِنْ أكملِ المَرَاتِبِ وأعظمِ الطَّاعات، يوسف ﵇ - وهو شابٌّ في دَارِ غربةٍ لا يَعْرِفُه فيها

أَحد - رَاوَدَتْه امرأَةُ العَزِيز، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهِيَ فِي غَايَةِ الجَمَالِ وَالمَالِ والمَنْصِبِ وَالشَّبَابِ»، رَاوَدَتْه في دَارِهَا والأَبوابُ مُغْلَقَة؛ فخاف ربَّه و﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾؛ فبَقِيَ ذِكْرُهُ خَالِداً في كتابِ اللَّه من الصَّالحين.

وعلى هذه العبادة العظيمة مِنَ العَفافِ: سار رِجالُ الأُمَّة، قال عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ؛ تَرَكْتُهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَكَرُّهاً، وَفِي الإِسْلَامِ تَعَفُّفاً»، وقال الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِه فِي يَوْمِنَا: عِفَّةُ أَبْصَارِنَا».

والصَّدقةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّحْمَن، وبها تتضاعفُ الأجور وتُكَفَّرُ الخطايا والأوزار، والمُتصدِّق آمنٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والإنفاقُ يُفرِّجُ الكروب، لمَّا نَزَلَ الوَحْيُ على النَّبيِّ ﷺ أوَّلَ ما نَزَلَ، قال لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ: كَلَّا؛ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (رواه البخاري)، ويَمْتَدُّ نفعُها إلى تفريجِ كُرُوبِ المَحْشَر، فيكون المُتصدِّق في ظلِّ صدقتِه يوم القيامة، ومَنْ أَخْفَى صدقتَه - ولَوْ قلَّت -؛ أَكْرَمَهُ اللَّه بظلٍّ آخرَ غيرَ ظلِّ صدقتِه، وهو ظلٌّ تحتَ العرش.

وكمال الإخلاص: في إخفاء الطَّاعة، وذِكْرُ اللَّه يُعظِّم الخالق ويُنوِّرُ القلب، واللَّهُ أَمَرَ بالإكثارِ مِنْ ذِكرِه باللَّيل والنَّهار؛ قال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يَمْكثُ في مصلَّاه يَذكرُ اللَّه بعد الفجرِ حتى تَطلعَ الشَّمس (رواه مسلم)، وكان يَتعوَّذُ باللَّه من عينٍ لا تَدْمع، وإذا تَواطَأَ خُشُوعُ قلبٍ صادقٍ مع ذَرفِ دَمْعٍ خفيٍّ؛ حرَّمَ اللَّهُ صاحبَه من دخول النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﷻ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ**» (رواه الترمذي).

وإذا تَوارَتْ تلك العبادة عن الأَنْظَار وبَعُدَتْ عن الرِّياء؛ أظلَّ اللَّهُ الخاشعَ تحتَ ظلِّ عَرْشِه، والسُّنَّة إخفاءُ صوتِ البكاء وعدمُ إظهاره، قال عبد اللَّه بن الشِّخِّير رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أبو داود)، وقال ابنُ مسعُودٍ رضي الله عنه: «قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ» (متفق عليه)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَأَمَّا بُكَاؤُهُ ﷺ: فَلَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ، وَلَكِنْ كَانَتْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْمُلَا، وَيُسْمَعَ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ»؛ فالسَّعيدُ مَنْ أدَّى العباداتِ على الكمالِ مع الإخلاصِ والمتابعة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أَثْنَى اللَّهُ على مَنْ سَارَعَ إلى الخيرات، وأَدَّى العبادات بتمامٍ وإخلاص؛ فالإمامُ العادلُ: كمَّلَ إمارتَه بالعَدْل، والشَّابُّ النَّاشئُ في عبادة اللَّه: كمَّلَ عبادتَه لِربِّه بِمُراقبتِه، ومَنْ كان قلبُه مُعَلَّقاً بالمساجد: كمَّلَ عِمَارَةَ المساجد بالصَّلَوَاتِ الخَمْس، والمُسْلِمُ العَفِيفُ: كمَّلَ الخوفَ من اللَّه، والمُتصدِّق سِرّاً: كمَّلَ الصَّدَقةَ للَّه، والبَاكي في خَلْوَتِه: كمَّلَ الإخلاص.

ومَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَعَ عنه: أَظلَّهُ اللَّهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، ومَنْ تَعرَّفَ على اللَّه في الرَّخاء؛ عَرَفَهُ اللَّهُ في يومِ الشِّدَّة، ومَنْ نَسِيَ ربَّه؛ نَسِيَهُ في شدَّة حاجتِه إليه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فعند اللَّه للأتقياءِ مَزِيد، ولهم النَّجاةُ يومَ الوعيد.

أيُّها المسلمون:

فاضَلَ اللَّه بينَ عِباده بالرِّزق والعطاءِ؛ ابتلاءً لهم وامتِحاناً، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، أغنى من شاءَ منهم بفضله، وأفقَر آخرين بحِكمتِه؛ قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

وفي المجتمَع فئةٌ هم أكثرُ أهلِ الجنَّة، أَعْلَى اللَّه مَنْزِلَتَهم وإنِ احتقَرهم بعضُ الخلق، أَدْنَاهُم اللَّه مِنه وإنْ جفَاهم النَّاس؛ يقول

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر شعبان، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

النَّبيُّ ﷺ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ؛ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا: الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ؛ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا: النِّسَاءَ**» (متفق عليه)، هُمْ أقربُ النَّاس إلى الأَنْبياءِ وأكثرُ أَتْبَاعِ الرُّسُل؛ قال جلَّ شأنُه حكايةً عن قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾، وقال هِرَقْل لأبي سُفْيان: «وَسَأَلْتُكَ - عن أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ - أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوه أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، - قَالَ -: وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ» (رواه البخاري).

أَمَرَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ أَنْ يَكُونَ إقبالُه عليهم، وأَنْزَلَ اللَّهُ العِتَابَ على نَبيِّه ﷺ في الإِعْرَاضِ عنهم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾، مَنْ لَمْ يَدْنُ منهم أو يَأْمُرْ بالإحسانِ إليهم كان مُوبَّخاً في كتابِ اللَّه: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾، صرف اللَّه عنهم فِتنةَ هذه الأُمَّة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ**» (رواه الترمذي).

يَغْضَبُ اللَّه على مَنْ بخَسَهم حقّاً مِنْ حُقُوقِهم، أصحابُ الجنَّة الذين ذكرَهم اللَّه في سورة القلَم، مَنَعُوا الفقيرَ تكثُّراً لأموالهم؛ فأحرَق اللَّه زُرُوعَهم: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

دعَواتُهم حَرِيَّةٌ بالإجابة؛ لِخُلوِّ قلوبِهم من التَّعلُّق بزُخرف الحياة، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَاللَّهُ عِنْدَ المُنْكسِرَةِ قُلُوبُهُمْ».

خيرُ الأَطْعِمَةِ ما شهِدُوها؛ قال ﷺ: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ؛ يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ**» (متفق عليه)، و«كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ

حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ» (متفق عليه)، إطعامُهم موجِبٌ للجِنَان، يقول ﷺ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه أحمد).

السَّاعي عليهم كالمُجاهِدِ والعَابِد؛ قال ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ**» (متفق عليه)، وكان نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أقربَ النَّاسِ إليهم يَتَلَمَّسُ أحوالَهُم، ويَقْضِي حاجاتِهم؛ يقول سهلُ بنُ حَنِيفٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ المُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ» (رواه الحاكم)، وكان جعفر بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يُكْنَى بأَبِي المَسَاكِين؛ يُحِبُّهم ويَسْكُنُ بجانِبِهم، ويُكْثِرُ من الصَّدقةِ عليهم.

في مُجالَسَتِهم: نَماءُ المال، وصَفَاءُ النَّفس، وزُهدٌ في الدُّنيا، وتَذْكِيرٌ بالنِّعَم، وشَحْذٌ لِلْهِمَم إلى الآخرة، في القُربِ منهم تَنْفَتِحُ أبواب الرِّزق؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ** عز وجل**: أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (رواه البخاري).

هُمْ سببُ دفعِ الآفاتِ والشُّرور، قال ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟**» (رواه البخاري)، قال المَناويُّ رحمه الله: «بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أَوْ بِسَبَبِ رِعَايَتِكُمْ ذِمَامَهُمْ، أَوْ بِبَرَكَةِ دُعَائِهِمْ»، وكان الخلفاءُ يَطْلُبونَ النَّصرَ بإِكْرَامِهِم والبَذْلِ لهم، يقول الخليفةُ نُورُ الدِّين رحمه الله - وهو يُقرِّبُ الفُقَرَاءَ إليه ويَحْنُو عليهم -: «هُمْ قَوْمٌ يُقَاتِلُونَ عَنِّي وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى

فِرَاشِي بِسِهَامٍ لَا تُخْطِئُ - أَيْ: بِالدُّعَاءِ -»؛ فأَكْرِمْ نفسَك بإِكْرَامِهِم وقَضَاءِ حَوَائِجِهم.

ولا تَحْتَقِر فَقِيراً لقلَّةِ ذَاتِ يَدِه، ففي الفُقَرَاءِ عُظَماءُ وجَهابِذة وحُفَّاظ ونُبَلاء، فالإمامُ البُخاريُّ جَمَعَ كتابَه الصَّحيحَ الذي هو غُرَّةٌ في جبينِ الزَّمان، ولم يكن عندَه ما يشترِي به طعاماً، بل كان يأْكُلُ من نباتِ الأرض، والإمامُ أحمدُ - الَّذي قال عنه الذَّهبيُّ رحمهما الله: «هُوَ الإِمَامُ حَقّاً وَشَيْخُ الإِسْلَامِ صِدْقاً» - يَرْهَنُ نَعْلَيْه عندَ خبَّازٍ على طعامٍ أَخَذَه منه، وأَشْرَفُ قَرْنٍ في الزَّمانِ - قَرْنُ صحابةِ رسول اللَّه ﷺ -؛ مَسَّ الجُوعُ بُطُونَهُم، يقول المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَة رضي الله عنه: «كُنَّا فِي بَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمُصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ» (رواه البخاري).

ورَاوِيَةُ الإسلام، حَاوِي العِلم، أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، كان أحدَ أعلامِ الفُقَرَاء، يقول: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيّاً عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الجُوعُ» (رواه البخاري).

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ «كَانَ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً» (متفق عليه)، وخَرَجَ مِن دارِه مِراراً مِنْ شدَّةِ الجُوع، ورَبَطَ على بطنِه حَجَراً وحَجَرَيْن تَخْفِيفاً لِأَلَمِ الجُوع، يقول أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه: «سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفاً؛ أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ»، ومات عليه الصلاة والسلام ولَمْ يُخَلِّفْ دِرْهَماً ولا دِيناراً ولا شَاةً ولا بَعِيراً، وخَرَجَ أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما من دارِهما من أَلَمِ الجُوع؛ يقول

أبو هريرة رضي الله عنه: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: **مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟** قَالَا: الجُوعُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا**» (رواه مسلم)، فلا تَتَعَالَى على فقيرٍ؛ ففيهم مُجابُ الدَّعوةِ المُقرَّبُ من اللَّه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**» (رواه مسلم).

والفقراءُ يَحمِلُونَ زادَ الأغنياءِ للآخِرة، ولَوْلَا المَساكينُ ما انْتَفَعَ الغَنيُّ بِغِناه، ولِلفَقيرِ فَضْلٌ عليك في قَبولِ صَدَقَتِك؛ فإنْ قَبِلَها اللَّهُ منكَ رَفَعَك اللَّه بها درجاتٍ، وطريقُ الغِنَى والسَّعَةِ في الأغلَب طريقُ عَطَب.

والزَّمانُ ذو تَقَلُّبٍ؛ تُصبِح غَنِيّاً وقد تُمْسِي فقيراً، فاحْفَظْ مالَكَ بالإنفاقِ، ولا تَرُدَّ فَقِيراً بلا عَطَاء، فما اشتكى فقيرٌ إلَّا مِن تقصيرِ غنيٍّ، يقول ابنُ العربيِّ رحمه الله: «يُسْتَحَبُّ فِي الجُمْلَةِ أَنْ لَا يَرْجِعَ الفَقِيرُ خَائِباً؛ لِئَلَّا يَتَعَيَّنَ لَهُ حَقٌّ، فَيَتَوَجَّهَ عَلَى المَسْؤُولِ عِتَابٌ أَوْ عِقَابٌ».

فشاطِرِ الفقراءَ أفراحَهُم وآلامَهُم بالبشاشةِ والابتِسام، واجعَل الفقيرَ أحدَ أفراد أسرتِك، وأَحِبَّه وادْنُ منه مع حُسنِ الملاطفة واللِّين، وتَأَسَّ بذوِي الكرَم والتَّواضع والسَّخاء، يقول عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَة: إِشْبَاعُ جَائِعٍ، وَكِسْوَةُ العَارِي، وَتِلَاوَةُ القُرْآنِ»، واخفِضْ له جناحَ الذُّلِّ بالعطاء، فالإنفاقُ عليه من أسبابِ الثَّبات على الدِّين، سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **تُطْعِمُ**

الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» (رواه البخاري).

واليسيرُ منَ البذلِ يَسْتُرُ منَ النَّار؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ» (رواه أحمد)، والصَّدقةُ تَدْفعُ البلاءَ، وتَقِي مَصارِعَ السُّوء، وتُطْفِئُ الخَطِيئَة، وتُهَوِّنُ شدائدَ الدُّنيا والآخرة، ويَسْتَظِلُّ صاحبُها فيها في المحشر حتى يُقضَى بين الخلائق، وتحفَظُ المالَ وتُنمِّيه، وتَجْلِبُ الرِّزقَ، وتُحبِّبُ العبدَ إلى اللَّه، وتَدْعُوهُ إلى سائر أعمال البرِّ فلا تَسْتَعْصِي عليه.

والمُنفِقُ تَتيسَّرُ له أُمُورُ الحياة؛ قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾، وفي صَبيحةِ كلِّ يوم يَدْعُو مَلَكٌ لِلْمُنْفِق مالَه، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» (متفق عليه)، والغَنيُّ الجَشِع لا لِنَفْسِه انْتَفَع، ولا ببَذْلِه لِلْفُقَرَاءِ ارْتَفَع، والمالُ يَعْرِض له الشَّرّ بعارضِ البخلِ أو الإسرافِ في إنفاقه: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.

والمالُ كالحجَر في اليد؛ لا يُنْتَفَعُ به إلَّا إنْ فارَقَ الكفَّ، والمُمْسِكُ يَنْدَمُ إذا دنا أجلُه، قال ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

والمالُ صاحِبٌ لا يُؤْمَن أَنْ يَنْقَلِبَ عَدُوّاً فيَحْرِمَ صاحبَه الثَّواب، وإنَّما يُحْمَدُ المالُ إذا قرُبَ من الخيرِ والفقير؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «نِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ هُوَ، لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ المِسْكِينَ، وَاليَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ» (متفق عليه).

والمرءُ يُبتلَى على قدر دينه؛ فإنْ كان في دينه صَلَابةٌ زيدَ فيه، ولا يَنْجُو العبدُ من الابتلاء إلَّا بالصَّبر والتَّعلُّقِ باللَّه، وعلى الفقير ملازمةُ التَّقوى؛ فبها تتيسَّر على المعسِر أبواب الرِّزق، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾، وبمداومةِ الاستغفار يُغْدَقُ المالُ؛ قال سبحانه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلم:

الْتَجِئْ إلى اللَّه بالدُّعاء، وسَلْهُ فتحَ أبوابِ رَحْمَتِه وخيرِه؛ فهو الكريمُ الوهَّابُ يُعْطِي مَنْ يشاءُ بغيرِ حساب، وأَحْسِن الظَّنَّ بربِّك، وانْتَظِرْ فتحَ أبوابِ الرِّزق لك، ولا تَعْجَلْ في تَفْرِيجِ الكَربِ، ولَازِم الصَّبر؛ فقد يكون الرَّبُّ مُدَّخِراً لك خيراً في أُخْرَاك؛ قال ﷺ: «**يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، نِصْفِ يَوْمٍ**» (رواه الترمذي).

ولا تركَن إلى الأسبابِ وَحْدَها في طلبِ الرِّزق، بل اجْعَلْ معها سؤالَ ربِّك؛ فالمكتوبُ من الرِّزقِ قد يَصِلُ إلى الضَّعيفِ العاجز، ويَضِيقُ على الجلد القويّ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب الخَامِس

الإيمانُ بالقَضَاء والقَدَر

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : التَّوكُّل.

الفصل الثَّاني : الصَّبْر.

الفصل الأوَّل

التَّـوَكُّــل

التَّوَكُّلُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه علا، ومَنْ أعرضَ عنه فله معيشةٌ ضَنْكاً.

أيُّها المسلمون:

أَسْعدُ الخلقِ أعظمُهم عبوديَّةً للَّه، وكلَّما كان العبدُ أذلَّ للَّه وأعظم افتقاراً إليه كان أقربَ إليه وأعظمَ قدراً عنده وعند خلقه، والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارِّه، محتاجٌ إلى الاستعانة بخالقه، واللَّهُ سبحانه هو الصَّمدُ الغَنيُّ عمَّا سواه، وكلُّ ما سواه فقير إليه، وذنوبُ العبادِ كثيرة، ولا نجاة لهم منها إلَّا بمعونة اللَّه وعفوه، وكثيرٌ من الكبائر القَلْبيَّة - من الرِّياءِ والكِبْرِ والحَسَدِ وتَرْكِ التَّوكُّل - قد

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، العاشر من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يقعُ فيها المرءُ وهو لا يَشعرُ بها، وقد يَتورَّعُ عن بعضِ الصَّغائر الظَّاهرة وهو في غفلةٍ عن هذه العظائم.

والأسبابُ المُجرَّدةُ تَخذلُ المرءَ عن تَحقيقِ مُناه، وقد يَطرقُ باباً يَظنُّ أنَّ فيه نفعَه فإذا هو ضررٌ محض، ولا يُنجي من ذلك إلَّا التَّوكُّلُ على العزيز الرَّحِيم، لذا عَظَّم ربُّنا من شأن التَّوكُّل، وجَعَلَه منزلة من منازل الدِّين، وقرنه بالعبادة في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، وجعله سبباً لنيل محبَّته فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾، وجعله شرطاً لحصول الإيمان به فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

مقامٌ جليلُ القدر، عظيمُ الأثر، فريضةٌ من ربِّ العالمين، به رضا الرَّحْمَن، وفيه مَنَعةٌ من الشَّيطان، منزلتُه أوسعُ المنازلِ وأَجْمَعُها، أقوى السُّبل عند اللَّه وأحبُّها، أمر اللَّهُ به رسولَه ﷺ في قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾.

والرُّسُلُ هم أَئمَّةُ المُتوكِّلين وقدوتُهم؛ قال تعالى عن نوحٍ عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، وقال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، وقال رسل اللَّه لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾،

وفي مطلع النُّبوَّة والتَّنزيل أَمْرٌ بالتَّوكُّل وأنَّه يفتح المغلق ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾.

جعله اللَّهُ صفةً لأهل الإيمان، يتميزون به عن سواهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، والشَّيطانُ لا سلطانَ له على عباد اللَّه المُتوكِّلين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

والتَّوكُّل مانعٌ من عذاب اللَّه؛ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وموجبٌ لِدخولِ الجنَّات؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، بل المُتوكِّلون حقّاً يدخلون جَنَّةَ ربِّهم بغيرِ حسابٍ؛ كما وصفُهم نبيُّهم ﷺ بذلك في قوله: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» (متفق عليه).

وأوصى النَّبيُّ ﷺ ابن عبَّاس رضي الله عنهما بالتَّوكُّل، وهو غلام لتأصيلِ العقيدةِ في نفسِه في بكورِ حياته فقال: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «التَّوَكُّلُ أَصْلٌ لِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ، وَلِجَمِيعِ أَعْمَالِ الإِسْلَامِ، وَإِنَّ مَنْزِلَتَهُ مِنْهَا مَنْزِلَةُ الجَسَدِ مِنَ الرَّأْسِ».

في التَّوكُّل راحةُ البال، واستقرارٌ في الحال، ودفعُ كيدِ الأشرار،

وهو من أقوى الأسباب التي يَدفعُ بها العبدُ ما لا يطيقُ من أذى الخلق وظلمهم، وبه قطع الطَّمع عمَّا في أيدي النَّاس، سُئل الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن التَّوكُّل فقال: «هُوَ قَطْعُ الِاسْتِشْرَافِ بِاليَأْسِ مِنَ النَّاسِ».

والتَّوكُّل على غير اللَّه ذُلٌّ وامتهانٌ للنَّفس، وسؤالُ المخلوق للمخلوق سؤالٌ من الفقير للفقير، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي).

ومتى الْتَفَتَ القلبُ إلى غير اللَّه وَكَلَه اللَّه إلى مَن الْتَفت إليه، وصار مخذولاً، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ» (رواه الترمذي)، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقاً أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَضُرَّهُ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِقْرَاءِ»، ولا يَحملنَّك عدمُ رجاءِ المخلوق على جفوةِ النَّاسِ، وتركِ الإحسانِ إليهم واحتمالِ الأذى منهم؛ بل أحسن إليهم للَّه؛ لا لرجائهم، وكما أنَّك لا تخافُهم فلا تَرْجُهم، وارجُ اللَّه في النَّاس، ولا تَرْجُ النَّاس في اللَّه.

أيُّها المسلمون:

الأرزاقُ بيد الخلَّاق، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان لغيرك لم تنلْه بقوتك، ورزقُ اللَّه لا يَسُوقُه إليك حرصُ حريصٍ، ولا يَرُدُّه عنك كراهيةُ كَارِهٍ.

والرِّزقُ مَقْسُومٌ لكلِّ أحدٍ - من بَرٍّ وفاجرٍ ومُؤمنٍ وكَافِر -؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾.

والرِّزق يُساقُ إلى الدَّوابِّ مع ضعفِ كثيرٍ منها وعجزِها عن السَّعي في طلب الرِّزق؛ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾، وقد يُيَسِّره اللَّه لك بكسبٍ وبغيرِ كسب، والنَّاسُ يُؤْتَون مِنْ قِلَّة تَحقيقِ التَّوكُّل، ومِنْ وُقُوفِهم مع الأسباب الظَّاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، ولو حقَّقُوا التَّوكُّلَ على اللَّه بقلوبهم؛ لَساقَ اللَّه إليهم أرزاقَهم مع أدنى سبب؛ كما يسوق للطَّير أرزاقها بمجرَّد الغُدُوِّ والرَّوَاح - وهو نوعٌ من الطَّلبِ والسَّعي؛ لكنه سعي يسير -، قال ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً» (رواه أحمد)؛ فلا تُضيِّع زمانك بِهَمِّك بما ضَمِنَ لك من الرِّزق، فما دام الأجلُ باقياً كان الرِّزق آتياً، قال الحسن البَصريُّ رحمه الله: «لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَنْ يَأْكُلَهُ غَيْرِي اطْمَأَنَّ قَلْبِي».

أيُّها المسلمون:

وقَّتَ اللَّه للأمور أقدارَها، وهَيَّأَ إلى الغايات أسبابها، وأمورُ الدُّنيا وزينتُها قد يُدرِك منها المتواني ما يفوت المثابر، ويصيب منها العاجز ما يُخطِئ الحازمُ، والالتفاتُ إلى الأسباب نقصٌ في التَّوحِيد، ومَحْوُ الأسبابِ أن تكون أسباباً نقصٌ في العقل، والإعراضُ عن الأسباب التي أُمِرَ بها قَدْحٌ في الشَّرع، وعلى العبد أن يكونَ قلبُه

معتمداً على اللَّه لا على الأسباب، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أَكملُ المُتوكِّلين، ولم يُخِل بالأسباب؛ فقد ظاهر بين دِرْعَيْن يومَ أُحُد، واستأجرَ دليلاً يدلُّه على طريق الهجرة، وحَفَرَ الخندقَ يومَ غزوةِ الأحزاب.

وحقيقةُ التَّوكُّلِ: القيامُ بالأسباب والاعتمادُ بالقلب على المُسبِّب، واعتقادُ أنَّها بيده، فإن شاءَ مَنَعَ اقتضاءَها وإن شاء جَعَلَها مقتضيةً لضدِّ أحكامها، وإن شاء أقامَ لها موانعَ وصوارفَ تُعارضُ اقتضاءها وتَدفعُه، والمُوحِّدُ المُتوكِّلُ لا يطمئنُّ إلى الأسباب ولا يرجوها، كما أنَّه لا يُهملها أو يبطلها؛ بل يكونُ قائماً بها ناظراً إلى مسببها سبحانه ومجريها.

وإذا قَوِيَ التَّوكُّلُ وعَظُمَ الرَّجاءُ أَذِنَ اللَّهُ بالفرج، تَرَكَ الخليلُ زوجتَه هاجرَ وابنَها إسماعيلَ صغيراً رضيعاً بوادٍ لا حسيسَ فيه ولا أنيس، ولا زرعَ حولَه ولا ضرع، تَوكُّلاً على اللَّه وامتثالاً لأمره، فأحاطهما اللَّه بعنايته، فإذا الصَّغير يكون نبيّاً وصفه اللَّه بالحِلْم والصَّبر وصدق الوعد والمحافظة على الصَّلاة والأمر بها، والماءُ المباركُ زمزمُ ثمرةٌ من ثمار تَوكُّل الخليل.

ولمَّا عَظُمَ البلاءُ ببني إسرائيل، وتَبِعَهُم فرعونُ بِجنودِهِ وأحاطوا بهم، وكان البحرُ أمامَهم: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾، قال نبيُّ اللَّه موسى عليه السلام الواثقُ بنصر اللَّه: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، فأمرهُ اللَّه بِضربِ البحرِ فصار طريقاً يَبَساً كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْد العظيم.

ويونس عليه السلام الْتَقَمَهُ حوتٌ في لُجَج البحر وظَلْمَائه؛ فلجأ إلى مولاه، وألقى حاجته إليه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فنُبِذَ وهو سَقِيمٌ في العَرَاء، وما ضاعَ مُجرَّداً في الخلاء.

وأُمُّ موسى أَلْقَتْ ولدَها مُوسى في اليَمِّ ثقةً باللَّه، وامتثالاً لأمره؛ فإذا هو رسُولٌ من أُولي العزم المقربين.

ويعقوبُ عليه السلام قيل له: إنَّ ابنَك أَكَلَه الذِّئبُ؛ ففوَّض أمره إلى اللَّه وناجاه، فردَّه عليه مع أخيه بعد طول حزنٍ وفراقٍ.

ولمَّا ضاق الحالُ، وانحصر المجال، وامتنعَ المقال من مريم عليها السلام، عَظُم التَّوكُّل على ذي العظمة والجلال، ولم يبق إلَّا الإخلاصُ والاتِّكال، فأشارت إليه أن خاطِبُوهُ: ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾، فعندها أَنْطقَهُ اللَّهُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم يَتوارى مع صاحبِه عن قومِه في جبلٍ أَجْرَد، في غارٍ قَفْرٍ مَخُوف، فبلغ الرَّوعُ صاحبَه وقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ - وهُو وَاثِقٌ بربِّه -: **يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**» (متفق عليه)؛ فأنزل اللَّهُ تأييدَه ونصْرَه وأمدَّهُ بجنودٍ لا تُرىَ؛ فسَكَنَ الجأشُ وحصل الأمنُ وتمَّت الهجرة، وانطلقت الرِّسالة.

وإذا تكالبت عليك الأيَّام، وأحاطت بك دوائرُ الابتلاء، فلا تَرْجُ

إلَّا اللَّه، وارفعْ أَكُفَّ الضَّراعة، وألْقِ كَنَفَك بين يدي الخلَّاق، وعَلِّقْ رجاءَك به، وفوِّضِ الأمرَ للرَّحِيم، واقطعْ العلائقَ عن الخلائق، ونادِ العظيم، وتَحَرَّ أوقاتَ الإجابة - كالسُّجود، وآخر اللَّيل -، وإذا قَوِيَ التَّوكُّلُ والرَّجاء، وجُمِعَ القلبُ في الدُّعاء: لم يُرَدَّ النِّداء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، فَسَلِّمِ الأمرَ لِمالِكِه.

واللَّهُ عزيزٌ، لا يَذِلُّ من استجارَ به، ولا يُضيِّعُ مَنْ لَاذَ بِجنابِه، وتَفريجُ الكرباتِ عند تَناهي الكَرْب، واليُسْرُ مُقْتَرِنٌ بِالعسر، وتَعرَّفْ على ربِّك في الرَّخاء يَعرفْك في الشِّدَّة، و«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» قالها الخليلان في الشَّدائد.

ومَنْ صَدَقَ توكُّلُه على اللَّه في حُصولِ شيءٍ نالَه، ومَنْ فوَّضَ أَمْره إليه كفاه ما أهمَّه، ومَنْ حقَّقَ التَّوكُّلَ عليه لم يَكِلْهُ إلى غيره؛ بل تَولَّاه بنفسه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

وعلى قدرِ حُسْنِ ظنِّك بِربِّك ورجائكَ له يكون تَوكُّلُك عليه، فاجعل ربَّك وحدَه مَوضعَ شكواك، قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاللَّهِ لَوْ يَئِسْتَ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى لَا تُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئاً لَأَعْطاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَا تُرِيدُ».

وهو سبحانه قديرٌ لا تَتحرَّكُ ذَرَّةٌ إلَّا بإذنه، ولا يَجري حادثٌ إلَّا بمشيئته، ولا تَسقطُ ورقةٌ إلَّا بِعلمه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، قال إبراهيم الخوَّاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرَ اللَّهِ».

ومَنْ تعلَّقَ بغيرِ اللَّه أو سَكَنَ إلى علمِه وعقلِه ودوائِه وتمائِمِه، واعتمد على حولِه وقوَّتِه وَكَلَه اللَّهُ إلى ذلك وخَذَلَه، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «وَهَذَا مَعْرُوفٌ بِالنُّصُوصِ وَالتَّجَارِبِ».

وأَرْجَحُ المكاسبِ: الثِّقةُ بِكفايةِ اللَّه وحسنُ الظَّنِّ به، ومَنْ ظنَّ أنه يُنالُ ما عند اللَّه بِمعصيتِه ومخالفتِه كما يُنالُ بطاعته والتَّقرُّبِ إليه، أو ظنَّ أنه إذا تَرَكَ شيئاً من أجله لم يعوِّضْه اللَّه خيراً منه، أو ظنَّ أنَّ مَنْ فعل شيئاً لأجله لم يُعطِهِ أفضلَ منه، أو ظنَّ أنه إذا صَدَقَهُ في التَّوكُّل عليه أنه يُخيِّبه ولا يُعطيه ما سأله؛ فقد ظنَّ باللَّه ظنَّ السَّوء، ولا يَسْلَمُ من هذا إلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وعَرَفَ أسماءه وصفاتِه وعَرَفَ مُوجِبَ حكمتِه وحَمْدِه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «أَكْثَرُ الخَلْقِ؛ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَظَنَّ السَّوْءِ؛ فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا شَاءَهُ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ فَتَّشَ فِي نَفْسِهِ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ طَوَايَاهَا رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِناً؛ فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوْءَ بِنَفْسِهِ».

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لا يَسْتَقِيمُ تَوكُّلُ العبد حتى يصحَّ تَوحِيدُه، وعلى قدرِ تجريدِه التَّوحيدَ يكونُ صحَّةُ التَّوكُّل، ومتى التفتَ العبدُ إلى غيرِ اللَّه أخذ ذلك شُعبةً مِن شُعَبِ قلبه؛ فَنَقص من تَوكُّلِه بقدر ذهاب تلك الشُّعبة.

ومَنْ نَزَلَتْ به فاقةٌ فأنزلَها بالخلق لم تُسدَّ فاقتُه، ومَنْ سرَّه أن يكون أقوى النَّاس فلْيَتَوكَّلْ على اللَّه، ومَنْ سرَّه أن يكونَ أغنى النَّاس فلْيَكُنْ ما في يد اللَّه أوثقَ منه ممَّا في يده.

والرِّضا والتَّوكُّل يكتنفان المقدور، فالتَّوكُّلُ قبلَ وقوعِه والرِّضا بعد وقوعِه، والرِّضا ثمرةُ التَّوكُّل، وروحُ التَّوكُّلِ التَّفويضُ وإلقاءُ أمورِك كلِّها إلى اللَّه، يقولُ داود بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ: «يُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى المُؤْمِنِ بِثَلَاثٍ: حُسْنُ التَّوَكُّلِ فِيمَا لَمْ يَنَلْ، وَحُسْنُ الرِّضَا فِيمَا قَدْ نَالَ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ فِيمَا قَدْ فَاتَ».

وكلَّما كان العبدُ باللَّه أعرفَ كان توكُّلُه عليه أقوى، وقوَّةُ التَّوكُّلِ وضعفُه بحسب قوَّةِ الإيمانِ وضعفِه.

ومَنْ توكَّلَ على اللَّه فلا يَعْجَلْ بالفرج، فاللَّهُ ذكر كِفايتَه للمُتوكِّل عليه، ورُبَّما أَوْهَمَ ذلك تَعَجُّلَ الكفايةِ وقتَ التَّوكُّل، فاللَّهُ جَعَلَ لكلِّ شيء قَدْراً ووقتاً؛ فلا يَستعجلُ المتوكِّلُ فيقول: قد توكَّلتُ ودعوتُ فلم أر شيئاً، فاللَّهُ بَالِغُ أمرِه قد جعل لكلِّ شيءٍ قَدْرَه.

واللَّهُ هو المُتفرِّدُ بالاختيار والتَّدبير، وتدبيرُه لعبده خيرٌ من تدبيرِ العبدِ لنفسه، وهو أرحمُ به منه بنفسه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه ...

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ حقُّ اللَّه على عباده، وبه بَعَثَ اللَّهُ رُسلَه وأنزل كُتبَه، وحقيقتُه: إفراد اللَّهِ بالعبادة، والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللَّه ويرضاه - من الأقوال والأعمال؛ الظَّاهرة منها والباطنة -، فللقلب عبوديَّة تَخصُّه، وعُبوديَّته أعظمُ من عبوديَّة الجوارح وأكثرُ وأدومُ، ودخول أعمال القلب في الإيمان أَوْلَى من دخول أعمال الجوارح؛ فالإيمانُ القائمُ بالقلب علماً وحالاً هو الأصلُ المقصود، والأعمالُ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّامن عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الظَّاهرةُ مُتمِّمةٌ له وتَبَعٌ، ولا تكون صالحةً مقبولةً إلَّا بتوسُّطِ عملِ القلب؛ فهو روحُ العُبوديَّةِ ولُبُّها، وإذا خَلَتِ الأعمالُ الظَّاهرةُ منه كانت كالجسد الموات بلا روح، وبصلاح القلب صلاحُ الجسدِ كلِّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» (متفق عليه).

وتفاضُلُ العبادِ بتفاضُلِ ما في قلوبهم، وبها تَفَاضُلُ الأعمال، وذلك محلُّ نظرِ الرَّبِّ من عباده؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم).

ومن آكد أعمالِ القلوب: حُسنُ الظَّنِّ باللَّه؛ فهو من فروض الإسلام وأحَدُ حقوقِ التَّوحيد وواجباتِه، ومعناه الجامعُ: كلُّ ظنٍّ يليق بكمالِ ذات اللَّهِ سبحانه وأسمائِه وصفاتِه، وهو فرعٌ عن العلم به ومعرفتِه، ومبناه على العلم بسعة رحمة اللَّه، وعزَّتِه وإحسانه، وقدرتِه وعلمِه، وحسنِ اختياره، فإذا تمَّ العلمُ بذلك أَثْمَرَ للعبد حُسنَ الظَّنِّ بربِّه ولا بد، وقد ينشأ من مشاهدة بعضِ أسماء اللَّه وصفاتِه.

ومَنْ قام بقلبه حقائقُ معاني أسماء اللَّه وصفاتِه قام به من حُسنِ الظَّنِّ ما يناسب كلَّ اسمٍ وصفة، لأنَّ كلَّ صفةٍ لها عبوديةٌ خاصةٌ وحسنُ ظنٍّ خاصٌّ بها.

وكمالُ اللَّهِ وجلالُه وجمالُه وإفضالُه على خلقه موجِبُ حسنَ الظَّنِّ به ﷻ، وبذلك أمر اللَّهُ عباده في قوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾،

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ»، وأكَّد النَّبِيُّ ﷺ قبل موته على ذلك لعظيم قدره؛ قال جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: **لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

وقد امتدح اللَّهُ عبادَه الخاشعينَ بحُسْن ظنِّهم به، وجعَل من عاجل البشرى لهم تيسيرَ العبادةِ عليهم وجعَلها عوناً لهم؛ قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وقد نال الرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ المنزلةَ الرَّفيعةَ في معرفتهم باللَّه؛ ففوَّضوا أمورَهم إليه حُسْنَ ظنٍّ منهم بربِّهم، فإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك هَاجَر وابنَها إسماعيل عند البيت وليس بمكَّة يومئذٍ أحدٌ وليس بها ماء، ثم ولَّى إبراهيم منطلقاً فَتَبِعَتْهُ هَاجَر وقالت: «يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» (رواه البخاري)؛ فكان من عاقبةِ حسنِ ظنِّها باللَّهِ ما كان، فنَبَع ماءٌ مباركٌ، وعُمِرَ البيت، وبقي ذكرُها خالداً، وصار إسماعيل نبيّاً، ومن ذرِّيَّته خاتم الأنبياء وإمام المرسلين.

ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدَ ابنينِ له، فصبر، وفوَّض أمرَه للَّه، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وبقي قلبُه ممتلئاً بحُسنِ الظَّنِّ باللَّه وأنَّه خير الحافظين، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ

ﭐلۡعَلِيمُ ﭐلۡحَكِيمُ﴾، وأمر عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءه بذلك، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

وبَنُو إسرائيلَ لَحِقَهُم من الأذى ما لا يطيقون، ومع عِظَم الكرب يبقى حسنُ الظَّنِّ باللَّه، فيه الأملُ والمخرج؛ فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، واشتد الخَطْبُ بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَنْ معه، فالبحرُ أمامَهم، وفرعونُ وجندُه من ورائهم، وحينها: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾، فكان الجواب من النَّبيِّ الكليم شاهداً بعظيم ثقته باللَّهِ وحُسنِ ظنِّه بالرَّبِّ القدير: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾؛ فأتى الوحي بما لا يخطر على بال: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۞ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۞ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾.

وأعظمُ الخلقِ عُبوديَّةً للَّه وحُسنَ ظنٍّ به: نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ آذاه قومُه، فبقيَ واثقاً بوعدِ اللَّهِ ونَصْرِه لدينه، قال له مَلَكُ الجبال: «**إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه)، وفي أشدِّ الضِّيقِ وأَحْلَكِهِ لا يفارق نبيُّنا ﷺ حسنَ الظَّنِّ بربِّه، أُخْرِجَ من مكَّةَ وفي الطَّريق أوى إلى غار، فلحقه الكُفَّار وإذا بهم حوله فيقول لصاحبه مثبِّتاً إياه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، قال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» (متفق عليه).

ومع ما لاقاه من أذًى وكرْبٍ وقتالٍ من كلِّ جانبٍ إلَّا أنه واثق ببلوغِ هذا الدِّين إلى الآفاق على مرِّ العصور، وكان يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ» (رواه أحمد)، واخترط أعرابيٌّ السَّيفَ - أَيْ: سَلَّهُ - على النَّبيِّ ﷺ وهو نائمٌ، قال ﷺ: «فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً - أَيْ: بَارِزاً بِهِ -، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ - ثَلَاثاً -؛ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ» (متفق عليه)، وعند أحمد: «فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ».

والصَّحابةُ أشدُّ الخَلق يقيناً بحُسنِ ظنِّهم باللَّه بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، جاء ابنُ الدَّغِنَّةِ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه لِيسرَّ في صلاتِه وقراءتِه أو يَردَّ إليه جواره - أَي: يَنْقُضَ عَهْدَ الدِّفاعِ عنه، ويُمكِّنَ كفَّارَ قريشٍ منه -، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عز وجل» (رواه البخاري)، وقال عمرُ رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ مَالٌ عِنْدِي، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَاهُ

أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (رواه أبو داود).

وخديجةُ سيِّدةُ نساءِ العالمين، جاءها النَّبيُّ ﷺ أوَّلَ بَدْءِ الوَحْي فقال: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: كَلَّا؛ أَبْشِرْ! فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبداً، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه).

وعلى هذا سار سلف الأُمَّة، قال سفيان رحمه الله: «مَا أُحِبُّ أَنَّ حِسَابِي - أَيْ: مُجَازَاتِي عَلَى الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ - جُعِلَ إِلَى وَالِدَيَّ، رَبِّي خَيْرٌ لِي مِنْ وَالِدَيَّ»، وكان من دعاء سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ رحمه الله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ».

وفي الجِنِّ صالحون، ظنونهم باللَّه حسنة، يوقنون بقوة اللَّه، وسَعة عِلْمه؛ فكان من قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾.

وإنَّ من عباد اللَّه مَنْ لو أقسَم على اللَّهِ لَأَبَرَّه، ليس تألِّياً وإنَّما حُسْنُ ظنٍّ به تعالى، والمؤمنُ مِنْ شأنه حُسْنُ الظَّنِّ بربِّه في كلِّ حينٍ وعلى كلِّ حالٍ، وأَوْلَى ما يكون كذلك إذا دعاه وناجاه موقناً بقربه، وأنه يجيب مَنْ دعاه ولا يُخَيِّب مَنْ رجاه.

ومن أسباب قبول التَّوبة: حُسنُ ظنِّ صاحبها بربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ

فيما يروي عن ربِّه: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» (متفق عليه).

وفي الشَّدائد والمِحَن تَنْصَع الظُّنون الحسنة وتنكشف ظنون السُّوء، ففي أُحدٍ كان من شأن أهل الإيمان الثَّباتُ، وغيرُهم يظنون باللَّه غير الحق ظنَّ الجاهلية، وفي الأحزاب تعددت الظُّنون باللَّه؛ قال اللَّه عن طائفة: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾، وأمَّا الصَّحابةُ رضي الله عنهم فأيقنوا أنَّ المِحَنَ ابتلاء من اللَّه يعقبها النَّصر والفرج، قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

والمَخْرجُ عند الضِّيق والكروب والهموم حُسنُ الظَّنِّ باللَّه؛ فالثَّلاثة الَّذين خُلِّفُوا لم يَكْشِف عنهم ما حلَّ بهم من الكرب إلَّا حسنُ ظنِّهم باللَّه، قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

واللَّهُ قويٌّ قديرٌ، ونصرُه لعباده وأوليائه ليس دونَه غالبٌ، ومن اليقين الثِّقة بنصره، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾.

وهو سبحانه رحيمٌ رحمن، مَنْ آمَنَ به وعَمِلَ الصَّالحات ورَجا نوالَ رحمةِ اللَّهِ نالها، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ: كَتَبَ فِي

كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» (متفق عليه).

ومَنْ ضاق به عيشُه فحُسْنُ ظنِّه سَعةٌ وفَرَج، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ؛ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ؛ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» (رواه الترمذي)، قال الزُّبير بن العوَّام لابنه عبد اللَّه رضي الله عنهما: «يَا بُنَيَّ! إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ - أَيْ: عَنْ سَدَادِ الدَّيْنِ - فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ! مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ! اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ؛ فَيَقْضِيهِ» (رواه البخاري).

وهو سبحانه واسعُ المغفرة والعطاء، مَنْ أحسنَ الظَّنَّ به في غِنَاه وكرمه ومغفرته أعطاه سُؤْلَهُ، ينزل سبحانه إلى السَّماء الدُّنيا في الثُّلث الآخر من كلِّ ليلةٍ فيقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، ويداه سبحانه مَلْأَى «لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

واللَّهُ توَّاب يَفْرَح بتوبة العباد، ويبسط يدَه باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النَّهار، ويبسط يدَه بالنَّهار ليتوبَ مسيءُ اللَّيل، ومِنْ كمالِ صفاتِه لا يَرُدُّ سبحانه مَنْ أقبل عليه، وأَحوجُ ما يكون العبد إلى حُسْن الظَّنِّ باللَّه إذا دنا أجلُه وودَّع دنياه وأقبل على ربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

في هذه العبادة امتثالُ أمر اللَّه، وتحقيقُ عبوديَّته، وللعبد من ربِّه

ما ظنَّ به، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**» (متفق عليه)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ظَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ الخَيْرَ فِي يَدِهِ سُبْحَانَهُ».

وإذا رُزِق العبدُ حُسنُ الظَّنِّ بربِّه؛ فقد فتح اللَّه عليه بابَ خيرٍ في الدِّين عظيم، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئاً خَيْراً مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

وأعمالُ النَّاسِ على قدر ظنونِهم بربهم، فأمَّا المؤمن فأحسَنَ الظَّنَّ باللَّه فأحسَنَ العملَ، وأمَّا الكافر فأساء باللَّه الظَّنَّ فأساء العمل، في هذه العبادة حُسْن الإسلام وكمال الإيمان وهي طريق الجنَّة لصاحبها، عبادةٌ قلبيَّةٌ تُورثُ التَّوكُّل على اللَّه والثِّقة به، قال ابن القيِّم رحمه الله: «عَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ».

ومن آثار هذه العبادة: طمأنينةُ القلب، والإقبالُ على اللَّه والتَّوبةُ إليه، ولا أشرحَ للصَّدر ولا أوسعَ له بعد الإيمان من الثِّقة باللَّه ورجائه، ففيه ما يدعو أهله للتَّفاؤل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» (متفق عليه)، قال الحَلِيمِيُّ رحمه الله: «التَّشَاؤُمُ: سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّفَاؤُلُ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

هو عونٌ لصاحبه على الكرم والشَّجاعة، ويورثُه القوَّة، قال

أبو عبد اللَّه السَّاجيُّ ﵀: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ أَحْرَزَ قُوتَهُ، وَهُوَ خَيْرُ الزَّادِ وَنِعْمَ العُدَّةُ»، قيل لِسلمةَ بنِ دينارٍ ﵀: «يَا أَبَا حَازِمٍ! مَا مَالُكَ؟ قَالَ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَاليَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

ومَنْ أَحسنَ الظَّنَّ بربِّه سَخَتْ نفسُه وجادت بماله مُوقِناً بقول اللَّه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، قال سليمانُ الدَّارانيُّ ﵀: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الحِلْمُ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ فِي نَفَقَتِهِ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ».

وهو حَادٍ على الرَّجاء فيما عند اللَّه، والثِّقةِ بوعده، وفعلِ الخير طمعاً بفضله على ما جاء في قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

واللَّهُ يُعَامِلُ عبادَه على قَدْر ظنونهم به، والجزاءُ من جنس العمل؛ فمَنْ ظَنَّ خيراً فله ذلك، ومَنْ ظَنَّ سواه فقد خَسِرَ، قال النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ، إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ» (رواه أحمد)، وإذا كان العبدُ حَسَنَ الظَّنِّ باللَّه فإنَّ اللَّه لا يُخيبُه البَتَّة، ويوم القيامة يقول مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بربِّه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ كريمٌ كبيرٌ قويٌّ عظيم، إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وَعَدَ بحفظ كتابه، ونَصْرِ دينِه، وجعل العاقبةَ للمتَّقين، يرزقُ من يشاء بغير حساب، ويُفرِّجُ كروبَ مَنْ لجأ إليه.

ومَنِ ازداد علمُه باللَّه؛ زاد يقينُه به، ومَنْ أساء الظَّنَّ به؛ فهو لجهله بكمال أسمائه وصفاته، وذلك من صفات أهل الجاهليَّة، قال سبحانه: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

ومِنْ ثمار الإيمان بأسماءِ اللَّهِ وصفاتِه: حُسنُ الظَّنِّ به، والاعتمادُ عليه، وتفويضُ الأمور إليه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

حقيقةُ الظَّنِّ الحَسَن باللَّه تَظْهر في حُسْنِ العمل، وإنما يكون نافعاً مع الإحسان، وأَحْسَنُ النَّاس ظنّاً بربِّهم أطوعُهُم له، وكلّما حَسُنَ ظنُّ العبدِ بربِّه حَسُنَ ولا بد عملُه، ومَنْ ساء منه الفعلُ ساءت ظنونُه، ومتى قارن حُسنُ الظَّنِّ فعلَ المعاصي كان أَمْناً مِن مكر اللَّه، وحُسْنُ الظَّنِّ إنْ حَمَل صاحبَه على الطَّاعة فهو النَّافع، وإنْ نَقَصَ ذلك في القلبِ ظَهَرَتْ على جوارحِه المعاصي.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الصَّبْــــرُ

الخِيرَةُ فِيمَا قَضَاهُ اللَّهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أظهرتُم، وخيرُ ما أكننتُم.

أيُّها المسلمون:

سمَّى اللَّهُ نفسَه بأسماءٍ حُسنى، واتَّصفَ بأكملِ الصِّفات، خَلقَ الخلقَ وأتْقنَه، وفَطَر الكونَ فأبدعَه، وَمَلَكَ فأحكمَ مُلْكَه، لا يَتحرَّكُ متحرِّكٌ ولا يَسكنُ ساكنٌ إلَّا بعلمِه وإرادتِه، يَحكمُ ولا معقِّبَ لحكمِه، ويَقضي ولا رادَّ لقضائه، قويٌّ؛ لا يُمَانَعُ في فعله، عظيمٌ كبيرٌ؛ لا يُسألُ عمَّا يَفعلُ والخلقُ يُسْألون، وهو سبحانه مع ذلك رحيمٌ؛ يَتقلَّبُ الخلقُ في آثار رحمته، أرحمُ من الوالدة بولدها، شكورٌ؛ من ترك شيئاً

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

لأجله أعطاه المزيد، لطيفٌ بعباده؛ يَسوقُ إليهمُ النِّعمَ وهم لا يشعرون، رزَّاقٌ فتَّاحٌ؛ فَتَح أبوابَ الرِّزق من السَّماء والأرضِ على عباده: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾، كريمٌ؛ يُعطي ويُجزلُ في العطاء، ليس بينه وبين خلقِه حجاب.

والعبدُ ضعيفٌ منعوتٌ بالفقر، موصوفٌ بالعجلة، محجوبٌ بالجهل، لا يَعلمُ ما يكون غداً، ولا أين يموت؟: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وهو سبحانه رحيمٌ رؤوفٌ بعباده، أمَرَهم أن يفوِّضوا أمورَهم إليه، ويتوكَّلوا عليه، وأن يرضَوا بما قسمه لهم.

والإيمانُ بالقضاء والقدر: أحدُ أركانِ الإيمان، وكان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ صحابتَه أسبابَ الإيمان والرِّضا بما اختاره اللَّه لهم، كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورةَ من القرآن؛ لاسْتِتَارِ الغيبِ وخَفَاءِ الحكمةِ عنهم، قال جابرٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ» (رواه البخاري)، وما يَقْضِي به اللَّهُ للعبد، خيرٌ ممَّا يَطلبُه العبدُ لنفسِه؛ فإنَّه أرحمُ به من نفسِه، وما يَدَّخرُه للعبد إذا منعَه ما يُحِبُّ، خيرٌ له ولو كانت نفسُه مُتشوِّقةً إلى ضدِّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**» (رواه مسلم).

وما يُصابُ به المسلمُ مِنْ مَصائبَ وأحزان، إنَّما يَبتليهِ اللَّهُ بها

ليُهذِّبَه، ويَمْتَحِنُهُ بها ليُعطيَه، ويَمنعُهُ لِيرفعَه، والمكروهُ قد يأتي بالمحبوب، والمرغوبُ قد يأتي بالمكروه، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، كَمْ قضى اللَّهُ لعبده بسببِ الابتلاءِ من الدَّرجات والهباتِ وهو لا يعلم؟! إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وُهِبَ له إسماعيلُ بعد كِبَرٍ وأحبَّهُ؛ فأمره اللَّهُ بذبحِه ابتلاءً له؛ فامتثلَ الخليلُ لأمر اللَّهِ بالذَّبح، فكانت الخيرةُ له؛ فنجَّى اللَّهُ ابنَه من الذَّبح، وبنى إسماعيلُ معه الكعبة، ووهبَ له مع إسماعيلَ إسحاق، ومن وراءِ إسحاقَ يعقوب، ولم يأتِ نبيٌّ إلَّا من سُلالةِ الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهاجرُ أُمُّ إسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تركَها زوجُها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع رضيعِها بِأمرِ اللَّهِ في مكَّةَ، بوادٍ قَفْرٍ، لا حسيسَ فيه ولا أنيس، وأوشَكَتْ على الهلاك، لا ماءَ ولا مأوى، فَجَرَتْ بين جبلين تنظر: هل ترى أحداً فلم ترَ أحداً، فكانت الخِيرَةُ فيما اختاره اللَّه، نزل جبريلُ فضربَ بجناحِه الأرض؛ فخرجت زمزمُ عيناً معيناً، يَشربُ منها الحُجَّاجُ والمعتمرون وغيرُهم، ببركةِ توكُّلِ هاجرَ على اللَّه، ويَسْعون كما سعت بين الصَّفا والمَرْوَة.

ويوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عاشَ في كَنَفِ أبٍ رحيم مُشفِقٍ، يخافُ عليه أن يَخرُجَ للَّعِب مع إخوته: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ثم يُنتزعُ من وَسَطِ تلك الرِّعايةِ والعطف، ويَفقِدُ حنانَ الأُبوَّةِ وأُنسَ الأُخوَّةِ، ويُلقى في الجُبِّ فريداً، منحه اللَّه نسباً وجمالاً وشباباً، فَرَاوَدَتْهُ امرأةٌ بعد الجُبِّ عن نفسه، فقال مع توفر الدَّواعي:

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، فأعقبَهُ اللَّهُ ثناءً، وجعله مثالاً لعفافِ الشَّبابِ والخشيةِ من اللَّه في الخفاء، ومنحه الرِّسالةَ بعد الجُبِّ، وجَعَلَ خزائنَ مُلْكِه بيده، وأُنزِلتْ سورةٌ باسمه تُتْلَى إلى يومِ القيامة.

وأيوبُ عليه السلام يُبتلَى بالمرض، ويَتوارى عنه الأصحاب، ومات له - وهو على تلك الحال - أولاد، ولكنَّ اللَّه برحمته مدَّخِرٌ له الشِّفاءَ والنَّعْماء؛ فعوفِيَ من الابتلاء، ورزقه اللَّه من الأولاد مِثْلَهم من العدد، وجعله اللَّه مَثَلاً للصَّابرين: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾.

ويونسُ عليه السلام يُلقى من السَّفينة في لُجَجِ البحر، فيَلْتَقِمُه حوتٌ، ولكنَّ اللَّه أنجاه من الهلاك ورعاه بكلاءته؛ فألقاه الحوتُ على ساحلِ البحر، بعد أن مَكثَ في بطنه أيَّاماً، وأنبتَ اللَّهُ عليه شجرةً من يَقْطِين، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون، فآمنوا كلُّهم فمتَّعهم اللَّه إلى حين؛ فكان ابتلاؤه خيراً له ولقومه وللمكروبين مِنْ بعده، فما دعا أحد بدعوته إلَّا نجَّاه اللَّه من كربه، قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، قال ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**» (رواه الترمذي).

وزكريَّا عليه السلام حُرِمَ الذُّرِّيَّةَ دهراً طويلاً، ووَهَنَ عظمُه واشتعلَ رأسُه شيباً، والتجأ إلى اللَّه بالدُّعاء؛ فكان عاقبةُ هذا التَّأخير، أَنْ نادْته الملائكةُ أنَّ اللَّهَ يبشِّرُك بغلام، والذي سمَّى هذا الغلام هو اللَّه، وسمَّاه باسم لم يُسمَّ به مخلوقٌ من قبل: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾، وقَبْلَ حَمْلِ أمِّه به، كشف اللَّه لوالِدِه ما سيكونُ من حال ابنه في الحياة؛ لتطمئنَّ نفسه بهدايته: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وأمُّ موسى يأمرُها اللَّه بإلقاء ابنِها موسى في اليمِّ وهو رضيع، وفي ظاهرِ ذلك الهلاك، لكنَّ اللَّه حفِظَه، وحَرَّمَ عليه المراضع، وَرَدَّهُ إلى أُمِّه تُرْضِعُه وتأخذُ ثمناً على رضاعتها له.

ثمَّ يعيشُ موسى عليه السلام في مساكنِ فرعونَ في نعيمٍ ورخاءٍ، ويُبْتَلَى ببلاءٍ آخر، فإذا ملأٌ يَأْتَمِرُونَ به ليقتلوه، فَيخرجُ من مِصرَ خائفاً يَترقَّبُ ويَسيرُ في صحراءَ جرداء، ويَصلُ إلى مَدْينَ - بلدٍ لا يعرفه -، فيَرفعُ بصره إلى السَّماء ويقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾؛ فمنحَه اللَّهُ - بعد هذا العناءِ والابتلاءِ - الرِّسالةَ والنُّبوَّةَ، وكلَّمَهُ بلا واسطة، واصطفاه من أُولي العزم.

وأُمُّ مريمَ تتمنَّى أن تُرزقَ بمولودٍ ذكر، فرزقها اللَّهُ أنثى؛ فكانت العاقبة خيراً كثيراً، فتَلِدُ تلك الأنثى نبيّاً رسولاً.

ومريمُ عليها السلام حفظت فرجَها؛ فنفخ اللَّهُ فيها من روحه، فحملَتْ بأمر اللَّه من غير زوج، ومن هَوْلِ مصابها قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا

وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾، ولكنَّ اللَّهَ حكيمٌ عليمٌ جعل هذا الحملَ آيةً للنَّاس، تَحْمِلُ به من غير زوج، ويُولَدُ ذلك الحملُ ويكون نبيّاً، ويُخلِّد اللَّه ذكرها وولدها في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ نَشأَ يتيمَ الأبوين، ولا إخوةَ له يُرافقُهم؛ فكان اللَّهُ هو الذي آواه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، وعُرِج به إلى السَّماء ويُرافقُه جبريل، وأعدَّ اللَّه له خيرَ نُزُلٍ في الجنَّة وأعلاه، وقال له: ﴿وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

والصَّحابةُ رضي الله عنهم هاجروا من مكَّةَ إلى المدينة، تركوا وطنَهم وأهلَهم إلى أرضٍ أخرى وقومٍ آخرين؛ فجعلَهم اللَّهُ حملةَ الدِّين، وجعلهم من أهل الجنَّة: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

وفي السَّنَةِ السَّادسة مِنَ الهجرةِ قَدِم النَّبيُّ ﷺ مع صحابتِه إلى مكَّة في الحُديبية، وعددهم ألفٌ وأربعُ مئة، فصَدَّهُم المشركون عن دخولِها، واصطَلَحوا على أن يأتوها العامَ المقبِل، فَتَأَلَّمَتْ قلوبُ الصَّحابة، وحَزِنَتْ نفوسُهم، إذ صُدُّوا عن البيتِ بعد قربِهم منه، وأُمِروا بالرُّجوع عنه وقد قدموا إليه، فاستجابوا لأمر رسول اللَّه ﷺ بالرُّجوع عن الدُّخول هذا العام؛ فعادوا إليه العام المقبِل، وعوَّضَهُمُ اللَّه عمرةً عن عمرتهم التي تحلَّلُوا منها وقوة وعزّاً، وصاروا عشرةَ آلاف، ودخلوا مكَّةَ من غير قتالٍ عامَ الفتح، ودخلَ النَّاس في دين اللَّه

أفواجاً، وكسَّرَ النَّبيُّ ﷺ الأصنامَ التي حول الكعبةِ وهو يتلو: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، وانتشر الدِّينُ في الآفاق.

ومَنْ نَشأَ على طاعة اللَّه في شبابه، ومنع نفسه من المُحرَّمات واتِّباع الهوى؛ أظلَّه اللَّه تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه.

ومَنْ دعتْه نفسُه إلى امرأةٍ مُحرَّمةٍ عليه، فتركها مخافةَ اللَّه؛ حشَرَهُ اللَّهُ تحت ظلِّ عرشه مع خير عباد اللَّه، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ، ثُمَّ يَدَعُهُ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةَ اللَّهِ؛ إِلَّا أَبْدَلَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ».

ومَنْ فقد بَصرَه فَصَبرَ؛ عوَّضه اللَّه في الآخرة بما لا عينٌ رأت؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**» (رواه أحمد).

فمَنْ أيقنَ بحُسْنِ اختيارِ اللَّهِ لعبدِه؛ هَانَتْ عليه المصائب، وسهُلت عليه المصاعب، وادَّخر أَجْرَ ما ابتُلي به، ثقةً بلطف اللَّه وكرمه وحُسنِ اختياره.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

يكتُبُ اللَّه لبعضِ عبادِه درجاتٍ عاليةً، تَقْصُرُ عنها أعمالُهم، فيبتليهِمُ اللَّهُ بأنواعٍ من البلاء؛ لينالوا أجْراً يبلغُ بهم تلك الدَّرجاتِ والمنازلَ العالية، ومَنْ صبرَ على ما أصابَه وسلَّم أمره إلى اللَّه؛ رزقَه اللَّهُ الرِّضا واليقين، وجعل عاقبةَ أمرِه حميدة، وإذا قَوِيتِ الرَّغبةُ إلى ما حرَّم اللَّه، وتَاقَتِ النَّفسُ إلى فِعْلِه، فامتنعَ العبدُ عنه؛ عَظُمَ الأجرُ في تَرْكِه، وضُوعِفَتِ المثوبةُ في مجاهدةِ النَّفس على الخلاصِ منه، وعُوِّضَ خيراً منه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الصَّبْرُ عَلَى المَصَائِبِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ ففي التَّقوى زيادة النِّعم، ودفع النِّقم.

أيُّها المسلمون:

لقد قَدَّرَ اللَّهُ مقاديرَ الخلائقِ وآجالَهم، ونَسخَ آثارَهم وأعمالَهم، وقَسَم بينهم معايشَهم وأموالَهم، وخَلَق الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً، والإيمانُ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِه ركنٌ من أركان الإيمان، وما في الأرضِ من حركةٍ أو سكونٍ إلَّا بمشيئةِ اللَّه وإرادتِه، وما في الكونِ كائنٌ إلَّا بتقديرِ اللَّهِ وإيجادِه، والدُّنيا طافحةٌ بالأنكادِ والأكدار، مطبوعةٌ على المشاقِّ والأهوال، والعوارضُ والمحنُ فيها هي كالحرِّ والبرد لا

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الخامس من شهر محرَّم، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بدَّ للعبد منها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والقواطعُ محنٌ يَتبيَّنُ بها الصَّادقُ من الكاذب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، والنَّفسُ لا تزكو إلَّا بالتَّمحيص، والبلايا تُظهِر الرِّجال، يقول ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ وَالعَافِيَةُ مِنْ غَيْرِ بَلَاءٍ؛ فَمَا عَرَفَ التَّكْلِيفَ وَلَا أَدْرَكَ التَّسْلِيمَ»، ولا بُدَّ مِنْ حصولِ الأَلَمِ لكلِّ نَفْسٍ، سواءٌ آمَنَتْ أَمْ كَفرَتْ، والحياةُ مَبْنِيَّةٌ على المَشاقِّ وركوبِ الأخطار، ولا يَطْمعُ أحدٌ أَنْ يَخْلُصَ من المِحْنَةِ والأَلَم.

والمرءُ يتقلَّبُ في زمانه في تحولٍ من النِّعم، واستقبالٍ للمِحَن، آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سجدت له الملائكة، ثم بعد بُرهة يُخْرَج من الجَنَّة، وما الابتلاء إلَّا عكسُ المقاصد وخلاف الأماني، والكلُّ حتماً يَتجرَّعُ مرارتَه، ولكن ما بين مُقِلٍّ ومُستكثِرٍ، يُبتلى المؤمنُ؛ ليُهذَّبَ لا ليعذَّب، فتنٌ في السَّرَّاء، ومحنٌ في الضَّرَّاء: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، والمكروهُ قد يأتي بالمحبوب، والمرغوبُ قد يأتي بالمكروه، فلا تأمنْ أن تُوافيَك المضرَّةُ من جانب المَسرَّة، ولا تيأسْ أنْ تأتيَك المَسرَّة من جانب المضرَّة؛ قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فوطِّنْ نفسَك على المصائبِ قبل وقوعها؛ لِيَهُنْ عليك وقْعُها، ولا

تَجْزعْ بالمصاب؛ فلِلْبَلايا أَمَدٌ مَحدودٌ عند اللَّه، ولا تَسخطْ بالمقال، فرُبَّ كلمةٍ جَرَى بها اللِّسانُ هَلَكَ بها الإنسان.

والمؤمنُ الحازمُ يَثْبُتُ للعظائم، ولا يَتغيَّرُ فؤادُه، ولا يَنْطِقُ بالشَّكْوى لسانُه، وخَفِّفِ المصابَ على نفسِك بوعد الأجرِ وتسهيلِ الأمر؛ لِتذهبَ المحنُ بلا شكوى، وما زال العقلاءُ يُظهرون التَّجَلُّدَ عند المُصاب؛ لئلا يتحمَّلوا مع النَّوائب شماتةَ الأعداء، والمصيبةُ إن بدَتْ لعدوٍّ سُرَّ واستبشرَ بها، وكِتمانُ المصائبِ والأوجاعِ من شِيَمِ النُّبلاء، فصابرْ هَجيْرَ البلاء فما أسرعَ زوالَه، وغايةُ الأمرِ صبرُ أيامٍ قلائل، وما هلك الهالكون إلَّا من نفادِ الجَلَد، والصَّابرون مجزيُّون بخيرِ الثَّواب: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وأجورُهم مضاعفة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾، بل وبغير حساب، واللَّه معهم، والنَّصرُ والفرجُ معلَّقٌ بِصبرِهم.

وما منعك ربُّك - أيُّها المبتلَى - إلَّا لتُعطَى، ولا ابتلاك إلَّا لتُعافَى، ولا امتحنك إلَّا لتُصفَّى، يَبتلي بالنِّعم ويُنعِم بالبلاء، فلا تُضَيِّعْ زمانَك بهمِّك بما ضُمِنَ لك من الرِّزق، فما دام الأجلُ باقياً كان الرِّزق آتياً؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وإذا أَغلَقَ عليك بحكمته طريقاً من طُرُقِه؛ فتح لك برحمته طريقاً أنفعَ لك منه.

بالابتلاء يُرفعُ شأنُ الأخيار، ويَعظُم أجرُ الأبرار؛ يقول سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟

قَالَ: **«الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»** (رواه أحمد).

وطريقُ الابتلاء مَعْبَرٌ شاقّ، تَعِب فيه آدم، ورُمِي في النَّار الخليلُ، وأُضْجِع للذّبح إسماعيلُ، وأُلْقِي في بطن الحوت يونسُ، وقاسى الضُّرَّ أيوبُ، وبِيع بثمنٍ بخسٍ يوسف، وأُلْقِي في الجُبِّ عُدواناً، وفي السِّجن ظلماً، وعالجَ أنواعَ الأذى نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ.

وأنت على سنَّةِ الابتلاء سائرٌ، والدُّنيا لم تَصْفُ لأحدٍ ولو نال منها ما عساهُ أن ينال، يقول النَّبيُّ ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»** (رواه البخاري)، قال بعضُ أهلِ العلم: «مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ لَمْ تَزَلْ تَأْتِيهِ المَكَارِهُ».

والمصيبةُ حقّاً إنَّما هي المصيبةُ في الدِّين، وما سواها من المصائب فهي عافية، فيها رفْعُ الدَّرجاتِ وحَطُّ السَّيِّئات، وكلُّ نعمةٍ لا تُقَرِّبُ من اللَّه فهي بليَّة، والمُصابُ مَنْ حُرِمِ الثَّوابَ، فلا تأسَ على ما فاتَك من الدُّنيا، فنوازلُها أحداث، وأحاديثُها غموم، وطوارقُها هموم، النَّاس معذبون فيها على قدر هَمِّهم بها، الفرحُ بها هو عينُ المحزون عليه، آلامُها متولِّدة من لذاتها، وأحزانُها من أفراحها، يقول أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا».

فتشاغلْ بما هو أنفعُ لك من حصولِ ما فاتَك، مِن رَفْعِ خَلَلٍ، أو اعتذارٍ عن زَلَلٍ، أو وقوفٍ على الباب إلى ربِّ الأرباب، وتَلَمَّحْ سرعة زوالِ بَليَّتِك تَهُنْ، فلولا كُرَبُ الشِّدَّةِ ما رُجِيَتْ ساعةُ الرَّاحة، وأَجْمِعِ اليأسَ ممَّا في أيدي النَّاسِ تَكُنْ أغناهم، ولا تَقنطْ فَتُخْذل، وتذكَّرْ كثرة نِعَم اللَّه عليك، وادفعِ الحزنَ بالرِّضا بمحتوم القضاء، فطُول الليل وإن تناهى فالصُّبحُ له انفلاجٌ، وآخرُ الهمِّ أوَّل الفرج، والدَّهرُ لا يبقى على حال، بل كلُّ أمرٍ بعده أمرٌ، وما من شدةٍ إلَّا سَتَهُون، ولا تيأسْ وإن تضايَقَتِ الكروبُ فلن يَغْلِبَ عسرٌ يُسرَيْن، وتضرَّع إلى اللَّه يَزْهُ نحوَكَ الفرج، وما تجرَّع كأسَ الصَّبرِ معتصمٌ باللَّهِ إلَّا أتاه المَخْرَج؛ يعقوب عليه السلام لمَّا فَقَدَ ولداً وطال عليه الأمدُ لم ييأس من الفرج، ولَمَّا أُخِذَ ولدُه الآخَر لم ينقطعْ أَمَلُه من الواحد الأحد؛ بل قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾.

وربُّنا وحده له الحمدُ وإليه المشتكى، فإذا تكالبتْ عليك الأيامُ، وأُغلِقت في وجهك المسالكُ والدروب، فلا تَرجُ إلَّا اللَّه في رفع مصيبتك ودفْعِ بليَّتِك، وإذا ليلةٌ اختلط ظلامُها، وأرخى اللَّيلُ سِربَال سِتْرِها، قَلِّبْ وجهَك في ظلماتِ اللَّيل في السَّماء، وارفعْ أكفَّ الضَّراعةِ ونادِ الكريم أن يُفرِّجَ كربَك، ويُسهِّلَ أمرَك، وإذا قَوِيَ الرَّجاءُ، وجُمِعَ القلبُ، في الدُّعاء لم يُردَّ النِّداء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، وتوكَّلْ على القدير، والْجأْ إليه بقلبٍ خاشعٍ ذليل، يُفتحْ لك البابُ، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: «لَوْ يَئِسْتَ مِنَ الخَلْقِ لَا تُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئاً؛ لَأَعْطَاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَا تُرِيدُ».

إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرَكَ هَاجَرَ وابنَه إسماعيلَ بوادٍ لا زرع فيه ولا ماء، فإذا هو نبيٌّ يأمر أهله بالصَّلاة والزَّكاة، وما ضاع يونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مجرَّداً في العَرَاء، ومَن فَوَّضَ أمره إلى مولاه حازَ مُنَاهُ، وأَكْثِرْ من دعوة ذي النُّون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول العلماء: «مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ»، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ جُرِّبَ أَنَّ مَنْ قَالَ: «رَبِّ إِنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ كَشَفَ اللَّهُ ضَرَّهُ».

فألْقِ كَنَفَك بين يديِ اللَّه، وعلِّق رجاءك به، وسلِّم الأمر للرَّحيم، واسأله الفرج، واقطعِ العلائقَ عن الخلائق، وتحرَّ أوقاتَ الإجابة كالسُّجودِ وآخرِ اللَّيل، وإيَّاك أن تَستطيلَ زمنَ البلاء، وتَضجَرَ من كثرة الدُّعاء، فإنَّك مُبْتَلًى بالبلاء، متعبَّدٌ بالصَّبرِ والدُّعاء، ولا تيأسْ من رَوح اللَّه وإن طال البلاء، فالفَرَجُ قريبٌ، وَسَلْ فاتحَ الأبوابِ فهو الكريم: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾، وهو الفعَّالُ لِمَا يريد، بَلَغ زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكِبَرِ عِتيّاً، ثم وُهِبَ بِسَيِّدٍ من فضلاء البشرِ وأنبيائهم، وإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُشِّرَ بولدٍ وامرأتُه تقولُ بعد يأس من حالها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾.

وإن استبطأتَ الرِّزق؛ فأكْثِرْ من التَّوبة والاستغفار فإنَّ الزَّللَ يوجبُ العقوبة، وإذا لم ترَ للإجابة أثراً فتفقدْ أمرَك؛ فربَّما لم تَصدُقْ توبتُك، فصحِّحْها ثمَّ أَقبِلْ على الدُّعاء، فلا أعظمَ جُوداً ولا أسمحَ يداً من الجواد، وتفقدْ ذوي المَسكنةِ فالصَّدقةُ ترفعُ وتدفعُ البلاء.

وإذا كُشِفتْ عنك المِحْنَةُ فأَكْثِرْ مِنَ الحمدِ والثَّناء، واعلم أنَّ الاغترارَ بالسَّلامة من أعظمِ المِحَن، فإنَّ العقوبةَ قد تَتأخَّر، والعاقلُ مَنْ تَلَمَّحَ العواقب.

فأَيْقِنْ دَوْماً بقدر اللَّه وخلَقْهِ وتدبيره، واصبر على بلائِه وحُكمِه، واستسلم لأمرِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فالأحوالُ لا تَثْبُتُ على حال، والسَّعيدُ مَنْ لَازَمَ التَّقوى، إن استغنى زانَتْهُ، وإن افتقر أَغْنَتْه، وإن ابُتِليَ جَمَّلَتْه، فلَازمِ التقوى في كلِّ حال، فإنَّك لا ترى في الضِّيقِ إلَّا السَّعَة، ولا في المرضِ إلَّا العافية، ولا في الفقرِ إلَّا الغنى.

والمقدورُ لا حِيلةَ في دفعه، وما لم يُقدَّرْ لا حيلة في تحصيله، والرِّضا والتَّوكُّل يكتنفانِ المقدور، واللَّهُ هو المُتفرِّدُ بالاختيارِ والتَّدبير، وتدبيرُه لعبده خيرٌ من تدبيرِ العبدِ لنفسه، وهو أرحمُ به منه بنفسه، يقول داود بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى المُؤْمِنِ بِثَلَاثٍ: حُسْنِ التَّوَكُّلِ فِيمَا لَمْ يَنَلْ، وَحُسْنِ الرِّضَا فِيمَا قَدْ نَالَ، وَحُسْنِ الصَّبْرِ فِيمَا قَدْ فَاتَ».

ومَن رَضِيَ باختيار اللَّهِ أصابه القَدرُ وهو محمودٌ مشكورٌ ملطوفٌ به، وإلَّا جرى عليه القَدرُ وهو مذمومٌ غير ملطوفٍ به، ومع هذا فلا خروجَ عمَّا قُدِّر عليك، قيل لبعض الحكماء: «مَا الغِنَى؟ قَالَ: قِلَّةُ تَمَنِّيكَ وَرِضَاكَ بِمَا يَكْفِيكَ»، يقول شُريحٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا أُصِيبَ عَبْدٌ بِمُصِيبَةٍ

إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهَا ثَلَاثُ نِعَمٍ: أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي دِينِهِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَعْظَمُ مِمَّا كَانَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ رَزَقَهُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا إِذْ صَبَرَ».

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا - عبادَ اللَّه - على خيرِ خلقِ اللَّهِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللَّه؛ فقد أمركم اللَّهُ بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مُعَانَاةُ مَرِيضٍ (١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه نِعْمَ العمل، والإعراضُ عنها بئسَ الأمل.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا دارُ عملٍ وابتلاء، ولا يَسْلَمُ العبدُ فيها من سُقْمٍ يُكدِّر صفوَ حياته، ومرضٍ يُوهِنُ قوَّتَه وحالَه، والبلاءُ نعمة، والمرضُ والشِّدَّةُ بشارة، وربُّنا سبحانه يَرحمُ بالبلاء، ويَبتلي بالنَّعْماء، ومرارةُ الدُّنيا للمؤمن هي بعينها حلاوةُ الآخرة، وكم مِنْ نعمةٍ لو أُعطيَها العبدُ كانت داءَه؟! وكم مِنْ محروم مِنْ نعمةٍ، حِرمانُه شفاؤه؟! ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، العاشر من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

تَعۡلَمُونَ﴾، والبلاءُ عنوانُ المحبَّة، وطريقُ الجَنَّة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» (رواه الترمذي).

والعافيةُ من أجلِّ نِعَمِ اللَّه على عباده، وأجزلِ عطاياه عليهم؛ «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ» (رواه البخاري)، وهي مِنْ أوَّلِ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ في الآخرة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ - يَعْنِي: العَبْدَ - مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالُ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟» (رواه الترمذي).

وإنَّ من أشدِّ التَّمحيصِ سَلْبَ العافيةِ أو اعتلالَها، وصفوةُ البشرِ عليهم الصَّلاة والسَّلام ابْتُلوا بالأمراض؛ دخلَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه على النَّبيِّ ﷺ وهو يُوْعَك، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً، قَالَ: أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ الرَّجُلَانِ مِنْكُمْ» (متفق عليه)، وأحاط المرض بأيوب عليه السلام سنين عدداً.

في المرض رَفْعٌ للدَّرجاتِ وحَطٌّ للأوزار؛ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى - مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ -؛ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (متفق عليه)، والمريضُ يُكتبُ له ما كان يَعملُ من النَّوافل في حال صِحَّته، وفي المرض يَكْثُرُ الدُّعاء وتشتدُّ الضَّراعة، في مرض المؤمن زيادةٌ لإيمانه وتوكلِه على ربه وحسن ظنِّه بمولاه، وهو علاجٌ لأمراضِ النَّفسِ من الكِبْرِ والعُجْبِ والغَفْلَةِ والغرور، والرَّشيدُ مَنْ يَعتبرُ

بنوائبِ عصره، ويَسْتَفِيدُ الحِنْكَةَ ببلاء دهره، وكلُّ مصيبة في غير الدِّين عافية.

أيُّها المسلمون:

لا شافيَ إلَّا اللَّه ولا رافعَ للبلوى سواه، والرَّاقي والرُّقية والطَّبيب والدَّواء أسباب ييسر اللَّه بها الشِّفاء، فافعلِ الأسباب، وتَداوَ بالمباح، ولا تُقبِلْ على الطَّبيب بالكلِّيَّة، فالمداوي بشر لا يَملكُ نفعاً ولا ضراً، وتوكَّلْ على ربِّك وفوِّضْ أمركَ إليه فهو النَّافع الضَّار: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، والْتَجِئْ إليه فليس كلُّ دواءٍ ينفع؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**» (رواه الترمذي)، وأنفع الأدوية: حُسْنُ التَّوكُّلِ على اللَّه، والالتجاءِ إليه، وحُسْنُ الظَّنِّ به.

والرُّقْيةُ بالقرآن وما جاء في السُّنَّة أنفعُ الأسبابِ لِزوالِ العِلَل، وكذا الدُّعاءُ بقلبٍ خاشعٍ وذُلٍّ صادقٍ ويقينٍ خالص، والإكثارُ من الصَّدقة مِنْ خيرِ الأدوية، وما ابتلى اللَّهُ عبادَه بشيءٍ إلَّا أعطاهم ما يستعينون به على ذلك البلاء.

وفي ديننا أدويةُ طبٍّ يقينية قطعيَّة، أدويةُ طبٍّ إلهيَّة من الوحي ومشكاة النُّبوَّة: تَمْرُ عَجْوَةِ المدينةِ وقايةٌ من السُّمِّ والسِّحْر؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا**

سِحْرٌ» (متفق عليه)، والماءُ دواءٌ للحُمَّى؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ؛ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ» (متفق عليه)، والعَسَلُ لَمْ يُخْلَقْ لنا شيءٌ في معناه أفضلَ منه، ولا مثلَه ولا قريباً منه، والحِجَامةُ خيرُ الأدوية؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ: الحِجَامَةُ» (متفق عليه)، وفي عجوةِ عَالِيَةِ المدينةِ شفاء؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ فِي عَجْوَةِ العَالِيَةِ شِفَاءً، أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ أَوَّلَ البُكْرَةِ» (رواه مسلم)، والحبَّةُ السَّوْداءُ شفاءٌ من الأسقام كلِّها؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ - أيِ: المَوْتَ -» (متفق عليه).

ومن الأمراض ما شفاؤُها بالقرآن والأدعية النَّبويَّة، كإبطالِ السِّحرِ وإخراجِ الجانِّ وإبطالِ أَثَرِ العَيْن، وعند المسلمين ماءٌ مباركٌ هو سيِّد المياه وأشرفُها وأجلُّها قدراً، ينبع من أرضٍ مباركةٍ في بيت اللَّه الحرام؛ ماءُ زمزم «طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ»، وتلك الأدويةُ النَّبويَّةُ الشَّافيةُ إنَّما يَنتفعُ بها مَنْ تلقَّاها بالقَبول واعتقدَ أنَّ الشِّفاء بها سبب، وأنَّ الشافي هو الله وحده.

وبكثرةِ الاستغفارِ تَزولُ الأمراض، ويَقِلُّ أثرها؛ قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾.

أيُّها المسلمون:

إخلاصُ العملِ للَّهِ هو مدارُ القَبول، وبالإخلاصِ يُبارَكُ في القليل

من العمل ويَحْسُن الفعل، والطَّبيبُ المسلمُ يَتطلَّعُ إلى الجديدِ من علومِ المعرفةِ لخدمةِ المسلمين معَ عدمِ الإخلالِ بما جاءتْ به الشَّريعة؛ فيؤمنُ بوقوع السِّحرِ وتأثيراتِه على البدن، ولا يُنكرُ الجانَّ وتَلبُّسَه بالإنس، وما قد يُحْدِثُه من تَصرُّفات على العقل، ويُصَدِّقُ بالعين، وأنَّها حقٌّ، ولو كان شيء سابِقَ القَدرِ لَسَبَقَتْه العين، ويؤمِنُ بالغيبيَّات ويُصَدِّقُ بالمحسوسات.

والطَّبيبُ مُؤْتَمنٌ على الأسرار والعورات، حقُّه أن يَسترَ على المرضى ولا يُبدي أمراضَهم، ولا يَبُثُّ شكواهم، يُعاملُهم بالرَّأفة والرَّحمة، المرضى أفشوا لك أسرارَهم، وبثُّوا إليك بعد اللَّه شكواهم، أسلموا لك أجسادهم وعقولَهم بل وأرواحَهم، فراقِبِ اللَّه في قولك وفعلك، فلفْظُكَ عند المرضى محكم، ورأيُك في قطع أجسادهم مُسلَّم، وقد يكون المريضُ ابتُلي بداء المرضِ لا لنقص فيه؛ بل لحكمةٍ أرادها اللَّه له، رِفعةً وتطهيراً، فلا تزدَرِه لمرضه، ولا تحتقِرْه لبلواه.

والطَّبيبُ إنْ تَكبَّرَ بِعلمِه وَضَعَه اللَّهُ به، ومن كمالِ العقل: أن يقولَ عمَّا جَهِلَه لا أعلَمُه، فما يَنْغَلِقُ على أحدٍ قد يُفتَحُ لآخَر، وهناك أدواءٌ طُوِيَ عِلمُها عن البشر، فلا تخجل من إظهار عدمِ العلمِ والمعرفةِ بِعلَّةِ المريض.

والحِلْمُ والصَّبرُ من أهمِّ صفاتِ المُحتسبين، فلا تَتَضجَّرْ مِنْ شكوى المريضِ وبَثِّ أحزانِه أو سوءِ خلقه، فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً،

والتَّلطُّفُ بالمريضِ والرِّفقُ به حُسْنٌ في الرَّأي وكَمَالٌ في الدِّراية، واللَّهُ تعالى يُحِبُّ الفألَ، فبَشِّرِ المريضَ بِقُرْبِ انفلاجِ الكَرْب، فالنَّفسُ إنِ استشعرتْ أنَّ لِدائها دواء، تَعلَّقَ قلبُها بروح الرَّجاء.

وآيةُ اللَّهِ في إبداعِ خَلْقِ الإنسان عند الأطبَّاء قائمة: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، في عظمةِ خلقِ اللَّهِ في الإنسان ما بَهَر العقلاء: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ذلك الخَلْقُ يدعو غيرَ المسلمِ إلى الإسلام، ويَزيدُ في إيمانِ المسلم، فَلْيَتَّخذِ الطَّبيبُ من عَمَلِه عبادةً بالتفكُّرِ في آلاءِ اللَّهِ؛ لِلْقُرْبِ مِنَ اللَّه، ولْيكُنْ داعيةً لهذا الدِّين بِمَا بَدَا له من عَظيمِ الصُّنعِ والإتقان.

والمعصيةُ تُغْلِقُ أبوابَ المعرفةِ، وقد حرَّم الإسلامُ الخلوةَ بالمرأة لِكَشْفِ الدَّاء أو غيره، والواجبُ على المسلم أن يعملَ بالشَّرعِ في كلِّ مكان، واختلاطُ العاملين والعاملات في دورِ طلبِ الشِّفاءِ يُضْعِفُ الكسبَ العلمي، ويَنزعُ بركةَ التَّداوي، وهو من أسباب بُعْد المرء عن اللَّه، وحلولِ الأسقام؛ يقول ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (متفق عليه).

وفي الطَّاعة فتحٌ للمعارف، وسموٌّ بالأرواح، وإتقانٌ للأعمال، والمرضى والمُدَاوُون واجبُهم أن يكونوا من أقربِ النَّاس إلى اللَّه، لحلول الكَرْب بهم، والمِحْنَة إذا اشتدَّت لا فارج لها إلَّا اللَّه، والبُعدُ عن اللَّه في الرَّخاء وعصيانه في الشِّدَّة من موجبات الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

من الثَّباتِ والكمالِ: الصَّبرُ والرِّضا بالمقدور، فارْضَ - أيُّها المريضُ - بما قسم اللَّه لك تكن أعبدَ النَّاس، واصْبِرْ صبرَ الكريمِ طوعاً لا صبرَ المتجزِّعِ دفعاً، فعاقبةُ الصَّبرِ إلى خير، وعلى قدرِ الإيمانِ يكونُ الصَّبر، والتَّحمُّل والصَّبرُ خيرٌ لأهلِه: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، ومَنْ صبرَ ورضيَ فاللَّهُ مدَّخِرٌ له ما هو أعظمُ مِنْ فواتِ تلك المصيبة، وتذكَّرْ أنه ما ابتلاك إلَّا ليُطهِّرَك ويرفعَ درجتَك، وأنَّ ما وهَبَك اللَّه من النِّعم أضعافُ ما أخذ منك، أُصيبَ عروةُ بنُ الزبيرِ بفَقْدِ ولده، فقال: «لَئِنِ ابْتَلَيْتَ فَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ»، والجَزعُ لا يَردُّ المرضَ؛ بل يُضاعفُه، وإذا أُصْبِتَ بداءٍ، فاحْمَدِ اللَّه أنَّك لَمْ تُصَب بأكثر من داء، وأحْسنِ المناجاة في الخلوة، ولا تنسَ ذكرَ اللَّهِ شكراً على العطاء وصبراً على البلاء، فما أقبحَ أن يكونَ المرءُ أوَّاهاً في البلاء، ثمَّ يكونَ عاصياً في الرَّخاء!

وحين تَلوحُ لك بَوادرُ الشِّفاء، وتَسعدُ بِبَدْءِ زوالِ البلاء، فاقدِرْ لِنعمةِ العافيةِ قدْرَها، واعرفْ فضلَ وكرمَ مُنعِمِها، وأَدِمِ التَّعلُّقَ بحبل اللَّه، وتعرَّفْ عليه في الرَّخاء؛ يعرفْك في الشِّدَّة، وإيَّاك والاغترارَ بالعافية! فالأيَّام دُوَل، وأقبلْ على اللَّه بالتَّوبة الصَّادقة، وخُذِ العبرة من الأيَّام والأحداث، واحذرْ مَزالِق الشَّيطانِ بإساءةِ الظَّنِّ باللَّهِ، أو التَّسخُّطِ والتَّجزُّعِ على أقدارِ اللَّه، فهو سبحانه الرَّحيمُ بِخلقِه، الرَّؤوفُ بعباده، الدَّافعُ للبلوى، السَّامعُ لكلِّ شكوى.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

خيرُ ما يداوي به المريضُ أدواءَه: تَفقُّدُ قلبِه وصلاحِه، وتقويةُ روحِه بالاعتمادِ على اللَّه والتَّوكُّلِ عليه، والالتجاءِ إليه، والانطراحِ والانكسارِ بين يديه، والتَّذلُّلِ له، والصَّدقةِ والدُّعاءِ والتَّوبةِ والاستغفارِ، والإحسانِ إلى الخلقِ، وإغاثةِ الملهوف، والتفريجِ عن المكروب، يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الأَدْوِيَةُ قَدْ جَرَّبَتْهَا الأُمَمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا فَوَجُدوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عَلْمُ الأَطِبَّاءِ، وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْ هَذَا أُمُوراً كَثِيرَةً وَرَأَيْنَاهَا تَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الأَدْوِيَةُ الحِسِّيَّةُ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الثَّباتُ عِنْدَ المُصِيبَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

قدَّر اللَّهُ المقاديرَ والآجال، ونسخَ الآثارَ والأعمال، وخلقَ السمواتِ والأرضَ والموتَ والحياةَ للابتلاء؛ قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾، فجُبِلَتِ الدُّنيا على الأخطار والأكدار، هذا مُبْتَلًى بالجوع، وآخَرُ بالخوف، وذلك بنقصِ الأنفس، وأولئك بالأموال.

والمِحَنُ لا تَعرِفُ زماناً ولا جنساً، ولا مكاناً ولا سنّاً، قال ﷻ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس والعشرين من شهر محرَّم، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والإيمانُ بالأقدار خيرِها وشرِّها: ركنٌ من أركان الإيمان، والمؤمنُ ثابتٌ عند الشَّدائدِ والعظائم، لا تُزَعْزِعُهُ البلايا والمِحَن، يَسِيرُ مع القضاء كيفما كان، مؤمناً به، مفوِّضاً أمره إلى اللَّه، متوكِّلاً عليه.

والابتلاءُ مَسْلَكُ العظماء؛ سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: **الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ**»، وابتلاءُ المؤمنِ إنَّما هو لتمام أجرِه وعلوِّ منزلته؛ قال ﷺ: «**وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» (رواه أحمد)، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «وَإِنَّمَا يُعْرَفُ قَدْرُ البَلَاءِ، إِذَا كُشِفَ الغِطَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

والمسلمُ عزيزٌ عظيمٌ لا يَنكسِرُ أمام البلايا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ** - وَهِيَ: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ -، **تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً** - أَيْ: تُمَيِّلُهَا -، **وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً** - أَيْ: يُبْتَلَى ثُمَّ يَعُودُ إِلَى قُوَّتِهِ -، **وَمَثَلُ المُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ** - أَيْ: كَشَجَرَةِ الأَرْزِ -، **لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا** - أَيْ: سُقُوطُهَا - **مَرَّةً وَاحِدَةً** - أَيْ: أَنَّهَا قَوِيَّةٌ فِي رَأْيِ العَيْنِ لَكِنَّهَا فِي حَقِيقَتِهَا ضَعِيفَةٌ تَسْقُطُ مَرَّةً وَاحِدَةً -» (متفق عليه).

وكان نَهْجُ الأنبياء عليهم السلام: القُوَّةَ عند البلاء، والثَّباتَ على الدِّين عند المحن، وكان من دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**» (رواه النسائي).

والخليلُ إبراهيمُ عليه السلام كسَّر الأصنام، وقال أعداؤه: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾؛ ليروا عذابنا له، فلم يخش منهم وقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وهدَّدُوه بالحرقِ بالنَّار، فلم يزده إلَّا أملاً باللَّهِ، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ فبشَّره اللَّه بغلام حليم، ولمَّا قال له أبوه: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، لم يضعفْ عن الدَّعوة وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

ويوسفُ عليه السلام - وهو في السِّجن - لم يُقْعِدْه حزنٌ عن الدَّعوة إلى التَّوحيد: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

ولوطٌ عليه السلام قال له قومه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾، فقال لهم بعزَّةٍ: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أي: المُبْغِضِينَ.

وشعيبٌ عليه السلام توعَّدوه بالإخراج إن لم يتَّبعْ دينَهم، فقال لهم: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾.

ويونسُ عليه السلام لم يُثْنِه الهمُّ عن التَّعلُّقِ بربِّه وهو في بطن الحوت؛ بل كان ينادي ربَّه بالتَّوحيد: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وفرعونُ يتَّهِمُ موسى بالجنون، ويقول: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فلم يلتفت موسى إلى قوله؛ بل دعاه إلى التَّوحيد، وقال: ربِّي هو: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ولمَّا جمع فرعونُ سَحَرتَه لإرجاف موسى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ أي: يومُ العيد؛ ليرانا جميعُ الناس، وكان ذلك في موقفٍ مَهول، قال

موسى - وهو واثقٌ بنصرِ اللَّهِ مُتيقِّنٌ من هزيمتهم -: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

ولمَّا خَذَله بنو إسرائيل واستنكفوا عن القتال وقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ لم يَتوانَ عن إنفاذِ أَمْرِ ربِّه، بل قاتلَ، وقاتَلَ معه أتباعُه، ونصرهُمُ اللَّه، ولمَّا خرج مِنْ مِصرَ تَبِعه فرعون، فإذا البحرُ أمامَه، وفرعونُ خلفَه، فـ﴿قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فقال بإيمانٍ راسخٍ وقوّةٍ باللَّهِ: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ حُبِس في أَحَدِ شِعابِ مكَّة ثلاثَ سنوات، ولم يتوقَّفْ عن الدَّعوة، وسخروا منه وقالوا: ساحرٌ وكذَّابٌ ومجنونٌ، فأعْرَضَ عنهم؛ وأخرجوه من بلده مكَّة: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾، فأكملَ إبلاغَ رسالةِ ربِّه في بلدٍ آخر.

وفي بدرٍ يرى كثرةَ المشركين، ويقول: إِنِّي أُرِيْتُ مصارعَ القوم، وأُصيب المسلمون في أُحدٍ، وسار إلى خيبرَ للقتال، وتجمَّعت عليه الأحزابُ في غزوة الخندق، ثم سار إلى مكَّة لفتحها، وقال بعد غزوة الخندق: «الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا» (رواه البخاري)، وأُصيب المسلمون في حنين، ثمَّ غزا الرُّومَ في تبوك.

وكُسِرَت رَبَاعِيَته وشُجَّ رأسُهُ، وسال الدَّمُ على وجهه، وسحَرَه اليهود، ووُضِع له السُّمّ، وربَطَ الحجارةَ على بطنه من شدَّة الجوع، ورُمِي في بيته بالإفك، ومات ستَّةٌ من أولاده، ولم يبق له من أولاده سوى فاطمةَ رضي الله عنها؛ فما صدَّه ذلك عن نفع الناس بالعلم والنُّور.

وأثنى اللَّهُ على صبر الرُّسُل وعزيمتِهِم بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

والصَّحابةُ ﷺ أُخرِجُوا من ديارهم، فما وَهَنَهُمُ الخروجُ عن نُصرة الدِّين؛ فَجَعَلَ اللَّهُ كنوزَ كسرى وقَيْصرَ تحتَ أيديهم، وفي غزوة الخندق: يَمسُّهم البَرْدُ والجوعُ والقلوبُ لدى الحناجر من الخوف؛ فصبروا على ذلك لإبلاغ دين اللَّه.

وأصاب الصَّحابةَ مصابٌ جَلَلٌ؛ وهو وفاة النَّبيِّ ﷺ؛ فلم يَقِفْ حزنُهم على موته عائقاً دون استمرارهم في الدَّعوة إلى اللَّه والجهادِ في سبيله، فساروا على نهج النَّبيِّ ﷺ في حياته، فأنفذ أبو بكرٍ ﵁ جيشَ أسامة، وقاتَل المُرتدِّين، وقاتَل مانِعِي الزَّكاة، فنصر اللَّهُ الإسلام، وأظهرَهُ على الدِّين كلِّه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فدينُ اللَّهِ متين، واللَّه ناصرُه وناصرٌ أتباعَه؛ قال سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾، ولئن ضَعُفَ المسلمون في زمنٍ، فاللَّه ناصرُهم إنْ عادوا إليه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، ولَئِن انكسر المسلمون في موقفٍ، فهم المنتصرون وإن انهزموا، ومِحنةُ المؤمنِ خفيفةٌ منقطعة، ومحنةُ الكافر شديدةٌ متَّصلة؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وَفَرَحُ الكافرين بنصرٍ على الضُّعفاء هو ذلٌّ لهم؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، قال ابن القيِّم ﵀: «ما

يُصِيبُ الكَافِرَ مِنَ العِزِّ وَالنَّصْرِ، دُونَ مَا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَثِيرٍ؛ بَلْ بَاطِنُ ذَلِكَ ذُلٌّ وَكَسْرٌ وَهَوَانٌ، وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ بِخِلَافِهِ».

وإمهالُ اللَّهِ لظلمِ الكافرين؛ لِيَزْدَادُوا من الإثمِ والعذاب.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

في الابتلاء مع الأعداء؛ تمحيصٌ للإيمان، ورِفْعَةٌ للأجور، وتكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، واتِّخاذُ شهداء، ونصرةٌ للدِّين، وعودةٌ للمسلمين إلى اللَّه، وظهورُ مكرِ أعداء الدِّين.

وما يُصابُ به المسلمون من ابتلاء؛ إنَّما هو إيقاظٌ لهم، ودافعٌ إلى محاسبة أنفسهم، والرُّجوعِ إلى اللَّه، والقيامِ بأوامره، ونبذِ أسباب الضَّعف والخلاف، وطلبِ النَّصر من اللَّه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَعْمَالٌ تُزِيلُ الهُمُومَ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

ربُّنا سبحانه له الجمالُ والجلالُ في الأسماءِ والصِّفاتِ والأفعالِ، خلَقَ الكونَ وأَبْدَعَه، وجعل فيه سُنَناً لا تتبدَّلُ ولا تتحوَّل؛ قال سبحانه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾، ومن سُنَنِه: أنه يَبتلي عبادَه بالسَّراء؛ ليشكروه، وبالضَّرَّاء؛ ليرجعوا إليه؛ قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

وقد ابتُلِيَتْ أممٌ بذلك؛ قال ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع والعشرين من شهر شعبان، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هِيَ الأَمْرَاضُ وَالأَسْقَامُ وَالآلَامُ وَالمَصَائِبُ وَالنَّوَائِبُ»؛ فأرسل اللَّهُ على بني إسرائيل: ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾.

واللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يُظهِرُ لعباده كبرياءَه وعظمتَه في سلطانه، وقوتَه وقدرتَه على مخلوقاته، وعزَّته وجبروته في كونه، وقهرَه وهَيْمنتَه على عبيده؛ ليعظِّموه ويوحِّدوه ويَذِلُّوا له، فَقَلَع جبلاً عظيماً ووضَعَه فوقَ رؤوس بني إسرائيل؛ ليؤمنوا، قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَّا نَظَرُوا إِلَى الجَبَلِ خَرَّ كُلُّ رَجُلٍ سَاجِداً عَلَى حَاجِبِهِ الأَيْسَرِ، وَنَظَرَ بِعَيْنِهِ اليُمْنَى إِلَى الجَبَلِ فَرَقاً مِنْ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهِ»، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وبعث اللَّهُ لنبيِّنا مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكَ الجبالِ وقال له: «يَا مُحَمَّدُ! إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ - وَهُمَا جَبَلَانِ عَظِيمَانِ فِي مَكَّةَ -» (متفق عليه)، وأخبر سبحانه عن سرعة نفاذ أمره بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

والإنسانُ مخلوقٌ ضعيفٌ عاجزٌ لا يملك لنفسه ضَرّاً ولا نفعاً، وقد يُسَلِّطُ اللَّهُ عليه مخلوقاً صغيراً لا يُرَى، فينالُه منه سقمٌ وهلعٌ وحَيرةٌ وربما أهلَكَه؛ ولإظهار عجز بني آدم تحدَّاهمُ اللَّهُ جميعاً أن يَخلقوا حبةً واحدةً؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً» (متفق عليه).

ولو شاء اللَّهُ لَأنزلَ على عباده أمراً يَضطرُهم إلى الإيمان قهراً؛

قال سبحانه: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾، قال ابن جُرَيْجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَرَاهُمْ أَمْراً مِنْ أَمْرِهِ لَا يَعْمَلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَعْدَهُ بِمَعْصِيَةٍ».

واللَّهُ سبحانه أمَر عبادَه بالتفكُّر بما يحدُث في الكون، وأن يتدبَّروا حوادِثَه؛ قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، والمؤمنُ يَعتبرُ بالآيات ويَتَّعِظُ بها، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾، ويُوقِن بأنَّها تمحيصٌ له من اللَّه لرفع درجتِه، فيَتحلَّى بعبادةٍ أجرُها بغير حساب، قال جلَّ شأنُه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

ومَنْ آمَنَ بالقضاءِ والقَدَرِ عوَّضَهُ اللَّهُ ما فات من الدُّنيا؛ قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ؛ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدًى فِي قَلْبِهِ، وَيَقِيناً صَادِقاً، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أُخِذَ مِنْهُ أَوْ خَيْراً مِنْهُ».

والمؤمنُ في تقلُّبات الدَّهر مأجورٌ، إمَّا شاكرٌ في السَّرَّاء، وإمَّا صابرٌ على ما فات من حظوظ الدُّنيا بمصيبةٍ أو مِحْنَة؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛

إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» (رواه مسلم).

وحُسْنُ الظَّنِّ باللَّهِ في حِكمته وتدبيره ولُطفه بعباده ورأفته بهم ورحمته بحالهم أعظمُ الأسبابِ في رفع البلاء؛ قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (متفق عليه).

والتَّوكُّلُ على اللَّه وتفويضُ الأمور إليه في إزالة الغُمَّة كفيلٌ بزوالها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «أَيْ: مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ»، وفِعلُ الأسبابِ مع التَّوكُّلِ على اللَّه ممَّا جاء به الشَّرعُ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾.

ومن مقاصدِ الإسلامِ: حفظُ النَّفسِ ومُجانبتُها عن كلِّ عدوى؛ قال ﷺ: «فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ»، والقرارُ في البيوتِ زمنَ الآفاتِ والمخاطرِ فيه حفظٌ وسلامةٌ، وقد اهتدت إلى ذلك نملةٌ فقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وحريٌّ بالمسلم في تلك الحال وغيرها أن يَعْمُرَ وقتَه وفراغه بما ينفع، وأن يُكثِرَ من توجيه أهله وأبنائه لكلِّ خيرٍ، ومن قَصُرَ عن فعلِ أعمالٍ صالحةٍ لعذرٍ فأجرُه عندَ اللَّهِ وافٍ، وهو ذو الفضل العظيم؛ قال ﷺ: «إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَاماً، مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا

كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَهُمْ بِالمَدِينَةِ؟ قَالَ: حَبَسَهُمُ العُذْرُ» (رواه البخاري).

والتَّضرُّعُ إلى اللَّه واللُّجوءُ إليه وإظهارُ الضَّعْفِ له والاستكانةِ مُؤْذِنٌ بزوالِ البلاءِ؛ قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾.

والدُّعاءُ مفتاحُ قلبِ الأحوالِ إلى أحسنِ حالٍ، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

والصَّدقةُ تُطفِئُ غضبَ الرَّحمنِ، وبها تَتضاعَفُ الأجورُ، وتُكفَّر الخطايا والأوزارُ، وتُفرَّج الكروبُ، والمتصدِّق آمِنٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والتَّوبةُ إلى اللَّه والإنابةُ إليه وكثرةُ الاستغفار تدفَعُ المحنَ وترفَعُها بعد نزولها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

والإكثارُ من الطَّاعات وتقوى اللَّه سبيلُ السَّعادةِ؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «يُنَجِّيهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وإذا انقطعتِ السُّبلُ، واشتدَّتِ المِحْنةُ، وتعلَّقَ العبادُ باللَّهِ أَذِنَ اللَّهُ بانفراجها، قال النَّبيُّ ﷺ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ - أَيْ: مَعَ قُرْبِ تَغيُّرِ حَالِهِمْ -، قَالَ ابْنُ رَزِينٍ رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ! أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْراً» (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ كبيرٌ محيطٌ بكلِّ شيء، لا مفرَّ منه إلَّا إليه، يرضى عن عباده إنْ أطاعوه، ووعَد بفتح الخيرات لهم من السَّماء والأرض إنْ لجؤوا إليه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وابنُ آدمَ مخلوقٌ صغيرٌ أمامَ السَّموات والأرض، ينسى ضَعْفَه ويغترُّ بقدرته، فيُرسِلُ اللَّهُ له من الآيات والنُّذُرِ ما يُذَكِّرُه بضَعْفِه أمامَ قدرةِ اللَّهِ، فيرجع العاقل إلى ربه ويتقوَّى به، ويُظهِر فاقتَه وفقرَه وعجزَه إليه، ولن ينفعَكَ سوى اللَّهِ أحد؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾؛ فتَعلَّقْ به بفعل الطَّاعات، وعَظِّمْ دينه، وأكثِرْ من تلاوةِ كتابه وقراءةِ سُنَّةِ رسولِه ﷺ، وتَمسَّكْ بشرعه وافرح به.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

بارَك اللَّهُ لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

يُنزِلُ اللَّهُ مع الضَّرَّاءِ سرَّاءَ، وإذا انكشفت الغُمَّةُ وجَبَ على العباد حَمْدُ اللَّه وشُكْرُه والثَّناءُ عليه، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، وأَنْ يَعُودُوا لِأَعْمَالٍ صالحةٍ كانوا يعملونها، بل يَزِيدُوا عليها؛ قال ﷺ: «بَادِرُوْا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ» (رواه مسلم).

ثُمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَعْمَالٌ تُفَرِّجُ الكُرُوبَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى لا يَقبلُ ربُّنا غَيْرَها، وَلا يَرحَمُ إِلا أَهْلَهَا.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ آدمَ وأَسْكَنَه جنَّتَه وكان فيها من المُكْرَمِين، لا يَجوعُ فيها ولا يَعْرَى، ولا يَظمأُ فيها ولا يَضْحَى، ونهاه اللَّه أنْ يَقرَبَ الشَّجرة، ولما رأى الشَّيطانُ أنَّ آدمَ مُنعَّمٌ في الجنَّةِ؛ وَسْوَسَ إليه وأقسمَ له باللَّهِ أنَّه إنْ أَكَلَ مِنَ الشَّجرةِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الجَنَّة، ولِحِكْمَةٍ عَصَى آدَمُ ربَّه، وَأَكَلَ مِنَ الشَّجرة، وبمعصيتِه هذِهِ أُهبِطَ هو وزوجتُه إلى الأرض بعد لذَّةِ الجنَّةِ وراحتِها، فكابدَ هُوَ وذريَّتُه المشاقَّ والهموم، قال جلَّ شأنُه:

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع من شهر رجب، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، قال الحسنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُكَابِدُ مَضَايِقَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الآخِرَةِ».

لم تَصْفُ الدُّنيا لأحدٍ فهي دارُ بلاء، ولذَّاتُها مشُوبةٌ بالأكدار، وأمرُها لا يدوم على حال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، يسعدُ تارةً ويحزنُ أخرى، ويعتزُّ حيناً ويُذَلُّ حيناً، وَأشَدُّ الناسِ بلاءً وكرباً في الحياةِ هُم الأنبياء؛ قال ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**» (رواه النسائي).

فقدْ لَبِث نُوحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قومِه أَلْفَ سَنة إلَّا خمسين عاماً، لاقى منهم فيها شدةً ومَكْراً واسْتِكْباراً، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانُوا يَقْصِدُونَ أَذَاهُ، وَيَتَوَاصَوْنَ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ عَلَى مُخَالَفَتِهِ»، فدعا على قومِه فعمَّهم الطُّوفانُ، ونجّاه اللَّه منهُ ومنْ قومِه؛ قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُليَ بذبحِ ابنِه إسماعيلَ فَفَداهُ اللَّهُ بذبحٍ عظيم، وأضرم قومُه ناراً لإحراقِه فجعلها اللَّه عليه برداً وسلاماً.

ويعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدَ أَحبَّ أبنائِهِ إليه، ثُم فَقَدَ آخر، وبكى على فَقْدِهما حتى فَقَدَ بصرَه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ فبثَّ شكواه وحُزنَه إلى اللَّه فجمَع له ولَدَيْه، ورفعَه يوسفُ على عَرشِه.

ويوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُلقيَ في الجُبِّ وبيعَ بثمنٍ بخسٍ، ولبِثَ في السِّجن

بضعَ سنين، وفارقَ وَالِدَيْه؛ فاصطفاه اللَّه وجَعَلَه من المرسلين، وجَمَعَ له أبويه، وجعله على خزائن الأرض، وكان عند قومِه مَكِيناً أميناً.

وَفرعونُ آذى مُوسى وهارونَ ومَنْ معهما من المؤمنين، فخرجوا فارِّينَ منه فلحقهم فرعونُ بجنودِه، فكان البحرُ أمامَهم وفرعونُ بجندِه خَلْفَهم، وقال أصحابُ موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؛ فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾؛ فجعل اللَّه لهم البحرَ طريقاً يَبَساً، فلمَّا جاوزُوه أطبقَ اللَّهُ البحرَ على فرعونَ وجنودِهِ، فكانوا من الهالكين؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وأيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَالَ عليه كرْبُ المرض، فَمَا أَيِسَ من اللَّه، وكان يدعُوه: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾؛ فرفعَ اللَّه ضُرَّهُ، وَوَهَبَ له أهْلَه ومثلَهم معهم.

وزكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَنَ عَظْمُه واشتعلَ رَأْسُه شَيْباً، وَبلغ مِن الكِبَرِ عِتيّاً، وَحُرِمَ الولدَ؛ فدعَا ربَّه نِداءً خَفِيّاً أنْ يَهَبه وَلَداً؛ فَرزقَه اللَّهُ يحيى، وأقَرَّ عَينَه بصلاحِه، وجعله اللَّه نبيّاً رسُولاً، ومريمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ كُرِبَتْ بما رُمِيَتْ به من ولادتِها بعيسى مِنْ غير زوجٍ؛ فأنطق اللَّه مولودَها وهُو في المهد: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشأَ يتيماً، وماتَ جدُّه، ثُم مات حامياه في الدَّعوةِ - أبو طالبٍ وخديجة - في عامٍ واحدٍ، وأُسْريَ بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيتِ المقدس، وعُرِج به إلى السَّماءِ السَّابعة، ثُم عاد من ليلتِه إلى مكة

وأَخبَر قريشاً الخبرَ، وخَشِيَ أن لا يُصدَّق فلا يؤمنوا؛ فَفَرَّجَ اللَّه عنه كَرْبَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ» (رواه مسلم).

والدِّينُ وَصلَ إلينا بعد عناءٍ ومشَقَّة؛ فقد لاقى النَّبيُّ ﷺ من شدَّة الوحيِ ما لاقى، فكان إذا نزلَ عليه الوحي يُنكِّسُ رَأسَه، ويَتفصَّدُ عَرَقُهُ من جَبينِهِ في اللَّيلةِ الباردة، قال عبادةُ بن الصَّامت رضي الله عنه: «كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ: كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ - أَيْ: تَغيَّرَ -» (رواه مسلم)، واشتدَّتْ كُرُباتُ النَّبيِّ ﷺ في حياتِه من أذى قومِه له، وسُمِّه وسِحرِه، والكيد به، وموتِ أبنائه.

وكُربةٌ لاقاها جميعُ الرُّسلِ وهي التَّكذيبُ والسُّخرية؛ قال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، وقال جلَّ شأنُه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، ولا تزالُ كروبُ الدُّنيا بالإنسان حتى تُنزَعَ روحه؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ - أَيْ: المَوْتُ -؛ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: وَا كَرْبَ أَبَاهُ! فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ - أَيْ: مِنْ كُرُوبِ الدُّنْيَا -» (رواه البخاري).

ولَئِن انقضَتْ مِحَنُ الدُّنيا بالموت فسَيُلَاقِي الخلقُ كُرَباً شديدةً قادمةً عليهم، قال عليه الصلاة والسلام: «يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي

صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالإنسان في بلاءٍ وشدَّةٍ حتى يضعَ قدَمَه في الجنَّة، وبرحمةِ اللَّه وفَضْلِهِ شرع سبحانه أسباباً لزوالِ الخطوب؛ فتوحيدُ اللَّهِ هُو أسرعُ مُخَلِّصٍ للكروب، وقد فزع إلى ذلك يونُسُ ﵇ فنُجِّيَ من الغَمِّ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» (رواه الترمذي)، قال ابن القيِّم ﵀: «لَا يُلْقِي فِي الكُرَبِ العِظَامِ سِوَى الشِّرْكِ، وَلَا يُنَجِّي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ»، وقَدْ عَلِمَ المشركونَ أنَّ التَّوحيدَ هُو المُنجِّي مِنَ المهالك؛ ففِرعونُ نطق بكلمةِ التَّوحيدِ عند غَرَقِه؛ لِيَنْجُوَ، ولكن بَعْدَ فوات الحين.

والتَّوكُّلُ على اللَّهِ وتفويضُ الأمرِ إليه يكشفُ ما نزل؛ قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ﴾، ولَمَّا لجأ الرَّجلُ المؤمنُ مِنْ آلِ فرعونَ إلى اللَّه؛ كُفِيَ شرَّ قومِهِ، قَالَ سبحانه عنه: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

والتَّضرُّعُ إلى اللَّه بالدُّعاءِ سببُ تغيُّرِ الحال؛ قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾.

والصَّلاةُ مزيلةٌ لِلْهُموم، كاشِفَةٌ للغُموم، واللَّهُ سبحانه أمَرَ

بالاستعانةِ بها عندَ حلولِ المصائب؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

وَذِكْرُ اللَّه أَنِيسُ المكروبين؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، وكان ﷺ إذا نزل به كَرْبٌ قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**» (متفق عليه).

والاسترجاعُ عزاءٌ لكلِّ مُصاب؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، و﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها الخليلان عند الشَّدائد، والاستغفارُ سببُ تفريجِ الخطوب؛ لأنَّ الذُّنوبَ هي موجبُ الكروب، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

والتَّوبةُ تَحُطُّ السَّيِّئات وتُفَرِّجُ الكُرُبات، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وَمَنْ عاملَ اللَّهَ بالتَّقْوى والطَّاعةِ في حَالِ رَخائِهِ؛ عَامَلَهُ اللَّه باللُّطفِ والإعانَةِ في حالِ شِدَّتهِ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ؛ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**» (رواه الحاكم)، قال أبو سليمان الدَّارَانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَحْسَنَ فِي لَيْلِهِ كُفِيَ فِي نَهَارِهِ».

والتَّزوُّدُ مِنَ الطَّاعاتِ يُفَرِّجُ الهموم، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

والصَّدقةُ والبرُّ وصِلةُ الرَّحِم؛ سَبَبُ زوالِ المِحَن، قَالَتْ خديجةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا للنَّبيِّ ﷺ - لَمَّا نزل عليه الوحيُ وخَشِيَ على نفْسِه، قَالَتْ لهُ -: «كَلَّا، وَاللَّهِ! لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه).

واللَّهُ وَعَدَ عِبَادَهُ بالفَرَجِ بعد الشِّدَّة، وإذا اشتدَّ الكَربُ لاح الفرَج.

وحُسنُ الظَّنِّ باللَّهِ واجب، والتَّفاؤلُ بزوالِ ما نزَلَ من المصائب مِنْ حُسْنِ المُعتَقد، قال سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، قال ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ دَخَلَ العُسْرُ فِي حُجْرٍ؛ لَجَاءَ اليُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ».

والصَّبرُ أجرهُ بِلا حِسَاب، واختيارُ اللَّه لعبْدِهِ أَرْحَمُ مِنْ اختيارِ العبدِ لنفْسِه، والحياةُ الباقية هي الدَّارُ الآخِرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشَأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنِ ابْتَعَدَ عَنِ الدِّين زادت كُروبُه؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾.

وَمَنْ فرَّجَ اللَّهُ كُرَبَه ولم يَشكرْ نعمةَ اللَّهِ على زوالِ الكُربة؛ فقد توعَّدَه اللَّه بمكرِه وعقوبتِه؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾، والمؤمنُ إذا ابْتُلِيَ صبَر، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، وإذا أُنعِمَ عليه شَكَرَ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

وَدَاعاً لِلْهُمُومِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واعتصموا به؛ فالنَّجاةُ في الهُدى، والشَّقاءُ في اتِّباعِ الهَوى.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ النَّفسِ وابتهاجُها بزوال هُمومِها وغُمومِها، والقلبُ يَفرحُ، والنَّفسُ تسعدُ بطاعة اللَّه ورسوله، وقد أمر اللَّه نبيَّه ببشارة المؤمنين بذلك، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ومِن هَدْيِ الإسلام: إدخالُ السُّرور على النُّفوس فحثَّ على ذلك ولو بالكلمة الطَّيِّبة، قال ﷺ: «**يُعْجِبُنِي الفَأْلُ**، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: **كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**» (متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ دائمَ البِشْر، قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ» (متفق عليه).

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر رجب، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والنَّعيمُ في انشراحِ الصَّدر، والعناءُ في ضِيقِه، وانشراحُ الصَّدر من نِعَمِ اللَّه الجِسام، وإذا اتَّسع صلَح لِنفعِ الخلقِ وقضاءِ حاجاتهم، وقد سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يشرحَ صدره؛ لئلا يتكدَّرَ ويضيق، فقال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾؛ فإنه إنْ ضاق أعْجزَ صاحبَه عن العمل ولم ينفعْ غيرَه، وشَرَحَ اللَّهَ صَدْرَ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ ونوَّره؛ فكان قلباً رحيماً، فقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾، وشَرَحَ اللَّهُ صُدُورَ الذين اتبعوه وآمنوا به، فقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾.

وقَطعَ الإسلامُ كلَّ سبيلٍ إلى الحزن؛ إذْ أنَّه يُضعِفُ القلبَ، ويُوهنُ العزمَ، ويَمنعُ العبدَ من النُّهوضِ والتَّشميرِ والسَّيْرِ إلى اللَّه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَلِهَذَا لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ فِي مَوْضِعٍ قَطُّ، وَلَا أَثْنَى عَلَيْهِ، وَلَا رَتَّبَ عَلَيْهِ جَزَاءً وَلَا ثَوَاباً؛ بَلْ نَهَى عَنْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾».

وقد نهى اللَّهُ رسولَه ﷺ عنه، فقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ لصاحبه الصِّدِّيق رضي الله عنه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذُ من الحُزنِ كثيراً ويُكْثِرُ منه في دعائِه؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ كَثِيراً يَقُولُ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضِلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**» (متفق عليه).

والحُزنُ من أبوابِ الشَّيطانِ على العبد؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وإذا اشتدَّ أعاق عن النُّطقِ والبيانِ في

القول؛ قال موسى عليه السلام: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾، وقد يَسْرِي ضَرَرُه على أعضاءِ الجسد؛ قال جل وعلا عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

والعيشُ لا يطيبُ إلّا بفراقه؛ فكان زوالُه من نعيم الجنَّة، قال سبحانه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأصحابُ الجنَّة يَحمَدون اللَّه أن أذْهَبَ عنهم الحُزن، ونجّاهم منه، قال عز وجل عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، ونهى النَّبيُّ ﷺ عن كلِّ قولٍ أو فعلٍ يُحزِن المسلم؛ فحرَّم أن يتناجى اثنان دون الثَّالث، وقال: «إِنَّ ذَلَكَ يُحْزِنُهُ» (متفق عليه)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَالحُزْنُ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ؛ بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِأَمْرِ الدِّينِ».

والذَّنبُ يَقبِضُ الصدرَ، ويُثْقِلُ الظَّهر: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، ومَنِ اتَّبعَ هواه وجد أثناء ذلك من الآلام ما لا يُعبَّر عنه، ومَنْ أَعْرَضَ عن ذكرِ اللَّهِ أُذِيقَ من ضِيقِ الصَّدرِ وشدَّةِ الحرصِ ونكَدِ الدُّنيا والتَّحسُّرِ على فواتها قبل حصولها وبعد نوالها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

وللغفلةِ تأثيرٌ في ضيق الصَّدر، قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

وقولُ: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا» جزعاً على القَدَر؛ ذريعةٌ إلى عملِ الشَّيطان، وهي لا تُجْدِي سوى النَّدمِ والحُزن، قال عليه الصلاة والسلام: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (رواه مسلم).

والعاصي يَنقلبُ عملُه حُزناً وثُبُوراً، وإن تَنَعَّم ظاهرُه، ولو لَبِسَ وأكلَ ما شاء، وسكن حيثُ شاء؛ فإن قلبَه مالم يَخلُص إليه نورُ الطَّاعة فهو مكظوم.

والمؤمنُ المُخلِصُ للَّه: أطيبُ النَّاس عيشاً وأنعمُهم بالاً، وأشرحُهم صدراً، وهذه جَنَّةٌ له عاجلة قبل جنَّة الآخرة.

وعلى حسب كمال الإيمان وقوتِه وزيادتِه: يكون انشراحُ صدرِ صاحبِه، وعلى قَدْرِ بُعْدِه عن اللَّه: يكونُ انقباضُ قلبِه؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾.

ودوامُ الذِّكر من أسباب انشراح الصَّدر ونعيم القلب؛ قال ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، والتَّعلُّقُ به ﷻ والتَّوكُّلُ عليه وتفويضُ الأمور إليه؛ يَفتحُ للقلب بابَ السُّرورِ واللَّذَّةِ والابتهاج، قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وما دُفِعَتْ شدائدُ الدُّنيا وأحزانُها بمثل اللُّجوءِ إليه وطاعتِه، وكان النَّبيُّ ﷺ «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ؛ صَلَّى» (رواه أبو داود).

وأمرَ اللَّهُ نبيَّه بالذِّكرِ والصَّلاة في أوقات أذيَّة المخالفين له ووَجْدِه عليهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، ومَنْ لزمَ الاستغفار؛ جعل اللَّه له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزَقَهُ من حيث لا يحتسب؛ والإحسانُ إلى الخلق ونفعُهم؛ يُفرِحُ القلب، ويُسْعِدُ النَّفس، ويَجْلِبُ النِّعم.

وأرشدَ النَّبيُّ ﷺ إلى طعامٍ يُزيحُ الغموم، ويريحُ الهموم؛ قال ﷺ: «التَّلْبِينَةُ: مَجَمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ - أَيْ: تُرِيحُ قَلْبَهُ، وَتُزِيلُ عَنْهُ الهَمَّ -، تُذْهِبُ بَعْضَ الحُزْنِ» (متفق عليه)، والتَّلْبِينَةُ: حِسَاءٌ مِنْ دَقيقٍ أو نُخَالةٍ.

وفي الإسلام أقوالٌ تُريحُ مِن ظُلَم الأحزان؛ قال ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرحاً، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا» (رواه أحمد)، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول عند الكَرْب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» (متفق عليه)، ودعوةُ ذي النُّون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ما دعا بها مكروبٌ قط، إلَّا فرَّج اللَّه كربه.

والصَّبرُ والاسترجاعُ بقولِ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾؛ خيرُ عوضٍ عن الحُزن، وحسراتُ القلب يُطفِئُها الرِّضا بأمرِ اللَّه، وما مضى لا يُدفعُ بالحُزن والألم؛ بل بالرِّضا والحمدِ والصَّبرِ والإيمانِ بالقدر،

وبقول العبد: قدَّر اللَّهُ وما شاءَ فعل، وما يُستَقبلُ لا يُرفَعُ بالهَمّ، فإن كان له قدرةٌ في دفعه؛ فلا يَعجِزْ عنه، وإن لم يكن له قدرة على دفعه؛ فلا يَجزعْ منه؛ بل يقابلُه بالرِّضا والتَّسليم.

والحُزنُ - وإن طال - فله انْجِلَاء، وكلَّما اشتدَّ لَاحَ الفرَج، والحزنُ يَبْلَى كما يَبْلَى الثَّوب، والفرجُ مع الكرب، ومع العُسْر يُسْر، والسُّرورُ في القناعة، والحُزنُ في الجَزَع، ولا حُزْنَ لمن كان مع اللَّه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

ومن أسرارِ سرورِ القلب: تركُ الآثام، وإذا قابل العبدُ بين نِعَمِ اللَّه المتوالية عليه وبين ما قد يَنزلُ به من بلاء؛ وجد نِعَمَ اللَّه هي السَّابغة، قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾؛ والنَّظر إلى أهل البلايا يخفِّفُ المصاب؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**» (متفق عليه).

وبالسَّلامةِ من فِتَنِ الشُّبُهاتِ والشَّهوات؛ يَجْتَمِعُ الهدى والفلاح، والحياةُ قصيرةٌ؛ فلا تكدِّرْها بالعصيانِ والهموم، والاسترسالِ مع الأكدار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

شفاءُ الغمومِ والأحزانِ ونحوِها من أمراضِ القلب في التَّوَجُّه إلى اللَّه بطلبِ رفعِها، وفعلِ الأسبابِ لزوالها؛ قال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، ولئن بُلِي العبدُ بشيءٍ من الهمِّ والغمِّ مع فعلِ الأسبابِ لِدَفْعِهَا؛ كان تكفيراً لخطاياه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» (متفق عليه).

فالْزمُوا طاعةَ اللَّه في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ تَسْعَدُوا.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب السَّادس

الصَّــــلاة

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : الصَّلواتُ الخَمْس.

الفصل الثَّاني : النَّوَافِل.

الفصل الأَوَّل

الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ

شَأْنُ الصَّلاةِ فِي الإِسْلامِ (١)

الحمدُ للَّهِ العزيزِ الجبَّار، المُتَعَالِي عن إدراكِ الخواطرِ والأبصار، أَحْمَدُه تعالى حَمْداً يليقُ بِمِنَنِه العُظمى، وأَشْكُرُه شكراً يزيدُ من كلِّ نَعْمَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، الواحدُ القهَّار.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، المُفضَّلُ بأشرفِ الرِّسالةِ وأوضحِ الدَّلالة، جاء بالأمرِ صادعاً وللَّهِ خاشعاً ولأُمَّتِه شافعاً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آلِه وأصحابِه أُولِي الجدِّ في الطَّاعةِ والتَّشمير، ومَنْ سار على نهجهم إلى يومِ المآبِ والمصير.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه -، واعبدوه حقَّ عبادته، وأَخلِصُوا له القولَ والعمل.

أيُّها المسلمون:

لقد شرعَ اللَّهُ لنا من الشَّرائعِ أيسرَها عملاً، وأسهلَها فِعلاً، وأعظمَها ثواباً، وأقامَ الإسلام على قواعدَ ودعائمَ إذا اختلَّت تَقَوَّضَ البُنْيَان، وذهبَ الإسلام.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر شوَّال، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والصَّلاةُ - عبادَ اللَّه - هي الرُّكن الثَّاني من تلكَ القواعد والأركان، هي عمود الإسلام التي يقوم عليها، ترفع بناءَه وتقيم جوانبَه.

أُمِر بها الأنبياء والمرسلون؛ قال ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾، ودعا إبراهيم عليه السلام ربَّه بقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، وأثنى اللَّهُ على إسماعيل عليه السلام؛ فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾، وتشرَّف بها عيسى عليه السلام؛ فقال: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، وأمر اللَّهُ تعالى بها نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ؛ فقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾، وهي من وصايا عبادِ اللَّه الصَّالحين لأبنائهم: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وأمر بها سبحانه عموم المؤمنين؛ فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

هي قِوام الدِّين وعماده، من أقامها أقام دينه، ومن أضاعها فقد هدم مِلَّتَه، وهي بُرهان الإيمان وعنوان الاستقامة، وأوَّل ما أوجبه اللَّه من العبادات الظَّاهرة، وأوَّل ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة، وآخِرُ ما يُفقد من الدِّين، وآخرُ ما وصَّى به النَّبيُّ ﷺ أُمَّته، فرضها ربكم من فوق سبعِ سموات من غير واسطة.

عبادةٌ لا تدخلُها النِّيابة بحال؛ فلا يصلِّي أحدٌ عن أحد؛ لا لعذر ولا لغير عذر.

تولَّى اللَّه إيجابَها بمخاطبةِ رسوله ﷺ ليلةَ المعراج، تَعْظيمُه تعالى لها في كتابه فوق جميعِ العبادات، قرينةٌ للشَّهادتين، خصَّها بالذِّكر

تارةً، وقرنها بالزَّكاة أخرى، وافتتح واختتم أعمال البرِّ بها، ذكرها اللَّه في كتابه تخصيصاً بعد تعميم: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾.

يَتمثلُ فيها جلالُ الخالِق وذُلُّ المخلوق، عُدَّةٌ في الخوف، وجُنَّةٌ دون الأعداء، أُنْسٌ وراحة، تُضْفِي على القلب طمأنينةً ورضًى، بها تصلُحُ الأعمال والأقوال، قيامُها تعظيم، وركوعُها خضوع، وسجودُها تذلُّل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصَّلَاةُ نُورٌ**» (رواه مسلم)، نور في القلوب والبصائر، تُزيلُ ظلامَ الزيغِ والباطل، وتُلْقي في القلب الهدى والحق، وتُنيرُ ظُلْمَة القبر، ويَتلأْلأُ بها الجبينُ ضياءً يوم القيامة.

ماحيةٌ للسَّيِّئات، ورافعةٌ للدَّرجات؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم).

فيها الخضوعُ والدُّعاءُ، والتَّضرُّعُ والمناجاةُ، والقُربُ من الرَّحمن؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**» (رواه مسلم).

أداؤها لأوقاتها عَمَل مُحبَّبٌ للدَّيَّان؛ قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**، قُلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **بِرُّ الوَالِدَيْنِ**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» (متفق عليه).

جالبة للفرح والسُّرور يوم الجزاء؛ يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غداً مُسْلِماً؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى» (رواه مسلم).

عمارةُ المساجدِ لأدائِها هي المُقدَّمُ من أعمالِ أُولي العزمِ إذا حلُّوْا في الدِّيار: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾، وأوَّلُ ما قَدِمَ نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ المدينة مهاجراً؛ شَرَعَ في بناء مسجده.

أيُّها المسلمون:

الإنسان ضعيفُ الخِلقة، سريعُ الهَلَعِ والجَزع، كثير الخطايا والذُّنوب، يمشي في هذه الحياة وسطَ طريق من الآلام والصِّعاب: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، وفي الصَّلاة تيسير للأمور، وشرحٌ للصُّدور، وزوالٌ للهموم، وإذهابٌ للغموم، وإعانةٌ على أمور الحياة وقضاء الحاجات، فكم نِيل بها من المسرَّاتِ وأنواعِ الخيراتِ وعظيمِ البركات؟! قال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ - وَوَقَعَ فِي شِدَّةٍ -؛ صَلَّى» (رواه أحمد).

الصَّلاة قوَّة للمسلم في مِحْنَته؛ تَحُثُّه على الصَّبر والتَّحمُّل، وتُقَوِّي عزيمتَه، وتَرْبِطُ على قلبِه، وتُرِيحُ فِكْرَه وجسدَه من مشاغل الحياةِ وعناءِ الكَسْب، كان النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول: «**أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ يَا بِلَالُ!**» (رواه أحمد)، وكانت قرَّةَ عينه عليه الصلاة والسلام، ولَمَّا أراد اللَّه أن يبتليَ مريمَ البتولَ

بغلام بِلا بَعْل أمرها بالتوجه إلى الصلاة؛ لتخفيف شِدَّة الابتلاء: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

الصَّلاةُ تَجْلِبُ الرِّزق وتُوَسِّعُ الكَسْب؛ قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ».

وهي مهبِطُ الرَّحمة وإجابةُ الدُّعاء؛ قال سبحانه: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

أيُّها المسلمون:

صفاتُ المؤمنين المفلحين مبدوءةٌ بالصَّلاة، واستحقاقُ ميراثِ الفردوس محقَّقٌ بالمحافظة عليها، المداومةُ عليها أوَّلُ صفاتِ المُكرَّمين من أهل الجنَّة، والمحافظةُ عليها ختامُ صفاتهم.

جمع اللَّه في الصلاة الخيرَ كلَّه بأبلغِ قولٍ وأوجزِ لفظ؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾، لا يبقى مع الصَّلاة دَنَسُ الفحشاء والمنكر؛ تُهذِّبُ الأخلاقَ والطِّباع، وتَحُولُ بينها وبين الانحراف، فيها الأفعالُ الحميدة والخصالُ الكريمة، ولمؤدِّيها السِّيرةُ الحميدة، جمعت من الفوائد أنواعاً، ومن المنافع أصنافاً، ومن الفضائل ألواناً.

أيُّها المسلمون:

إنَّ مِنْ أعظمِ المصائب وأقبحِ المعايب: تركَ الصَّلاة والتَّهاونَ بها، ولا يتركُها إلَّا مَنْ عَظُمَت عُقُوبَتُه وطَالَتْ حَسْرَتُه ونَدَامَتُه، وجاحِدُها مُعْرِضٌ عن اللَّه، خارجٌ عن دائرة الإسلام، محروم من وِرَاثةِ الفردوسِ والتَّكريمِ في جنَّاتِ النَّعيم، مَأْوَاه سَقَر، وما أدراكَ ما سَقَر؟!

ومَنْ لم يكن من أهلِ السُّجودِ للواحد المعبود أحرقه اللَّهُ بالنَّار؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُ مِنِ ابْنِ آدَمَ كُلَّ شَيْءٍ؛ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ» (رواه مسلم).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَالرَّجُلُ البَالِغُ إِذَا امْتَنَعَ مِنْ صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ»، وقال ابن القيِّم رحمه الله: «لَا يَخْتَلِفُ المُسْلِمُونَ أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ المَفْرُوضَةِ عَمْداً مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرِ الكَبَائِرِ، وَأَنَّ إِثْمَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ إِثْمِ قَتْلِ النَّفْسِ وَأَخْذِ الأَمْوَالِ، وَمِنْ إِثْمِ الزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الخَمْرِ، وَأَنَّهُ مُتَعَرِّضٌ لِعُقُوبَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ وَخِزْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، وما ترك أحدٌ الصَّلاة إلَّا شَقِي، وما أدَّاها إلَّا أفلَح وظفر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه المُتَعَالِي عن الأندادِ والأضداد، المُتنزِّهِ عنِ الصَّاحبةِ والأولاد، أَحْمَدُه تعالى على نِعَمِه الغِزَار.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له شهادةً مبرَّأةً من أَدْنَاسِ الشِّركِ والضَّلال.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، النَّبيُّ المصطفى والرَّسول المُجْتبى، المبعوثُ بالرَّحمةِ والهُدَى، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّةِ الهُدَى وبُدورِ الدُّجى.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أمر اللَّهُ تعالى عُمومَ المؤمنين بصلاة الجماعة؛ فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وأمر بها سبحانه المؤمنين المجاهدين ولو كانوا للعدوِّ مواجهين، ولم يَعْذُرِ النبيُّ ﷺ في التَّخلُّف عن الجماعة الأعمى الضَّريرَ الذي ليس له قائدٌ يلازمه في المسير.

بصلاةِ الجماعة يَتعلَّمُ الجاهل، ويَتذكَّرُ الغافل، وبها يَتعاونُ المسلمون في محبة اللَّه وعبادته والتَّواضعِ له والانكسارِ بين يديه؛ فتَخشعُ منهم القلوبُ، وتَتَّحدُ منهم الصُّفوف، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «لَأَنْ تَمْتَلِئَ أُذُنُ ابْنِ آدَمَ رَصَاصاً مُذَاباً، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ: حَيَّ عَلَى

الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ؛ ثُمَّ لَا يُجِيبُهُ»، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «سِتُّ خِصَالٍ فِي الصَّلَاةِ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ: الكَسَلُ عِنْدَ القِيَامِ إِلَيْهَا، وَمُرَاءَاةُ النَّاسِ فِي فِعْلِهَا، وَتَأْخِيرُهَا، وَنَقْرُهَا، وَقِلَّةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَالتَّخَلُّفُ عَنْ جَمَاعَتِهَا».

أيُّها المسلمون:

مِن كَرَم اللَّه أنَّه ضاعف الأجور لمن حافظ على صلاة الجماعة في المساجد؛ فـ«**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**»، و«**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ؛ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**».

وإسباغُ الوُضوءِ على المكاره، وكثرةُ الخُطَى إلى المساجد، وانتظارُ الصَّلاةِ بعد الصَّلاة؛ رِباطٌ يمحو اللَّه به الخطايا ويرفعُ به الدَّرجات، ومَنْ توضَّأَ فأَسْبَغَ الوضوء، ثمَّ مشى إلى الصَّلاةِ المكتوبةِ فصلَّاها مع الجماعة؛ غُفِرَتْ له ذنوبُه، ومَنْ توضَّأ فأَحسنَ الوضوء، ثمَّ خرج إلى المسجد لا يُخْرِجُه إلَّا الصَّلاة، لم يَخْطُ خَطْوَةً إلَّا رُفِعَتْ له بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلَّى لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليه ما دَامَ في مُصلَّاه، وبكلِّ خَطوة تَمْشِيهَا إلى الصَّلاةِ صدقة.

هذه الفضائلُ وغيرُها موعودٌ بها مَنْ أقامَ الصَّلاةَ مع المسلمين، فاحْمَدِ اللَّه تعالى أَنْ هَدَاكَ للفضائلِ وخَصَّكَ من خلقِه بالمحامد.

عبادَ اللَّه:

الأبُ الرَّؤُوفُ بأولادِه حقّاً، والرَّحيمُ بأهله صِدقاً: مَنْ يُعينُهم على القيام إلى الصَّلاة؛ فلا تَخرجْ من دارك للصَّلاة إلَّا وأبناؤك أمامَك وعن يمينك وعن شمالك وبجانبك، يتسابقون بين يديك إلى بيوت اللَّه وأماكِنِ تنزُّلِ رحمته.

فاتَّقوا اللَّه في دينكم عامَّة، وفي صلاتكم خاصَّة؛ فأمرُها عظيم، وشأنُها كبير، فَأْتُوا لها راغبين، ولأمر ربكم ممتثلين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَنْزِلَةُ الصَّلاةِ فِي الدِّينِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا اللّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أظهرتم، وأكرمُ ما أسررتم.

أيُّها المسلمون:

أعظمُ الأعمال عند اللَّهِ: إفرادُه بالعبادة، وما تقرَّب عبدٌ إليه بمثلِ ذلك، وأفضلُ الطاعات بعد التَّوحِيد: الرُّكنُ الثَّاني من الإسلام، فيه ذكرٌ للَّهِ وتعظيمٌ وذلٌّ وخضوع، سمَّاه اللَّه إيماناً؛ فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾.

هي عمودُ الإسلام، وأوَّلُ نعتٍ للمتَّقين في كتاب اللَّهِ بعد الإيمان بالغيب، وقُرَّة عين النَّبيِّ ﷺ، وبها كان يبعثُ دُعاتَه إلى الأمصار،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ﷺ لمُعاذٍ رضي الله عنه: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ؛ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ» (متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ أوَّلَ ما يشترِطُ بعد التَّوحيدِ إقامةُ الصَّلاة؛ لأنَّها رأسُ العباداتِ البَدنيَّة، ووصيَّتُه لأُمَّتِه آخرَ حياتِه: «الصَّلَاةَ! الصَّلَاةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ!» (رواه أحمد).

مَنْ كمَّلَها كان قائماً بدينِه، ومَنْ ضيَّعَها كان لِمَا سِواها أضْيَع، هي أمانٌ لِمَنْ كان مشركاً ثُمَّ أسلمَ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، وعصمةٌ للدِّماءِ والأموال؛ قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» (متفق عليه)، ومُوجِبةٌ للأُخُوَّةِ في الدِّين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾.

ولعظيم قدرِها ومُباينتِها لسائرِ الأعمال: أوجبَها اللَّهُ على أنبيائِه ورُسُله؛ فأوحَى إلى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ بإقامتِها؛ فقال: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾، وإبراهيم عليه السلام دعا ربَّه أن تكون ذريَّتُه من مُقيمِي الصلاة، وأثنَى اللَّهُ على إسماعيل عليه السلام لاهتمامِه بها؛ فقال: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾.

وأوَّلُ ما فرضَ اللَّهُ على موسى بعد توحيدِه: إقامةُ الصَّلاة، فكلَّمه

بهما من غير واسطة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، وبذلك أوحى اللَّه إلى موسى وهارون عليهما السلام أن يأمُرا قومَهما بها: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾، وكان زكريَّا عليه السلام مُداوِماً عليها: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾، وداودُ عليه السلام كان مُحبّاً للصَّلاة، فيقومُ ثُلُث ليلِه بها، ولَمَّا رأى قومُ شُعيبٍ نبيَّهم يدعُوهم إلى التَّوحيد ويُعظِّمُ الصَّلاةَ؛ قالوا له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾.

وتكلَّم بها عيسى عليه السلام وهو في المَهْدِ: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾، وأثنى اللَّهُ على الأنبياء عليهم السلام؛ فقال: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾، وأُخِذ على بني إسرائيل الميثاقُ بأدائِها: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ووصَّى بها لُقمانُ ابنَه؛ فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأمرَ سبحانه الأُمم قبلَنا؛ فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأمرَ تعالى بها نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ؛ فقال له: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾، وقال لهذه الأُمَّة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

أُمِرْنا بها حال الخوفِ والأمن، والسَّفَرِ والحَضَر، والصِّحَّةِ والمَرَض، ولا تَسقُطُ عن مُكلَّفٍ بحالٍ إلَّا الحائِضَ والنُّفَساء، ويُؤمَرُ الصَّبيُّ بفعلِها لسبعٍ، ويُضرَبُ عليها من بلغَ عشرَ سنين، وكان ﷺ

«يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ - لِئَلَّا يُنَامَ عَنْهَا -، وَيَكْرَهُ الحَدِيثَ بَعْدَهَا - لِئَلَّا يُثْقِلَ السَّهَرُ عَنْهَا -» (متفق عليه)، ومدحَ اللَّهُ عبادَه المؤمنين بصفاتٍ افْتَتَحَها بالصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، واخْتَتَمَها بالصَّلاة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

هي أحبُّ الأعمال إلى اللَّه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَحبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصَّبْرُ عَلَى المُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَالمَحَافَظَةِ عَلَى بِرِّ الوَالِدَيْنِ، أَمْرٌ لَازِمٌ مُتَكَرِّرٌ دَائِمٌ، لَا يَصْبِرُ عَلَى مُرَاقَبَةِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ».

خصَّها اللَّهُ من بين العبادات بفرضِها في السماء، وكلَّم بها نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ من غير واسِطة، وهي خمسٌ في العدد ولكنَّها خمسون في الأجر، ولا تُقبَلُ إلَّا بطهارة البدن واللِّباسِ والمكان، وتُمنعُ الحركةُ والأكلُ والكلامُ فيها، ولا يُوجد ذلك فيما سِواها من العبادات؛ إذ العبدُ فيها يُناجِي ربّاً كبيراً، فلا يُخالِطُ مُناجاةَ العظيم بغيره، واللَّه قِبَلَ وجهِ المُصلِّي، وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجِدٌ للَّه.

أداؤُها من أسباب دخول الجنَّة ورُؤية وجهِ اللَّه الكريم؛ قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» (متفق عليه)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَعْلَى مَا فِي الجَنَّةِ رُؤْيَةُ اللَّهِ، وَأَشْرَفُ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الأَعْمَالِ هَاتَانِ الصَّلَاتَانِ - أَيِ: الفَجْرُ

وَالعَصْرُ -؛ فَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا يُرْجَى بِهَا دُخُولُ الجَنَّةِ، وَرُؤْيَةُ اللَّهِ فِيهَا».

أجورُها عظيمةٌ قبل أدائِها؛ فالوضوءُ يُكفِّرُ الخطايا، و«مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ؛ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (متفق عليه)، وكلُّ خَطوةٍ تخطُوها إلى الصَّلاة حسنة، وترفعُك عند اللَّه درجة، والأُخرى تضعُ عنك سيِّئة، ومَنْ دَخلَ المَسجِدَ دعَتْ له الملائِكةُ تقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» (متفق عليه)، ومع دعاء الملائكة للمُنتظِر لها يُكتَبُ في صلاةٍ ما انتظرَ الصَّلاة، وفي أثناء الصَّلاة يتعرَّضُ لنفَحات المغفِرة؛ «مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وذِكرٌ بعد أدائِها يحُطُّ الأوزار؛ فمن سبَّح اللَّهَ وحمده دُبُرَها ثلاثاً وثلاثين، وكبَّره أربعاً وثلاثين؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومَنْ عَمَرَ مساجِدَ اللَّه بالصَّلاة فيها مع التَّقوى كان من المُؤمنين، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، و«مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» (رواه مسلم).

بابٌ عظيمٌ للغُفران في زمنٍ يسيرٍ، شبَّهها النَّبيُّ ﷺ بالنَّهر؛ فقال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا» (متفق عليه)، وقال

النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» (رواه مسلم).

ومنافعها الدُّنيويَّةُ لا تُحْصَى: جالِبةٌ للسَّعادة، فاتِحةٌ للرِّزقِ، مُيسِّرةٌ له، والعواقِبُ الحسنةُ بسببها؛ قال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

دافِعةٌ للشُّرور، داعِيةٌ لكلِّ خيرٍ؛ قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ - أَيْ: فِي حِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ -» (رواه مسلم)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلِلصَّلاَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ»، قال: «وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ البَدَنِ وَالقَلْبِ وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ المَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ مِحْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلَّا كَانَ حَظُّ المُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمُ».

وما رُفِع بلاءٌ بمثلِ توحيد اللَّه والصَّلاة؛ نَجَّى اللَّه يونسَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بطنِ الحوت بالصَّلاة: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وفُتِن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلم يجِد لتوبتِه مَفزَعاً مع الاستغفار إلَّا الصَّلاة: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، ولَمَّا أراد اللَّه أن يبتلِيَ مريمَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بأَنْ تلد ولداً من غير زوجٍ، أمرَها بالصَّلاة؛ لِيَهُونَ عليها

الأمر: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وكان ﷺ إذا حَزَبَه أمر؛ فَزِع إلى الصَّلاة.

وأمرَ اللَّه المُؤمنين أن يستَعينُوا بها في كلِّ أحوالِهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، عند الهَمِّ بأمر الدُّنيا نفزَعُ إلى اللَّه بصلاةِ الاستِخارة، وعندَ تغيُّر مسارِ الكونِ نَلْجَأُ إلى اللَّه بصلاةِ الكُسُوفِ، وفي الفرَحِ نسجُدُ للَّه شُكراً على ما وهَب، وكان النَّبيُّ ﷺ أَعْظمُ بابٍ له في الشُّكر: الصَّلاةُ، فكان إذا صلَّى قامَ حتى تَتفطَّرَ قدَماه، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: **أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً**» (متفق عليه).

وفي الآخرة تَتقدَّمُ الصَّلاةُ سائرَ الأعمال، وتكونُ أوَّلَ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ يوم القيامة، ومن أسباب مُرافقة النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة: كثرةُ الصَّلاة، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، قَالَ: **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» (رواه مسلم).

والمؤمنون يتميَّزون عن المنافقين بالسُّجود؛ فإذا رأى المُؤمنون ربَّهم خرُّوا له سُجَّداً، وإذا دُعِيَ المنافقون للسُّجود لم يستطيعوا عقوبةً لهم؛ قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، وإذا دَخلَ المُسلمُ النَّارَ بذُنوبٍ استحقَّها لم تمسَّ النَّارُ مواضعَ سجودِه.

فرضٌ عظيمٌ جعلها اللَّهُ علامةً بين الكفر والإيمان؛ قال ﷺ:

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ» (رواه مسلم)، وتوعَّد سبحانه من أضاعَها بجهنَّم؛ فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾، وقيل للكفَّار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ❁ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾، قال عمرُ بن الخطَّابِ ﷺ: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فواجبٌ على كل مُكلَّفٍ أن يُحافِظَ على الصَّلاة، وأن يأمُرَ أهله بها، وهذا نهجُ الأنبياء عليهم السلام؛ فهي مرضاةٌ للرَّبِّ، ومُكفِّرةٌ للسَّيِّئات، ورافِعةٌ للدَّرجات، وجامِعةٌ لكلِّ خيرٍ، ناهِيةٌ عن كلِّ شرٍّ، فيها صلاحُ الحال والمآل، والتَّوفيقُ وسعادةُ البال، ورغَدُ العيش وبركةُ المال، وطُمأنينةُ البيوت وصلاحُ الذُّرِّيَّة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أوجبَ اللَّه على الرِّجال أداءَ الصَّلاة جماعةً في المساجِد؛ قال سبحانه: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، والنَّبيُّ ﷺ همَّ بتحريق بيوتِ المُتَخَلِّفين عن صلاةِ الجماعة، فقال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ؛ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (متفق عليه)، ولم يُرخِّصِ النَّبيُّ ﷺ لرجُلٍ أعمَى لا قائِد له بالتَّخَلُّف عن صلاة الجماعة؛ بل قال له: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَجِبْ» (رواه مسلم).

فالبِدارَ البِدارَ إلى صلاة الجماعة! فهي نورُ الوَجْه، ودليلُ الإيمان، وبها انشِراحُ الصَّدر، وعلُوُّ الشَّأن.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

وُجوبُ صَلاةِ الجَماعَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أَمَرَ اللَّهُ خَلْقَه بإفراده بالعبادة؛ فلا يُقبلُ عملٌ بلا توحيد، وثنَّى بعبادةٍ بعد توحيده سبحانه وأكثر من ذكرها، وأمَرَ الرُّسل بها؛ فقال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾، ودعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه أن يكونَ هو وذرِّيَّتُه من المُؤدِّين لها: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا﴾، وأثنى على إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمره أهله بها: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، وهي من الميثاق الذي أُخذ على الأمم السَّابقة: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع من شهر شعبان، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وهي من وصايا لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأُمِرَتْ هذه الأُمَّةُ بالمحافظة عليها: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، وأُمِر بها النِّساء: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وهي من أُسُسِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ لوفد عبد القيس: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ باللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ**» (متفق عليه)، ومنزلتُها في الدِّين بعد الشَّهادتين، وكان النَّبيُّ ﷺ يأمر بها في أوائل دعوته، قال هِرَقْل لِأَبِي سُفْيَانَ: «بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ - يَعْنِي: النَّبيَّ ﷺ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ -: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالعَفَافِ» (متفق عليه).

وهي أحبُّ الأعمال إلى اللَّه؛ سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» (متفق عليه).

وخُصَّت من بين سائر العبادات بفرضيتها في السَّماء، فلم ينزل بها مَلَكٌ إلى الأرض؛ بل كلَّم اللَّهُ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ بفرضيَّتِها من غيرِ واسطة، قال ﷺ: «**ثُمَّ ذُهِبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**» (متفق عليه)، عُظِّمَت منزلتُها ففُرِضت خمسين صلاة، ثمَّ خُفِّفت إلى خمس في العدد، وبقيت خمسين في الثواب.

أحبَّها الصَّحابة فكانوا يؤدُّونها في أشدِّ المواطن؛ قال جابر رضي الله عنه:

«غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْماً؛ فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيداً، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ» (رواه مسلم)، وبَايَعُوا النَّبيَّ ﷺ عليها، قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (متفق عليه).

الصَّلاة خيرُ عَونٍ على أمور الدُّنيا والدِّين؛ تُجمِّلُ المرءَ بمكارم الأخلاق، وتَنهاهُ عن الفحشاء والمنكرات، ماحية للخطايا، مكفرة للسَّيِّئات، شَبَّهها النَّبيُّ ﷺ بالنَّهْر الجارِي المُزِيل للأدران (متفق عليه)، تَحْفظُ العبدَ من الشُّرور ومَهالكِ الرَّدَى؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ**» (رواه مسلم)، ترفع عن العبد المصائب والفتن، والآفات والمعايب؛ قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «الصَّلَاةُ مِنْ أَكْبَرِ العَوْنِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الأَمْرِ».

تَفْتحُ أبوابَ الرِّزق وتُيسِّرُه؛ قال سبحانه عن زكريَّا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾، وقال عن مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

تُقوِّي البدنَ وتَشرَحُ الصَّدر؛ إذا اسْتَيْقَظَ العبدُ فذَكَر اللَّهَ، ثمَّ توضَّأ وصلَّى ركعتين: «**أَصْبَحَ** - يَوْمَهُ - **نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ**» (متفق عليه).

وصفها النَّبيُّ ﷺ بأنَّها نور؛ فقال: «**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**» (رواه مسلم).

وهي من موجبات دخول الجنَّة والرِّفعة فيها؛ سأل ثَوبانُ النَّبيَّ ﷺ فقال: «أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الجَنَّةَ - أَوْ قَالَ: بِأَحَبِّ

الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ -؟ قَالَ: **عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً؛ إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**» (رواه مسلم).

والصَّلاةُ من أسبابِ مرافقة النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة؛ قال ربيعةُ بن كعب رضي الله عنه: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **سَلْ**، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، قَالَ: **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟** قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» (رواه مسلم)، كانت قرةَ عينِ النَّبيِّ ﷺ، وجعلَها آخرَ وصيَّتِه في حياته؛ قال أنس رضي الله عنه: «كَانَ عَامَّةُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ حَضرَهُ المَوْتُ: **الصَّلَاةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ!**» (رواه أحمد).

فضائلُها جَمَّة ومنافعُها مُتعدِّية، قال عنها النَّبيُّ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً** - أَيْ: زَحْفاً عَلَى الأَيْدِي وَالرُّكَبِ -» (متفق عليه).

فُرِضَ على كلِّ مسلم أداؤها في كل مكان وعلى أيِّ حال؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوْراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ؛ صَلَّى حَيْثُ كَانَ**» (متفق عليه)، والإسلام جعلها ميزاناً بين الإسلام والكفر؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**» (رواه مسلم)، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ»، وقال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ؛ فَلَا دِينَ لَهُ».

وفعلها واجب في وقتها؛ قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾، قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله: «لَمْ تَكُنْ إِضَاعَتُهُمْ تَرْكُهَا، وَلَكِنْ أَضَاعُوا وَقْتَهَا»، قال إسحاق بن راهويه رحمه الله:

«رَأْيُ أَهْلِ العِلْمِ - مِنْ لَدُنِ النَّبيِّ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا -: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْداً مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا أَنَّهُ كَافِرٌ».

واللَّهُ أوجب أداءها جماعة في بيوت اللَّه؛ بل لم يَعْذُرِ النَّبيُّ ﷺ فاقدَ البصر من الإتيان إليها؛ «جَاءَ رَجُلٌ أَعْمَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي رَجُلٌ أَعْمَى لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُوْدُنِي إِلَى المَسْجِدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ لِلصَّلَاةِ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **فَأَجِبْ**» (رواه مسلم)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «**لَوْلَا مَا فِي البُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ**» (رواه أحمد)، قال ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: «هَذَا الحَدِيثُ ظَاهِرٌ فِي كَوْنِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ فَرْضَ عَيْنٍ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ سُنَّةً لَمْ يُهَدِّدْ تَارِكَهَا بِالتَّحْرِيقِ، وَلَوْ كَانَتْ فَرْضَ كِفَايَةٍ لَكَانَتْ قَائِمَةً بِالرَّسُولِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ».

والتَّفريطُ في صلاة الجماعة؛ من أسبابِ استحواذِ الشَّيطان على العبد؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ؛ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**» (رواه أبو داود)، قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ».

وشهودُها أمارة على الإيمان؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وكان الصَّحابةُ يؤدُّونها جماعةً ولو مع المَشقَّة؛ قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه:

«لَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»، قال الرَّبيعُ بن خَيْثم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْتُوهَا فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْواً».

وآخرُ ما رآه النَّبيُّ ﷺ من صحابته قبل وفاته، رآهم وهم يصلون جماعة، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ حُجْرَتِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ؛ فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ صُفُوفاً يُصَلُّونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرَهَا إِلَى صَحَابَتِهِ» (متفق عليه).

واللَّهُ قِبَلَ وجه المُصلِّي، والخشوع هو روحُ الصَّلاة، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أبو داود)، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا»، قال الكَرْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ تَرْتَعِدُ أَعْضَاؤُهُ - أَيْ: مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ -».

فأَقْبِلُوا عليها بخُشُوعٍ وفَرحٍ بأدائِها جَمَاعة؛ تَطْهُرْ أرواحكم، وتُمْحَ زلَّاتُ ألسنتكم وما اقترفته جوارِحُكم، وتُرْفَعْ درجاتكم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الصَّلاةُ سببُ الفوزِ والفلاح، من مشى إليها لم يَخْطُ خَطْوَة إلَّا رفعه اللَّهُ بها درجة، وحطَّ عنه خطيئة، وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الَّذي يُصلِّي فيه، تقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» (متفق عليه)، و«**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم)، ومن تَعلَّقَ قلبُه بالصَّلاة يَتَحيَّنُ النداء للصَّلاة التي تليها؛ أظلَّه اللَّه تحتَ ظلِّ عرشه.

فأدُّوا الصَّلواتِ المفروضةَ جماعةً في بيوت اللَّه، طيِّبةً بها نفوسُكم، منشرحةً بها صدورُكم؛ تَنالُوا ثوابَ ربِّكم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه ارْتَقَى درجات، وطَابَ مآلُه بعد الممات.

أيُّها المسلمون:

يصطفي اللَّهُ مِنْ خَلْقِه ما يشاء، وله سبحانه الحكمةُ والحمدُ في خلقه واصطفائه، ومِن تعظيم اللَّه: تعظيمُ ما اختاره واجتباه، والدَّهرُ مَطِيَّةُ العباد إلى ربهم، وفيه يتزوَّدُون للآخرة بزاد الطَّاعات، ومن خيرِ ما يُثَقِّلُ به العبدُ صحائفَ أعمالِه: طاعةُ اللَّه في الأوقات الفاضلة.

وقد اختار اللَّه يوماً ذَكَرَه في كتابه، وسُمِّيَت سورةٌ باسمه دون غيره من الأيَّام، لا مِثلَ له في أيام الأسبوع، فهو أشرفها وأكرمها؛

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الأوَّل من شهر رجب، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ: يَوْمُ الجُمُعَةِ» (رواه مسلم)، أَقْسَمَ اللَّهُ به في كتابه؛ فقال: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «الشَّاهِدُ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَالمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ».

في الجمعة أمرٌ كونيٌّ عظيمٌ؛ ففيه أتمَّ اللَّهُ خلقَ السَّمواتِ والأرضِ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَفِيهِ - أَيْ: فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ - اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُ».

في هذا اليوم شَرَفٌ لآدمَ وذرِّيَّتِه، وفيه حدثٌ لا يُنْسى؛ قال ﷺ: «فِيهِ - أَيْ: فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ - خُلِقَ آدمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا» (رواه مسلم).

ولفضلِ هذا اليومِ على غيره من الأيام أكمَلَ فيه الدِّينَ، «قَالَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رضي الله عنه: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقرَؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيداً، قَالَ: أَيُّ آيةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: إِنِّي لَأَعْلَمُ اليَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ؛ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ» (متفق عليه).

يومٌ اختَّصت به هذ الأُمَّة فهدانا اللَّه له وأضلَّ عنه غيرَنا؛ قال ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ

مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ؛ فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ غَداً، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ» (متفق عليه).

ولاختصاص هذه الأُمَّة به حُسِدَتْ عليه حين هداها اللَّه إليه؛ قال ﷺ: «إِنَّهُمْ - أَي: اليَهُودَ - لَا يَحْسُدُونا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا» (رواه أحمد).

في الجُمُعةِ رفعُ الدَّرجاتِ وتكفيرُ السَّيِّئاتِ؛ قال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ؛ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ» (رواه مسلم).

وفيه يُنعِمُ اللَّهُ على عباده بِفتحِ أبوابِ فضلِه، فلا يَرُدُّ لهم في زمنٍ منه دعوةً؛ قال ﷺ: «وَإِنَّ فِي الجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْراً؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (متفق عليه)، وهي في آخِرِ ساعةٍ بعدَ العصرِ؛ قال ﷺ: «فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ» (رواه أبو داود)، قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «أَكْثَرُ الأَحَادِيثِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ أَنَّهَا بَعْدَ العَصْرِ».

ويوم القيامة أمرٌ مَهُولٌ ولا يكون إلا في يومٍ عظيم؛ قال ﷺ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ» (رواه مسلم)، وفيه يصبحُ كلُّ ما على الأرض خائفاً يخشى أن تقومَ السَّاعةُ فيه سوى ابنِ آدم؛ قال ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الجُمُعَةِ مُصِيخَةً - أَيْ: مُسْتَمِعَةً - حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقَةً مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا ابْنَ آدَمَ» (رواه النسائي).

وفضائلُ هذا اليومِ ممدودةٌ للمؤمنين في الجنَّة، وأعظمُ النَّعيم لهم فيها رؤيةُ ربِّهم، وفي كلِّ جمعةٍ يَتَجلَّى اللَّهُ لهم، وهذا هو يوم المزيد؛ قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، قال أنسٌ رضي الله عنه: «يَظْهَرُ لَهُمُ الرَّبُّ عز وجل فِي كُلِّ جُمُعَةٍ».

ولاجتماع المسلمين في الدُّنيا فيه على الطَّاعة يكافؤهم اللَّهُ باجتماعِ خيرٍ منه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً - يَعْنِي: مَجْمَعاً لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ كَمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا -، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ؛ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمالاً» (رواه مسلم).

ومنازلُ المؤمنين في القُرْبِ من اللَّه في الجنَّة على قَدرِ مسارعتِهم إلى الجمعة؛ قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «سَارِعُوا إِلَى الجُمُعَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْرُزُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي كَثِيبٍ مِنْ كَافُورٍ فَيَكُونُونَ فِي قُرْبٍ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ تَسَارُعِهِمْ إِلَى الجُمُعَةِ فِي الدُّنْيَا».

الجمعةُ يومٌ عظيم، اختُصَّ بعبادات ليس في غيرها من الأيام؛ فمن طلوع فجرها يبدأ التذكيرُ بها، وقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرأُ في صلاة فجرها بـ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ السجدةِ، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ (متفق عليه)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إِنَّما كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي فَجْرِ الجُمُعَةِ؛ لِأَنَّهُما تَضَمَّنَتَا مَا كَانَ وَيَكُونُ فِي يَوْمِهَا».

وهو يومُ جَمالٍ وزينةٍ؛ فبعدَ طلوعِ شمسِه يبدأُ زمنُ الاغتسال، والطِّيبُ، والسِّواكُ له مَزيَّة فيه على غيره؛ قال ﷺ: «غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَسِوَاكٌ، وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ» (متفق عليه)، والتَّجمُّلُ بالثِّياب من تمام الزِّينة في هذا اليوم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ» (رواه ابن ماجه)، ورأى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حُلَّةً عندَ بابِ المَسْجِدِ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ؛ فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ» (متفق عليه)

والسَّعيُ للجمعة ثوابُه مضاعَف، قال عَبَايَة بن رِفَاعة رحمه الله: «أَدْرَكَنِي أَبُو عَبْسٍ وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى الجُمُعَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (رواه البخاري).

والتَّبكيرُ إلى الجمعة يَتسابقُ إليه المسلمون لاختصاصِ التَّبكيرِ إليها بِمَا لا يختصُّ به غيرُها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» (متفق عليه).

والملائكةُ لها شأنٌ يومَ الجُمُعةِ على أبوابِ المساجد، وتُحِبُّ الذِّكْرَ وتُنصِتُ لخطبة الجمعة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ كَانَ

عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ؛ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» (متفق عليه).

ومَنْ جلس في المسجد يَنتظِرُ صلاةَ الجمعة جعَل الإسلامُ له حرمةً، فلا يجوز لأحدٍ أن يُقِيمَه من مكانه ويَجلسَ فيه؛ قال ﷺ: «لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ لْيُخَالِفْ إِلَى مَقْعَدِهِ فَيَقْعُدَ فِيهِ؛ وَلَكِنْ يَقُولُ: افْسَحُوا» (رواه مسلم)، بل وتَحرُمُ أَذيَّتُه ولو بحركة؛ «جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اجْلِسْ! فَقَدْ آذَيْتَ» (رواه أبو داود).

في هذا اليوم العظيم يَجتمعُ المسلمون في مَظْهرٍ من مظاهرِ ائتِلَافِهِم، فيُنصتون لمن يُذَكِّرهم باللَّهِ ويُقرِّبُهم منه، وخطبةُ الجمعةِ لها وَقْعٌ في النُّفوس يُصغَى إليها بالفؤاد وسكون الجوارح، ويَحْرُم على المستمع لها الانشغالُ عنها ولو بِلَمْسِ الحَصَى؛ قال ﷺ: «مَنْ مَسَّ الْحَصَى؛ فَقَدْ لَغَا» (رواه مسلم).

وكما نَهَى النَّبيُّ ﷺ المُستمعينَ إليها عن الانشغالِ بالفعل نَهَاهُم أيضاً عن الحديث ولو بكلمة؛ قال ﷺ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ؛ فَقَدْ لَغَوْتَ» (متفق عليه).

في خطبة الجمعة توجيهاتٌ ومواعظُ وتعريفٌ باللَّهِ ورسوله ودين الإسلام؛ لذا أوجب اللَّهُ البِدَارَ إليها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «ومَن تأمَّلَ خُطَبَ النَّبيِّ ﷺ

وَخُطَبَ أَصْحَابِهِ وَجَدَهَا كَفِيلَةً بِبَيَانِ الهُدَى وَالتَّوْحِيدِ، وَذِكْرِ صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ، وَأُصُولِ الإِيمَانِ الكُلِّيَّةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَذِكْرِ آلَائِهِ تَعَالَى الَّتِي تُحَبِّبُهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَأَيَّامِهِ الَّتِي تُخَوِّفُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ، وَالأَمْرِ بِذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ الَّذِي يُحَبِّبُهُمْ إِلَيْهِ، فَيُذْكَرُونَ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ مَا يُحَبِّبُهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَيُؤْمَرُونَ مِنْ طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ وَذِكْرِهِ مَا يُحَبِّبُهُمْ إِلَيْهِ، فَيَنْصَرِفُ السَّامِعُونَ وَقَدْ أَحَبُّوهُ وَأَحَبَّهُمْ».

ثمَّ يُؤدِّي المسلمون فرضاً من فروض الإسلام يَجهرُ الإمامُ فيه بسُوَرٍ مُذَكِّرة بالحالِ والمآل: الأعلى والغاشية، أو الجمعة والمنافقون.

ولمُحبَّةِ نفوسِ المؤمنين لِوَصْلِ الطَّاعةِ بأُخْرَى يوم الجمعة، نَهَى النَّبيُّ ﷺ عن وَصْل صلاة الجمعة بنافلةٍ بعدَها؛ قال معاوية رضي الله عنه: «إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلَا تَصِلْهَا بِصَلَاةٍ حَتَّى تكلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا بِذَلِكَ: أَنْ لَا تُوصَلَ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ» (رواه مسلم).

وبعد صلاة الجمعة يَنصرفُ النَّاسُ إلى معاشهم وفرحهم بذلك اليوم، فشرع النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام سُنَّة الجمعة في المسجد بعدَها أربعاً بسلامين، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ؛ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعاً**» (رواه مسلم)، ومَنْ صلَّى في بيته النَّافلة صلاها ركعتين.

يومُ عبادةٍ وقُربة لا ينقضي بصلاة الجمعة فحسب، بل يُستحب للمسلم أن يقضي ما بقي من يومه في ذِكْر اللَّه وما يُقرِّبه إلى ربه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وآثارُ الطَّاعةِ في يوم الجُمُعةِ تَظْهَرُ إلى

عشرة أيَّام بعده؛ قال ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ - أَوْ: يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ -، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى» (رواه البخاري)، زاد مسلم: «وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

ومَنْ فرَّطَ في خيرات هذا اليوم فاته خيرٌ كثيرٌ، وَمَنْ ترَكَ الجمعةَ تهاوناً طَبَعَ اللَّهُ على قلبِه، وكان من الغافلين؛ قال ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ» (رواه مسلم)، ولِعَظيمِ حُرْمةِ تَرْكِها هَمَّ ﷺ بإحراقِ بيوتِ مَنْ يفعلُ ذلك، وقال ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فللجُمُعةِ خصائصُ على سائر الأيَّام، وهو مِنحةٌ من اللَّه لهذه الأمة، وميدانٌ فسيحٌ للتنافس في الأعمال الصَّالحة، فعلى المسلم أن يُعَظِّمَه ويَعْتَزَّ به، وأَنْ يتفرَّغَ فيه للعبادة، ويَصونَ نفسَه من كلِّ خطإٍ وإثم، ومَنِ اغْتَنَمَ هذا اليوم وُفِّقَ - بفضل اللَّه - سائرَ أيَّامِ الأسبوع.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الجمعةُ عيدُ المسلمين من كلِّ أسبوعٍ؛ لذا لا يُخَصُّ وحدَه بصوم؛ قال ﷺ: «**لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ؛ إِلَّا يَوْماً قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ**» (متفق عليه).

ويومُ الجمعةِ لا يُخَصُّ بما لم يَرِد فيه فضْلٌ في الكتاب والسُّنَّة؛ قال ﷺ: «**لَا تَخْتَصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ، وَلَا لَيْلَتَهَا بِقِيَامٍ**» (رواه مسلم).

وشرفُ هذا اليوم وجميعُ الدِّينِ إنَّما عُرِفَ من طريق النَّبيِّ ﷺ، فهو الواسطةُ بيننا وبين اللَّه في الرِّسالة، ومن الوفاء للنَّبيِّ ﷺ: اتِّباعُه دوماً والإكثار من الصَّلاة عليه يوم الجمعة؛ قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ؛ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» (رواه أبو داود).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خَصَائِصُ المَسَاجِدِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

فاضَلَ اللَّهُ بين خَلْقهِ واختارَ ما شاء بفضلِه، وتعَبَّدَنا بمعرفة ما جاء النَّصُّ بتفضيلِه وامتثال المشروع، وللمسلم في هذا باعِثٌ على السَّبْق إلى الفضائل والتَّنافسِ على أعلى المراتب، ومَنشَأُ التَّفاضُلِ بين الخلقِ: التقوى وتحقيقُ العبودية، وأفرادُ الجنسِ الواحدِ يتفاوَتُون في ذلك تفاوُتاً كبيراً؛ قال الرَّسولُ ﷺ عن رجُلَين: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» (رواه البخاري).

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والأرضُ منازلُها على قَدْر ذلك، وأحبُّها إلى اللَّه مواطِن عبوديَّته؛ قال الرَّسول ﷺ: «أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى اللَّهِ: مَسَاجِدُهَا» (رواه مسلم)، وذلك لِمَا خُصَّتْ به من العبادات والأذكار، واجتماعِ المؤمنين، وظهورِ شعائِرِ الدِّين.

وأشرفُ المساجد وأعظمُها: المسجدُ الحرام، أوَّلُ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض، وهو مَنارةُ هدايةٍ للنَّاس: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، أوجبَ اللَّهُ حجَّهُ والطَّواف به، وجعَله قِبلةً لعباده المؤمنين، والصَّلاةُ فيه خيرٌ من مئة ألفِ صلاةٍ فيما سِواه.

وثاني المساجدِ فضلاً: مسجِدُه ﷺ، مسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوَى من أوَّلِ يوم، وصلاةٌ فيه «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ؛ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ»، وهو آخرُ مسجدٍ بناه نبيٌّ.

والمسجدُ الأقصى أُولَى القِبْلَتَين، ومَسْرَى رسولِ اللَّه ﷺ، وُضِعَ في الأرض بعد المسجدِ الحرام.

وإلى هذه المساجدِ الثَّلاثةِ تُشدُّ الرِّحالُ دون سِواها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى» (متفق عليه)، قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا سِوَى هَذِهِ المَسَاجِدِ لَا يُشْرَعُ السَّفَرُ إِلَيْهِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ العِلْمِ».

ومَسجدُ قُباءٍ أُسِّسَ على التَّقوى من أوَّلِ يومٍ، وكان النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام

يأتِيه كلَّ سبتٍ ماشِياً وراكِباً، و«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ» (رواه ابن ماجه).

وليس في الأرض مسجِدٌ له مزيدُ فضلٍ سِوى الثَّلاثةِ المساجِد ومسجِد قُباء، وما سِوى ذلك فلها حكمُ سائرِ المساجد.

المساجِدُ بيوتُ اللَّهِ أضافها لنفسه تشريفاً وتكريماً، وأكثَرَ من ذكرها، عُمَّارُها هم صفوةُ الخلق من الأنبياء وأتباعهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، وحين وصَلَ النَّبيُّ ﷺ إلى قُباء بنى مسجدَها، ولما نزَلَ المدينةَ بنى مسجِدَه.

جعَلَ اللَّه من مقاصِد سُنَّةِ التَّدافُع بين النَّاسِ: سلامتَها وحفظَها؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

بناؤُها قُربةٌ وعبادةٌ؛ وعَدَ اللَّه مَن بنَاها بالجنَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً لِلَّهِ؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ مِثْلَهُ» (متفق عليه)، قاصِدُها أجرُه عظيم؛ «كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً» (رواه مسلم)؛ بل ورجُوعُه منها إلى بيته يُكتَبُ له مثلُ ذلك؛ قال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ: «أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ» (رواه مسلم).

ومِن الرِّباطِ: كثرةُ الخُطا إليها، وانتظارُ الصَّلوات فيها، و«مَنْ غَدَا

إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ؛ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (متفق عليه)، و«أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْراً فِي الصَّلَاةِ: أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًى، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِي يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ» (متفق عليه).

ومن أسبابِ مغفِرة الذُّنوب المشيُ إليها، قال الرَّسول ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ، أَوْ مَعَ الجَمَاعَةِ، أَوْ فِي المَسْجِدِ؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ» (رواه مسلم).

لزُومُها ومحبَّتُها من أسباب الهدايةِ والصَّلاحِ، ومن السَّبعةِ الذين يُظلُّهم اللَّه في ظلِّه يوم لا ظِلَّ إلَّا ظلُّه: «رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ» (متفق عليه)، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعناه: شديدُ الحُبِّ لها، والملازمةِ للجماعة فيها»، و«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ المَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» (متفق عليه).

المساجدُ مُعظَّمةٌ في سالِفِ الأمم، أمَرَ اللَّه إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بتطهير المسجد الحرام؛ فقال: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وامرأةُ عِمرَان نذَرت ما في بطنِها لخدمةِ المسجِد الأقصى: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾، والإسلامُ أعلى مكانَتَها وعظَّمَ مَن يقومُ بخدمَتِها؛ سأل النَّبيُّ ﷺ عَنِ

امْرَأَةٍ كَانَتْ تَقُمُّ مَسْجِدَهُ - أَيْ: تُنَظِّفُهُ -، «فَقَالُوا: مَاتَتْ، فَقَالَ: **دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا**، فَدَلُّوهُ؛ فَصَلَّى عَلَيْهَا» (متفق عليه)، ولما بالَ أعرابيٌّ في المسجِدِ أمَرَ الرَّسولُ ﷺ بذَنُوبٍ من ماءٍ، فأُهْرِيق عليه، ثم علَّمَه حُرمَتَها، وقال له: «**إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ**» (رواه مسلم).

ومن آداب المساجِدِ: أَخْذُ الزِّينةِ لها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، ومِنْ تعظيمها: لزومُ السَّكينَةِ والوَقارِ في الهيئة والمِشيَةِ إليها؛ قال الرَّسول ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ؛ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**» (متفق عليه)، وإذا وصَلها؛ تشريفاً لها يُقدِّم رِجله اليُمنَى عند دخولها، ولكونِها موطِنَ عبادةٍ ورحمةٍ ودُعاء؛ إذا دخَلها قال: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وإذا خرَجَ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**» (رواه مسلم)، وتحيَّةً لها؛ فمَنْ دخَلَها لا يجلسْ حتى يُصلِّيَ ركعتين.

والأذانُ للصَّلاة عِصمةٌ وأمان؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ لِلْأَذَانِ فِي الغَزْوِ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَاناً أَمْسَكَ، وَإِلَّا أَغَارَ» (متفق عليه).

والصُّفوفُ المُقدَّمةُ فيها يتنافَسُ إليها السَّابِقُون، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ؛ لَاسْتَهَمُوا**» (متفق عليه)، واحتراماً لفريضة الصَّلاة: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المَكْتُوبَةُ**».

وبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ الحكمةَ من عِمارة المساجِد بقوله: «**إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ**» (رواه مسلم)، وإحياؤُها يكونُ بالذِّكرِ والعلم؛ قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾، وأثنَى اللَّه على مَنْ عَمرَها بالطَّاعةِ، ووصفهم بأنَّهم: رجالٌ عصَمَهم اللَّه من فتنةِ الدُّنيا: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾؛ بل وشهِدَ لهم بالإيمانِ والهدايةِ؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

والملائكةُ تشهدُ المساجِدَ وتستمعُ للخُطب وتحُفُّ مجالسَ العلم فيها، و«**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» (رواه مسلم).

وتلقِّي العلم فيها خيرٌ من متاع الدُّنيا؛ قال الرَّسول ﷺ: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ** - أَيْ: يَتَعَلَّمُ -، **أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**» (رواه مسلم)، وقد اتَّخذَ النَّبيُّ ﷺ من مسجدِه موطِناً للتَّعليم؛ فأثمَرَ جيلاً لا كان ولا يكون مثله، وكان يَحُثُّ على الإقبالِ على حِلَقِ الذِّكر والعلم فيه؛ فقال عن ثلاثة نَفَر: «**أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ؛ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا؛ فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ**» (متفق عليه).

المَساجِدُ تهدأُ فيها الرُّوحُ وتسكُنُ، فلا يُرفعُ فيها صوتُ نزاعٍ أو خُصومةٍ أو لغط؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ** - أَيْ: لَا تَكُونُ فِي المَسَاجِدِ -» (رواه مسلم)، ولمَّا سمِعَ عُمر رضي الله عنه رجُلَين يرفعَان أصواتَهما في المسجد دعَا بهما، ثمَّ قال: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا؛ تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!» (رواه البخاري)، وهي مكانُ الأَمْنِ والأَمَان والطُّمأنينة؛ قال الرَّسول ﷺ: «**مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بِنَبْلٍ؛ فَلْيَأْخُذْ عَلَى نِصَالِهَا، لَا يَعْقِرْ بِكَفِّهِ مُسْلِماً**» (متفق عليه).

وتعظيماً لشأنِ المُتعبِّدِ فيها: لا يُؤذَى ولو باللَّمس؛ جاء رجلٌ يتخطَّى رقابَ النَّاس يوم الجمعة، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**اجْلِسْ! فَقَدْ آذَيْتَ**» (رواه أبو داود)؛ بل لا يُؤذى بشمِّ رائحةٍ يكرهُها، وعاقبَ النَّبيُّ ﷺ مَنْ كان ذا رائحةٍ كريهةٍ أن لا يدخلَ المسجدَ؛ قال الرَّسول ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا** - أَوْ: **لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا** -، **وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ**» (متفق عليه)، قال ابنُ الأَثِير رحمه الله: «لَيسَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الأَعْذَارِ، وَإِنَّمَا أَمرَهُمْ بِالِاعْتِزَالِ عُقُوبَةً لَهُمْ وَنَكَالاً».

وهي موطِنُ الرَّاحةِ وتذكُّرِ الآخرة، وتقويةِ الصِّلَة باللَّهِ، والبُعدِ عن الدُّنيا، فنُهِيَ عن البيع والشِّراء فيها وزُجِرَ عن ذلك؛ قال الرَّسول ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ؛ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ**» (رواه الترمذي)؛ بل نهَى عن إشغالِ النَّاس بهمُوم الدُّنيا؛ فقال: «**مَنْ**

سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ؛ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا» (رواه مسلم).

ولكونِ المسجدِ مُنطَلَقَ السَّعادةِ والسَّدادِ؛ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ؛ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ» (متفق عليه).

وأوَّلُ واجبٍ على كلِّ عبدٍ: إخلاصُ دينه للَّه، وأن لا يدعُوَ في المساجد أو غيرِها سِوى اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وهي محلُّ انتفاع الأحياءِ بها، وإدخالُ القبورِ فيها يُنافِي ذلك ووسيلةٌ إلى عبادةِ غيرِ اللَّه.

والمعصيةُ قبيحةٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وتزدادُ قُبحاً في بيوتِ اللَّه - من الغِيبة، والنَّظرِ إلى الحرام، وسماعِ أصواتِ المعازِفِ في وسائلِ الاتِّصال -.

ومن مقاصِدِ الشَّريعة في المساجد: ائتِلافُ القلوب واجتِماعُ الكلِمة، فلا يجوز أن يُتَّخذَ منها أو فيها فُرقةٌ واختلافٌ؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ومَنْ بنَى أبنيةً يُضاهِي بها المساجدَ من المشاهِدِ ونحوِها؛ فهي كمسجِدِ الضِّرار وأشدَّ، ومن أصولِ الدِّين: أن لا تُخصَّ بُقعةٌ بقصدِ العبادة فيها إلَّا المساجدَ خاصَّة، والمساجِدُ جميعُها تشترِكُ في العباداتِ إلَّا ما خُصَّ به المسجد الحرام من الطَّوافِ.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالمساجِدُ عِزُّ المسلمين وشرَفُهم وشعارُ دينِهم، وَمَن عَمَرَها بالصلاة فيها والذكرِ؛ رفَعَه اللَّه وأسعَدَه وشرَحَ صدرَه، وتعليمُ الكتابِ والسُّنَّةِ فيها امتِثالٌ لأمرِ اللَّه ببنائها وإحياءٌ لسُنَّة المرسلين فيها، وبركةٌ في الوقتِ والعملِ، وصلاحٌ للنَّفسِ والولدِ، ومن حُرِم فيها من الخيرِ أو صدَّ عنها فقد فاتَهُ فضلٌ عظيم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

صلاةُ الجماعة في المساجِد من شعائِر الإسلام ومن الواجِبات، وقد همَّ النَّبيُّ ﷺ بإحراقِ مَنْ تخلَّفَ عنها، وعُدَّ تَرْكُها من صفاتِ المُنافقين، ولم يأذَن النَّبيُّ ﷺ لرجُلٍ أعمى لا قائِدَ له أن يتخلَّف عنها.

والإسلامُ شامِخٌ عزيزٌ بمساجِده وأحكامه وبالمؤمنين، إن حُورِب اشتدَّ، وإن تُرِك امتدَّ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ** - أَيْ: أَمْرُ الإِسْلَامِ - **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْت مَدَرٍ** - أَيْ: بَيْتاً فِي مَدِينَةٍ - **وَلَا وَبَرٍ** - أَيْ: بَيْتاً مِنْ شَعرٍ فِي بَادِيَةٍ -؛ **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذا الدِّينَ**» (رواه أحمد)، أي: سيدخلُ اسمُ الإسلام جميعَ بيوت الأرض مِنْ حاضرةٍ وبادية، ولن يستطيعَ أحدٌ أن يمنعَ ظهورَه؛ قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شُعَاعَ الشَّمْسِ أَوْ نُورَ القَمَرِ بِنَفْخِهِ، وَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ وَيَظْهَرَ؛

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾».

وما يَتوالَى على المسلمين مِنْ فِتنٍ، وحروبٍ، ودمارٍ، وتشريدٍ، وتسليطِ الأعداء؛ تذكيرٌ بالرُّجوعِ إلى اللَّهِ والمساجِد، والصَّلواتِ، والقرآن؛ قال سبحانه: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقد وعَدَ اللَّه بنصرِ المؤمنين وإن ضعُفَت الأسبابُ أو تخَّلَفت؛ فنصَرَ سبحانه المسلمين في بدرٍ وهم قِلَّة، واجتمَعَ المشركون من كلِّ مكانٍ لمحاصرة النَّبيِّ ﷺ وقتالِهِ، فأرسلَ اللَّهُ عليهم يوم الأحزابِ ريحاً وجنوداً لم يرَوها، فتفرَّق المشركون وخُذِلُوا.

واللَّهُ قادِرٌ على نصرِ عبادِه المؤمنين، ولحكمةِ الابتِلاء لهم قد يُدِيلُ عليهم الأعداءَ لينالَ المسلمون الشَّهادةَ، والصَّبرَ على المُصاب، والتَّعلُّقَ باللَّهِ؛ قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾، وقال سبحانه عن أعدائِهم: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

والدُّعاءُ سلاحُ المؤمنين في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والطَّاعةُ تَجلِبُ النَّصرَ وتُعجِّلُ به، وإذا اشتدَّ الكربُ وعظُمَ الخَطبُ أتَى الفرَجُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

النَّـــوَافِـــلُ

فَضَائِلُ قِيَامِ اللَّيْلِ[(١)]

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّهِ مَنارُ الهدى، والإعراضُ عنها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ الخلق لعبادتِه، وهو سبحانَه غَنيٌّ عنهم ولا غِنى لهم عنه؛ ولحاجتِهِم إليه أوجبَ عليهم عبادَتَه، فأوَّلُ أمرٍ في كتابه هو الأمرُ بعبادَتِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، وأمر الرُّسلَ بالعملِ الصَّالح؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾، وقال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ﴾، وقال لنبيِّنا مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر جمادى الأولى، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وكلُّ رسولٍ قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، ومن الميثاق الذي أُخِذَ على بني إسرائيل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وأمرَ اللَّهُ قريشاً بالتَّعبُّد فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾، وأمرَ المؤمنين به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾، ووَصفَ اللَّهُ صحابةَ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ بكثرةِ التَّعبُّد؛ وظهرَ أَثَرُ ذلك على جَوارِحِهِم، فقال في وصفِهِم: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

وشرفُ العبد في عبوديَّتِه للَّه؛ ولمنزلتِها دعا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه أن يكونَ من أهلها، فقال: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وكان نبيُّنا ﷺ إذا رفع رأسَه من الرُّكوع قال: «**أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ**» (رواه مسلم).

وكلُّ مسلمٍ يُعاهِدُ ربَّه كُلَّ يومٍ في الصَّلاة المفروضةِ سبعَ عشرةَ مرَّةً على عبادتِه وحده، يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وعبادةُ اللَّه وحدَه سببُ دخولِ جنَّاتِ النَّعيم دونَ ما سوَاهَا من الأسباب، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه).

ومن فضل اللَّهِ على عبادِه أن نوَّعَ لهم العبادات؛ فشرعَ لهم صلاةً لا أفضلَ منها بعد الفريضة؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، واللَّه يُحبُّها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ: صَلَاةُ اللَّيلِ**» (متفق عليه)، وأداؤُها بإخلاصٍ من علامةِ

التَّقوى؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۞ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، وهي مكفِّرةٌ للسَّيِّئاتِ ماحيةٌ للخطايا؛ قال ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ** - أَيْ: تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ -» (رواه الترمذي)، وهي سببُ رحمةِ اللَّه للعبد؛ قال ﷺ: «**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَصَلَّى**» (رواه أبو داود).

وهي من العباداتِ التي تؤدَّى لِشُكر نِعَم اللَّهِ الوافرة؛ كانَ النَّبيُّ ﷺ «يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، وَيَقُولُ: **أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً**» (متفق عليه)، وأقربُ ما يكون الرَّبُّ من العبد في جوف اللَّيل؛ قال ﷺ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**» (رواه الترمذي).

وصلاةُ اللَّيل عاصمة - بإذن اللَّه - من الفتن؛ قالت أُمُّ سلمة رضي الله عنها: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعاً، يَقُولُ: **سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ؟! مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ** - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ -، **رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ**» (رواه البخاري).

فيها انشراحُ الصَّدرِ وراحةُ البالِ وسرورُ القلب، قال ابنُ حَجرٍ رحمه الله: «فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ سِرٌّ فِي طِيبِ النَّفْسِ»، وهي من أسبابِ دخولِ الجنَّة؛ قال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا

رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، قال عبدُ اللَّه بن سَلَام ﵁: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه الترمذي)؛ بل مَنْ أدَّاها كان في أعلى منازلِ الجنَّة؛ قال ﵊: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» (رواه الترمذي).

واللَّهُ أمرَ رَسوله ﷺ أن يتعبَّدَه بتلك الصَّلاة؛ لينالَ أعْلَى المَقَامات؛ قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾؛ فكان ﵊ لا يتركُها سفراً ولا حضراً، وأُمِرَ النَّبيُّ ﷺ أن يُحييَ بتلكَ العبادةِ نصفَ اللَّيل أو يزيدَ أو ينقصَ عنه قليلاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، قالت عائشةُ ﵂: «وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلَّا رَأَيْتَهُ» (رواه البخاري)، وقرأ ابنُ عمرَ ﵄: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، فقال: «ذَاكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ»، قال ابنُ كثيرٍ ﵀: «وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ صَلَاةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بِاللَّيْلِ وَقِرَاءَتِهِ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا قَرَأَ القُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ».

وأحبُّ الأعمالِ ما دوامَ عليه صاحبُه وإن قلَّ، وصلاتُها في البيتِ أفضل؛ «**خَيْرُ صَلَاةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ؛ إِلَّا الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ**» (متفق عليه).

وقيامُ اللَّيلِ كما هو مسنونٌ للرِّجالِ فهو سنَّةٌ أيضاً للنِّساءِ؛ طَرَق النَّبيُّ ﷺ ابنتَه فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وزوجَها عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلاً، وقال لهما: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟!» (متفق عليه)، قال الطَّبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْلَا مَا عَلِمَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ عِظَمِ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، مَا كَانَ يُزْعِجُ ابْنَتَهُ وَابْنَ عَمِّهِ فِي وَقْتٍ جَعَلَهُ اللَّهُ لِخَلْقِهِ سَكَناً، لَكِنَّهُ اخْتَارَ لَهُمَا إِحْرَازَ تِلْكَ الفَضِيلَةِ عَلَى الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ».

ودعا النَّبيُّ ﷺ بالرَّحمة لمن أيقظَ أهله لِيُصلِّيا؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ» (رواه أبو داود)، و«كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلَاةَ! الصَّلَاةَ! وَيَتْلُو: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾» (رواه مالك).

وصلاةُ اللَّيلِ رِفعةٌ للشَّابِّ كما هي نورٌ ووقارٌ للكبير؛ قال النَّبيُّ ﷺ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وكان إذْ ذاكَ شابّاً -: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ! قَالَ - ابْنُهُ - سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ يُوصَفُ بِكَوْنِهِ نِعْمَ الرَّجُلُ»، وحذَّر النَّبيُّ ﷺ عبدَ اللَّهِ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنْ يترُكَ قيامَ اللَّيلِ وهُوَ غُلَامٌ، فقال له: «يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (رواه البخاري)، وكان السَّلفُ يُحْيُونَ اللَّيلَ وهُمْ صِغار، قال إبراهيمُ بن شمَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنْتُ أَرَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يُحْيِي اللَّيْلَ وَهُوَ غُلَامٌ».

ولشرفِ اللَّيلِ أنزلَ اللَّه كتابَه فيه، وتلاوتُه باللَّيلِ من أسبابِ إتقانِ حِفْظِه؛ قال ﷺ: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ القُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ» (رواه مسلم)، وممَّا يُغبَط عليه المرءُ قيامُه بالقرآن ليلاً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» (متفق عليه).

وقراءةُ القرآنِ في صلاةِ اللَّيل مُعينَةٌ على فهمِه وتدَبُّره؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾، وثوابُ التِّلاوةِ في اللَّيلِ مضَاعَف؛ فقلِيلُها يُزيلُ عن العبد اسمَ الغَفْلة، ووسطُها يكسُوه نَعْتَ القَانتين، وكثيرُها يَجلبُ القَناطيرَ من الأجور، قال ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ» (رواه أبو داود).

وشأنُ الدُّعاءِ في اللَّيلِ عظيم؛ «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (رواه مسلم)، وفي الثُّلثِ الأخيرِ من اللَّيل ينزل ربُّنا إلى السَّماءِ الدُّنيا، ويقول: «مَنْ يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؛ فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه).

ومن استيقظَ من اللَّيلِ فقال ذِكْراً ودَعَا استُجيب له، فإنْ صلَّى قُبلَت صلاتُه؛ قال ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ - أَي: اسْتَيْقَظَ -، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ

أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (رواه البخاري).

وتَعلُّقُ القلوبِ باللَّهِ في آخرِ اللَّيل أَرْجَى، وتنزيهُ اللَّهِ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ بالتَّسبيحِ في جوفِ اللَّيل من التقوى، والاستغفارُ خيرُ ما يَختِمُ به العبدُ أعمالَ ليلِه، قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، وقال كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «أَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا - أَي: الَّذِينَ خُلِّفُوا - عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ» (رواه البخاري).

وكلُّ اللَّيلِ - من بعدِ صلاةِ العِشاءِ إلى الفجر - زمنٌ لصلاةِ اللَّيل، وأقلُّه ركعةٌ ولا حدَّ لأكثرِه، وآخرُ اللَّيلِ أفضلُه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «صَلَاةُ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ» (رواه مسلم).

ولأهميَّةِ قيامِ اللَّيلِ: مَنْ نامَ عنه شُرِعَ له أن يقضيَه، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» (رواه مسلم).

وقراءةُ أذكارِ النَّومِ مُعِينةٌ للاستيقاظِ إلى صلاةِ اللَّيل، والسَّهَرُ قد يَمنَعُ قيامَ اللَّيل، وإن قامه أفقدَه الخشوعَ فيه، ومَنْ نامَ على معصيةٍ لم يَقُمْ في الأغلبِ إلى الطَّاعةِ.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالدُّنيا زمنُها قصير، والمُكثُ فيها يَسير، واللَّيلُ بما فيه من صَلاةٍ وتلاوةٍ ودُعاءٍ وتسبيحٍ واستغفارٍ مِنْ خيرِ ما يَعْمُرُ به المُسلمُ آخرتَه، ومِنْ

أعظمِ ما يدَّخرُه من الأعمالِ الصالحةِ للقاء ربِّه، واللَّبيبُ مَنْ يَغْتَنِمُ آخرَ اللَّيلِ لإصلاحِ دينِه ودُنياه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مِمَّا يَجلبُ الرِّزق: قيامُ اللَّيل، وكثرةُ الاستغفارِ بالأَسْحَار، وتَعاهُدُ الصَّدقةِ، والذِّكرُ أوَّلَ النَّهار وآخرَه.

وشرفُ المؤمنِ قيامُه باللَّيل، قال سعيدُ بنُ المسيَّب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُومُ اللَّيْلَ فَيَجْعَلُ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ نُوراً يُحِبُّهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»، وقيامُ اللَّيل عزيزٌ وهو أوَّلُ ما يُفقَدُ من العبادة، قال ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَوَّلُ مَا يَنْقُصُ مِنَ العِبَادَةِ: التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ»، والمُؤمنُ يَدَّخرُ ساعةً من ليلِه للتَّهجُّد، ويَغْتَنِمُ نهارَه بعباداتٍ أُخْرَى ويَنْفعُ الخلْق.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب السَّابِع

الــزَّكــاة

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : الزَّكاة.

الفصل الثَّاني : الصَّدقة.

الفصل الأوَّل

الزَّكَـاةُ

الزَّكَاةُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبالتَّقوى تَسْتَنِيرُ البصائرُ والقلوبُ، وتُحَطُّ الخطايا والذُّنوب.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الثَّقلَيْن لعبادتِه، وهو سبحانه غنيٌّ عنهم، ولا غِنَى للخلقِ عنه، فهو الَّذي يكشف ضُرَّهم، وهو الَّذي ينفعُهم؛ ولحاجتهم إليه أوجب عليهم عبادتَه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والإسلامُ بُنِيَ على أركانٍ قامَ عليها، فالشَّهادتان أوَّلُها، والصَّلواتُ المفروضةُ ثانيها، والزَّكاةُ ثالثُ أركانِ الإسلام العظام، وهي قرينةُ الصَّلاةِ في كثيرٍ من آيِ القرآن، وعيسى عليه السلام

(١) أُفردت من خطبٍ أُلقِيَتْ في المسجد النَّبويِّ.

تكلَّم بها وهو في المَهْدِ فقال: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، وأثنى على إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأمرِه أهلَهُ بِها: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

ولِعظيمِ قدرِها أوجبَها اللَّهُ على أنبيائِه ورُسُله؛ فأوحى إلى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ بإقامتِها؛ فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، وهي من الميثاق الذي أُخِذَ على الأمم السَّابقة؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وأُمِر بها النِّساء: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

وكان النَّبيُّ ﷺ يأمرُ بها في أوائل دعوته، قال هرقلُ لأبي سفيانَ: «بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ - يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ -: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالعَفَافِ» (متفق عليه)، ووصَّى النَّبيُّ ﷺ بها أُمَّته، أتى أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؛ قَالَ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» (متفق عليه)، أحبَّها الصَّحابة فكانوا يؤدُّونها، وبايَعُوا النَّبيَّ ﷺ عليها، قال جريرُ بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (متفق عليه).

وهي من أُسُسِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ لوفد عبد القيس: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ باللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ**» (متفق عليه)، هي أمانٌ لِمَنْ كان مشركاً ثُمَّ أسلَمَ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، وعصمةٌ للدِّماء والأموال؛ قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» (متفق عليه).

وهي مُوجِبةٌ للأُخُوَّة في الدِّين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، وفيها تقوى أواصرُ المَودَّةِ بين المُسلِمين، وفيها اسْتجلابُ البَركةِ والزِّيادةِ والخُلْفِ من اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، وبها نقاءُ النُّفوس وزكاؤُها؛ قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، والنَّجاةُ من النَّار جزاءُ مَنْ زكَّى نفْسَه بمالِه؛ قال ﷻ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۞ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، تَقِي المَرْءَ من عقوبات الذُّنوب، وتَصْرِفُ عنه عظيم المصائب والكروب، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

في الزَّكاةِ سُموٌّ بالأرواحِ والأخلاق بالجُود والسَّخاء، وبها يكْتَملُ العَدلُ ويعُمُّ الرَّخاء، ويَسعدُ الفُقَراء، وهي حِلْيةُ الأغنياء، وزِينةُ

الأتقياء، ووصيَّةُ الأنبياء، أداؤُها برهانٌ على صِدْقِ الإيمان، ودليلٌ على صفة الإحسان، وسببٌ من أسباب نيلِ الرِّضوان، وأَمَارَةُ الفلاح، وبُرهانٌ على اليقين، وهي حقٌّ من حقوق الفقراء، يُعطيها الغنيُّ لهم بلا مَنٍّ ولا إذْلال، يُكمِّل المرءُ بها دينه، ويَحفظُ بها مالَه.

وبها يَقرُبُ العبدَ من الجنَّة ويُباعَدُ من النَّار؛ جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **لَقَدْ وُفِّقَ** - أَوْ: **لَقَدْ هُدِيَ** -، قَالَ: **كَيْفَ قُلْتَ؟** قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**» (متفق عليه).

مَن أخرَجَها طيِّبةً بها نفْسُه؛ أذاقَه اللَّه حلاوةَ الإيمانِ وطعْمَه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ انْشَرَحَ لَهَا قَلْبُهُ، وَانْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ، وَقَوِيَ فَرَحُهُ، وَعَظُمَ سُرُورُهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا هَذِهِ الفَائِدَةُ وَحْدَهَا؛ لَكَانَ العَبْدُ حَقِيقاً بِالاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَالمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا».

ولأهمِّيَّة الزَّكاةِ تولَّى اللَّهُ ذكرَ مَصارِفَها، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ فلا يجوزُ صرفُها لغيرِ مَن ذكر اللَّه.

والوَعيدُ جاء في حقِّ من بَخِلَ بها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾، وقال الرَّسولُ ﷺ: «مَنْ آتاهُ اللَّهُ مالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَهُ؛ مُثِّلَ لَهُ مالُهُ شُجاعاً أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ يأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ -، ثم يَقُولُ: أَنا مالُكَ، أَنا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾» (رواه البخاري).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فعبادةُ الزَّكاةِ نعمةٌ خصَّ اللَّهُ بها الغَنيّ، فلْيَفرحْ بها، ولْيُخرجْها طيِّبة بها نفسه، فإنَّها ترضي الرَّحْمن، وتُنمِّي المال، وتَحفُظه من الآفاتِ والكساد.

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

من الزَّكاةِ تُقْضَى دُيونُ الفقراء والمساكين، وتُدفَعُ بها حاجاتهم، ويُعانُ المسافرُ المُنقَطِع، وتَتَألَّفُ القلوب، وهي مُدَّخَرةٌ عند اللَّه، قَرْضاً مُضاعَفاً للغنيِّ؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فتَوَاضَعْ للمِسْكِين، وابذُلْ له مالاً، وادْنُ منه، واحْنُ عليه، ولا تَحْتَقِر فقيراً، فإنَّ أكثرَ أهلِ الجنَّةِ همُ الفُقَرَاء، وأَنفِقْ بكرَمِ يدٍ وسَخاوةِ نَفْسٍ؛ يُبَارَكْ لك في المالِ والوَلد، والصَّدقةُ دواءُ الأمراضِ والأعراض، فابتغوا الضُّعفاءَ والمحاويج، وابذُلوا تُرزَقوا، وارْحَمُوهم تُرحَموا، فما اشْتَكى فقيرٌ إلَّا مِنْ تقصيرِ غنيٍّ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الصَّدَقَةُ

فَضْلُ الصَّدَقَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

المالُ يَتَقَلَّبُ بأيدي العباد ولا يبقى على حال، ومَنْ لم يَتحوَّلْ عنه المال؛ تحوَّل هو عنه بالرَّحيل، قال سبحانه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، وهو فتنةُ هذه الأمَّة، قال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**» (رواه الترمذي).

المالُ صاحِبٌ لا يُؤْمَن أَنْ يَنْقَلِبَ عَدُوّاً فيَحرِمُ صاحبَه الثَّواب، وإنَّما يُحْمَدُ صاحبُ المالِ إذا قرُبَ من الخيرِ والفقير؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**نِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ هُوَ، لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ المِسْكِينَ، وَاليَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ**» (متفق عليه).

---

(١) أُفردت من خطبٍ أُلقِيَتْ في المسجد النَّبويِّ.

وهو كالحَجَر في اليد؛ لا يُنْتَفَعُ به إلَّا إنْ فارَقَ الكفَّ، والمُمْسِكُ يَنْدَمُ إذا دنا أجلُه، قال ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

واللَّهُ فَتَح لعباده بابَ الصَّدقة؛ لِيرضى عنهم، وهي تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّحْمَن، وبرهانٌ على الإيمان، ومن خير الأعمال؛ سُئِل النبيُّ ﷺ: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» (متفق عليه).

وبها تَتضاعفُ الأجور، وتُكَفَّرُ الخطايا والأوزار، قال عليه الصلاة والسلام لمعاذٍ رضي الله عنه: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ** - أَيْ: تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ -» (رواه الترمذي)، وهي تُنمِّي المالَ وتُضاعِفُه؛ قال ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه).

وأَثَرُها يَظهرُ على النَّفس والمال والولد، ويُدفعُ بها البلاء، ويُجلَبُ الرَّخاء، قال ابن القيِّم رحمه الله: «لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ البَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ - خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ -، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ، وَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ».

وأعظمُ الصَّدقةِ أجراً: «**أَنْ تَصَّدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ؛ تَخْشَى**

الفَقْرَ وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ» (متفق عليه)، و«**خَيْرُ الصَّدَقَةِ: مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**» (متفق عليه).

والتَّيسيرُ على المُعسِرين صدقةٌ، ومَنِ اسْتَدَانَ أموالَ النَّاس يُريدُ قضاءَها أدَّى اللَّهُ عنه، و«**إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**» (متفق عليه)، ومن الصَّدقات: سُقْيَا الماءِ، وإطعامُ الطعام، و«**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» (رواه الترمذي)، وكان ابن عُمر رضي الله عنهما يصومُ ولا يُفطِرُ إلَّا مع المساكين.

المُتصدِّق آمنٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وصدقتُه تَعْظُمُ عند اللَّه؛ فالتمرةُ يأخُذُها سبحانه ويُربِّيها حتى تكونَ مِثلَ الجبل.

وإخفاءُ الصَّدقة خيرٌ من إظهارها؛ فهو أبعَدُ عن الرِّياء، إلَّا أَنْ يترتَّبَ على الإظهار مصلحةٌ راجِحةٌ؛ كالاقتِداء بالإنفاق؛ قال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، ومن السَّبعةِ الذين يُظلُّهم اللَّه في ظلِّه: «**رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» (رواه البخاري)، مات زين العابدين رحمه الله فافتقد أهلُ المدينة صدقةَ السِّرِّ، ولَمَّا غسَّلوه وجدوا آثارَ سوادٍ في ظهره ممَّا يحمله على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة.

واللَّه كريمٌ يُحِبُّ الكرم، ونبيُّنا ﷺ «أَجْوَدُ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَهُوَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»، ولا يُسألُ شيئاً إلَّا أعطاه، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ» (متفق عليه)، وكان لا يَستكثِر شيئاً أعطاه ولا يردُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرورُه بما يُعطيه أعظمَ من سرور الآخذِ بما يأخذه.

فابتغوا ذوي المسكنة ولو بالقليل؛ فالقليلُ في جنب اللَّه كثير، واليسيرُ منَ البذلِ يَسْتُرُ منَ النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ! اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ**» (رواه أحمد)، قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَعْرِفُ حَبَّةً تَزِنُ جِبَالَ الدُّنْيَا إِلَّا الحَبَّةَ مِنَ الصَّدَقَةِ»، والبذلُ رِفعة، والسَّخاءُ مَكْرُمة، وكلَّما سَمَتِ النَّفسُ كان البذلُ أعظم، والمرءُ في ظلِّ صدقته يوم القيامة.

واللَّهُ جعلَ لِذي القربى حقّاً في الأعناق، يُوفَّى بالإنفاق؛ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فليس هو تفضُّلاً؛ إنَّما هو الحقُّ الذي فَرَضه اللَّه، و«**إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**» (رواه النسائي)، والصَّدقةُ عليهم ثوابُها مبرورٌ، وأجرُها مضاعفٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ - حين سُئِلَ عن إنفاقِ زينبَ على زوجِها عبدِ اللَّه بنِ مسعودٍ وأيتامٍ لها؛ قال -: «**نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ القَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**» (متفق عليه).

ومَنْعُ الصَّدقةِ خشيةَ النَّفاد تلفٌ للمال، قال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» (متفق عليه)، والمُنفِقُ موعُودٌ بالعِزِّ والمغفِرة.

والعبدُ لا يَنْجُو من الابتلاء إلَّا بالصَّبر والتَّعلُّقِ باللَّه، ومَنْ قَلَّ المالُ في يده فعليه بملازمةِ التَّقوى؛ فبها تتيسَّرُ على المعسِرِ أبوابُ الرِّزق، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وبمداومةِ الاستغفار يُغْدَقُ المالُ؛ قال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أَنفِقُوا من طيِّبِ كسبِكم، واحتسِبُوا عند اللَّهِ أجرَكم، فبالصَّدقةِ بركةُ الأموال وطهارةُ الأنفُس، وكلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقَتِه يوم القيامة، وممَّنْ يُظلُّهم اللَّه في ظلِّ عرشِه: «**رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ**» (رواه البخاري)، والمُؤمنُ لا يَستقِلُّ شيئاً، فرُبَّ درهمٍ سبقَ ألفَ درهَمٍ، ومن جادَ على عبادِ اللَّه؛ جادَ اللَّه عليه بالفضلِ والعطاء، والجزاءُ من جِنسِ العمل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضْلُ النَّفَقَةِ(١)

الحمدُ للَّه مُعِزِّ مَنْ أَطَاعَه واتَّقَاه، ومُذلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَه وعَصَاه، أَحْمَدُهُ حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه، ولا نعبدُ إلَّا إياه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، أصدقُ داعٍ إلى اللَّه، وأَنْصَحُ خلقِ اللَّه لعبادِ اللَّه، اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومَنْ سَلَكَ سبيلَه واتَّبع هداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وأَخْلِصُوا له سِرَّكم وجَهرَكم، وسَارِعُوا إلى مَرْضَاةِ ربِّكم، واغْتَنِمُوا فاضلَ شهركم.

أيُّها المسلمون:

من مقاصد الإسلام: بناءُ مجتمعٍ مُتَراحِمٍ متعاطِف، تَسودُه المحبَّةُ والإخاء، ويُهيمِنُ عليه حبُّ الخيرِ والعَطاء، ودائرةُ الجُود تَتَّسعُ لِمَا تهفو إليه القلوبُ المؤمنةُ من البذل في الخير، والتَّوسُّعِ في إِسْداءِ المعروف، والإسلامُ الحنيفُ قد رغَّب في ذلك ترغيباً يَشرحُ صدرَ

(١) أُفردت من خطبٍ أُلقِيَتْ في المسجد النَّبويِّ.

الكريم، ويُعالجُ شُحَّ اللئيم، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»، إنْ أنفقَ أجزل، وإنْ مَنحَ أغدق، وإنْ أعطى أَعْطَى عطاءَ من لا يخشى الفَاقَة، ما سُئِل شيئاً إلّا أعطاه، ما ردَّ سائلاً إلّا أَنْ لا يَجدَ شيئاً، وندَبَ ﷺ الصَّحابة ﷺ إلى الصَّدقة، فبذَلُوا نفيسَ أموالهم؛ فأنفقَ عمرُ بن الخطَّاب ﷺ نصفَ مالِه، وأنفقَ أبو بكر الصِّدِّيقُ ﷺ مالَه كلَّه، وقال ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ؛ فَلَهُ الجَنَّةُ؛ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ ﷺ» (رواه البخاري)، ونزَلَ قولُ اللَّه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فقام أبو طلحةَ ﷺ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ» (متفق عليه)، باليسير من النَّفقة مع الإخلاص نجاةٌ من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «اتَّقُوْا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (متفق عليه).

المالُ لا يذهبُ بالجود والصَّدقة، إنما هو قرضٌ حسنٌ مضمونٌ عند الكريم، ويُخْلِفُ الله بدلَه، قال الرَّسولُ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ؛ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» (متفق عليه)، وأَيْقِنْ بالغِنَى من الكريم، قال الرَّسولُ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» (متفق عليه)، وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» (رواه مسلم).

والمالُ وَدِيعةٌ في يدك، ليس لك منه إلَّا ما أكلْتَ فأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأَبْلَيْت، أو تصدَّقتَ فأَمْضَيْتَ؛ فتواضعْ للمسكين، وابْذُل له مالاً، وادْنُ منه، واحْنُ عليه، ولا تَحْتَقِرْ فقيراً؛ فإنَّ أكثرَ أهل الجنَّةِ هم الفقراء.

ومَنْ جادَ على عباد اللَّه جادَ اللَّه عليه، ومَنْ فُتِحَ له بابُ خيرٍ فلْيَنْتَهِزْه فإنَّه لا يَعلمُ متى يُغْلَقُ دونه، وإن استطعت أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ فافعل، لَمَّا مات زينُ العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ افتقد أهلُ المدينة صدقَة السِّرِّ، ولَمَّا غَسَّلوه وجدوا آثار سواد في ظهره ممَّا يَحْمِلُه على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة.

المُنفِقُ تَتَيسَّرُ له أُمُورُ الحياة؛ قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾، وموعودٌ بالمغفرة والغِنى؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾؛ بل إنَّ النَّفقة مُخلَفَة؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

والإنفاقُ يُفرِّجُ الكروب، لمَّا نَزَلَ الوَحْيُ على النَّبيِّ ﷺ أوَّلَ ما نَزَلَ، قال لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ: كَلَّا؛ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبداً، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه)، ويَمْتَدُّ نَفعُها إلى تفريجِ كُرُوبِ المَحْشَر، فيكونُ المُتصدِّقُ في ظلِّ صَدَقتِه

يوم القيامة، ومَنْ أَخْفَى صدقته - ولَوْ قلَّت -؛ أَكْرَمَهُ اللَّه بظلٍّ آخرَ غير ظلِّ صدقتِه، وهو ظلٌّ تحتَ العرش.

والغنيُّ المُنفِق يَسبقُ غيرَه بالأجور، قال بعض الصَّحابة ﵃ لرسول اللَّه ﷺ: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ» (رواه مسلم)، والمُوفَّقُ مِنَ الأغنياء من بَنى آخِرتَه بالسَّخاء والعطاء مع التَّقوى، وقد سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ، تَأْمُلُ الغِنَى وَتَخْشَى الفَقْرَ» (متفق عليه)، وإخفاؤُها خيرٌ من إظهارِها، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ومن السَّبعَةِ الذين يُظلِّهُم اللَّه في ظلِّه: «ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (رواه البخاري).

ومَنْ أَحسنَ الظَّنَّ بربِّه سَخَتْ نفسُه، وجَادَتْ بمالِه مُوقِناً بقول اللَّه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، قال سليمان الدَّاراني ﵀: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الحِلْمَ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ فِي نَفَقَتِهِ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ»، والإنفاق حَادٍ على الرَّجاء فيما عند اللَّه، والثِّقةِ بوعده، وفعلِ الخير طمعاً بفضله على ما جاء في قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

وأفضلُ النَّفقةِ: النَّفقةُ على الأقارب؛ قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وقَريبُك قِطعةٌ منك، إنْ أحسنتَ إليه فإنَّما تُحسِنُ إلى شخصك، وإن بَخِلْتَ عليه فإنَّما تَبخل عن نفْسك، واللَّهُ جَعَل لِذي القربى حقّاً في الأعناق، يُوفَّى بالإنفاق، فلا

تَبخلْ عليهم، ولا تَقْهَرْ يتيماً، ولا تنهرْ سائلاً، وأنفقْ بسخاوة نفس؛ يُبَارَكْ لك في المال والولد.

والشَّيطان يُوَسْوِسُ للمُنفِق، ويَأمرُه بالإمساك، ويُزَيِّنُه له خديعة ومكراً؛ قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

وذمَّ اللَّهُ المنافقين بِبُخْلِهم في بذلِ الخير، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هُمْ أَخْبَثُ بَنِي آدَمَ وَأَقْذَرُهُمْ وَأَرْذَلُهُمْ»، آذَوْا رَسولَ اللَّه ﷺ وأصحابه أَذيَّةً شديدة، فَعَابُوا على رسولِ اللَّه ﷺ قِسْمَتَه، وسَخِرُوا بصحابَتِه، وَهَزِؤوا بالمُتصدِّقين منهم، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمْ يَسْلَمْ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ»، وإنْ أَنْفَقُوا أموالَهم أَنْفَقُوها على كُرْهٍ ومِنَّةٍ وتَرَدُّد، ولِسُوءِ مُعتقدِهم وخُبثِ طَوِيَّتِهم فنفقاتُهم غيرُ مقبولةٍ عند اللَّه مهما أنفقوا؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ﴾، وأموالُهم وأولادُهم عذابٌ عليهم: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

والغنيُّ البخيل فقيرٌ مزخرَف، وهو خادِمٌ يَجمعُ المال لغيره، لا لِنَفْسِه انْتَفَع، ولا ببَذْلِه لِلْفُقَرَاءِ ارْتَفَع، وقد يَعْرِضُ لصاحبِ المال البخلُ في إنفاقه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾، والمال لا يُبْقِيهِ حِرْصٌ وشُحّ، ولا ينقصه بذل وعطاء، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِئْسَ الرَّفِيقُ الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ؛ لَا يَنْفَعَانِكَ حَتَّى يُفَارِقَاكَ».

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

كان رسول اللَّه ﷺ أكرمَ النَّاس وأجودَ النَّاس، إِنْ أنفقَ أَجْزَل، وإِنْ مَنَحَ أَغْدَق، وإِنْ أعطى أَعْطَى عَطاءَ من لا يخشى الفَاقَةَ والفقر، فاقْتَدُوا بنبيِّكُم وتَحسَّسُوا بيوتَ المساكينِ والفقراءِ والأرامل والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كُرُباتٍ، وإشباعُ جائع، وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرة.

ومِنْ شُكرِ اللَّه: البذلُ لعباده الفقراء، وإسعادُ خَلْقِه الضعفاء، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وبخل، ولا يُذهِبُه بذلٌ وإنفاق.

ولا تكنْ كالشَّقيِّ البخيل؛ يُزْهِقُ نفسه في الدُّنيا بجمعه، وفي الآخرة يُحاسَب على منعه، غيرَ آمنٍ في الدنيا من هَمِّه، ولا ناجٍ في الآخرة من إثمه، عيشُه في الدُّنيا عيشُ الفقراء، وحسابُه في الآخرة حسابُ الأغنياء.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمَرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب الثَّامِن

صيامُ رَمَضان

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأوَّل	:	استقبال رَمَضَان.
الفصل الثَّاني	:	الأعمال في رَمَضَان.
الفصل الثَّالث	:	العَشْر الأواخر.
الفصل الرَّابع	:	وداع رَمَضَان.

الفصل الأوَّل

اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ

الاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عباد اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تذهبُ اللَّيالي والأيامُ سِراعاً، والعامُ يطوِي شهورَه تِباعاً، وسنَّة اللَّه في كونه: قدومٌ وفوات، واللَّه أكرمَ عبادَه؛ فشرعَ لهم مواسم في الدَّهر تُغفَر فيها الذُّنوبُ والخطيئات، ويُتزوَّدُ فيها من الأعمال الصالحات.

وفي العام شهرٌ هو خيرُ الشُّهور، بعثَ اللَّه فيه رسوله وأنزل فيه كتابَه، يَرتقِبُه المسلمون في كل حولٍ وفي نفوسهم له بَهْجة، يُؤدُّون فيه

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ركناً من أركان الإسلام؛ يُفعلُ خالصاً، ويَتلذَّذُ فيه المسلم جائعاً، يُحقِّق العبدُ فيه معنى الإخلاص؛ لِينطلقَ به إلى سائر العبادات بعيداً عن الرياء، ثوابُ صومه لا حدَّ له من المُضاعفة؛ بل ذلك إلى الكريم، قال النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه).

الصِّيامُ يُصلِحُ النُّفوس، ويَدفعُ إلى اكتساب المحامد والبُعد عن المفاسد، به تُغفَرُ الذُّنوب وتُكفَّرُ السَّيِّئات؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

شهرُ الطَّاعة والإحسان، والمغفرة والرِّضوان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» (متفق عليه).

فيه صبرٌ على حمأة الظَّمأِ ومرارة الجوع، ومُجاهدة النَّفس على زجرِ الهوى، جزاؤهم بابٌ من أبواب الجنَّة لا يَدخلُه غيرُهم، فيه تذكيرٌ بحال الجوعَى من المساكين والمُقترِين، يستوي في الصَّوم المُعدِمُ والمُوسِر، كلُّهم صائمٌ لربِّه، مُستغفِرٌ لذنبه، يُمسِكون عن الطَّعام في زمنٍ واحدٍ، ويُفطِرون في وقتٍ واحد، يتساوون طيلةَ نهارهم بالجوع والظَّمأ؛ لِيتحقَّقَ قولُ اللَّه في الجميع: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

والقرآنُ العظيمُ أصلُ الدِّين وآيةُ الرِّسالة، نزل في أفضل الشُّهور:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، ونزولُه فيه إيماءٌ لهذه الأمة بالإكثار من تلاوته وتدبُّره، وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنزلُ من السَّماء ويُدارِسُ فيه نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ، وفي العام الذي تُوفِّي فيه عَرَض عليه القرآنَ مرتين، وكان الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل رمضانُ أَقْبلَ على تلاوة القرآن وتركَ الحديثَ وأهله.

وللصَّدقة نفعٌ كبيرٌ في الدُّنيا والآخرة؛ فهي تَدفعُ البلاء وتُيسِّرُ الأمور، وتجلِبُ الرِّزقَ وتُطفِئُ الذُّنوبَ كما يُطفِئُ الماءُ النَّار، وهي ظلٌّ لصاحبها يوم القيامة، والمالُ لا يَنقُصُ بالصدقة بل هو قرضٌ مضمونٌ عند الغنيِّ الكريم: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾، يُضاعفُه في الدنيا بركةً ونقاءً، ويُجازيه في الآخرة نعيماً مُقيماً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه).

فتحسَّسْ دُورَ الفقراء والمساكين، ومساكنَ الأرامل والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كربةٍ لك، ودفع بلاءٍ عنك، وإشباعُ جائعٍ، وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرةٍ، وإغناءٌ عن السُّؤال، والنَّبيُّ ﷺ كان أكرمَ الناس وأجودَهم: إنْ أنفقَ أجزلَ، وإنْ منحَ أغدقَ، وإنْ أعطَى أعطى عطاءَ من لا يخشى الفاقَة، وكان يَستقبِلُ رمضان بفيضٍ من الجُود، وكان أجودَ بالخير من الرِّيحِ المُرسَلة، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وشُحٌّ، ولا يُذهِبُه بذلٌ وإنفاق.

وليالي رمضان تاجُ ليالي العام؛ «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، ودُجاها ثمينةٌ بالعبادة فيها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ» (رواه مسلم)، و«مَنْ صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي)، وفيها ليلةٌ مضاعفةٌ هي أمُّ اللَّيالي - ليلةُ القَدْر والشَّرَف - خيرٌ من ألف شهر، وفي كل ليلةٍ يُفتَحُ بابُ إجابةٍ من السماء، وخزائنُ الوهَّاب ملأى، فسَلْ من جُود الكريم، واطلُبْ رحمةَ الرحيم، فرمضانُ شهرُ العطايا والنفحات والمِنَن والهِبات، وأعجزُ الناس من عجزَ عن الدعاء.

والأيامُ صحائفُ الأعمار، والسعيدُ من خلَّدها بأحسن الأعمال، ومَنْ نَقَلَهُ اللَّهُ من ذلِّ المعاصي إلى عزِّ الطاعة؛ أغناه بلا مالٍ، وآنسَه بلا أنيس، وراحةُ النفس في قلَّة الآثام، ومن عرفَ ربَّه اشتغلَ به عن هوى نفسه.

وبعضُ الناس أرخصَ لياليَه الثَّمينة باللَّهوِ وما لا نفع فيه، فإذا انقضى شهر الصِّيام ربح النَّاسُ وهو الخاسر، ومِنَ النَّاس مَنْ يصومُ وهو لا يُصلِّي، والصَّوم لا يُقبَلُ إلَّا بتوحيدٍ وصلاةٍ.

والمرأة مأمورةٌ بالإكثار من تلاوة القرآن، والذِّكر والاستغفار، والإكثار من نوافل العبادات، وصلاةُ التَّراويح في بيتها أفضلُ من أدائها في المساجد؛ قال عليه الصلاة والسلام: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ» (رواه أبو داود).

وعليها بالسِّتْر والحياء، ومراقبةِ ربِّها في غَيبة وليِّها وشهوده، والصالحةُ منهنَّ موعودةٌ برضا ربِّ العالمين عنها، وتمسُّكُها بدينها، وسِترُها واعتزازُها بحجابها؛ يُعلِي شأنَها ويُعزِّزُ مكانَها، وهي فخرُ المجتمع وتاجُ العفاف وجوهرةُ الحياة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مِن خير ما يُستقبَلُ به رمضان: مداومةُ الاستغفار، والإكثارُ من حَمْدِ اللَّه على بُلوغِه، والسَّابقون للخيرات هم السَّابقون إلى رفيع الدَّرجات في الجنَّة، فتَعرَّضُوا لأسباب رحمة اللَّه في شهره الكريم، وتنافَسوا في عمل البرِّ والخيرات، واستكثِروا فيه من أنواع الإحسان، وترفَّعوا عن الغِيبة والنَّميمة وسائر الخطيئات، ولا يفوتُك خيرٌ بسبب سهرٍ على غير طاعةٍ، ولا يصدُّك نوم عن عبادة، وإن استطعتَ أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ؛ فافعل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

لاحَ هِلالُ رَمَضَان(١)

الحمد للَّه الَّذي جَعَلَ تَعَاقُبَ اللَّيلِ والنَّهارِ عِبرةً لأولي الأبصار، أَحْمَدُه سبحانه على نِعَمِه الغِزَار.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له العزيز الغفَّار، حَكَمَ بِفنَاء هذه الدَّار، وأَمَرَ بالتَّزَوُّد لِدَارِ القَرَار.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، حاملُ لواء الأبرار، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ البر والوفاء، والإحسانِ والتُّقى.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه تعالى حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

صلاحُ القلبِ واستقامتُه متوقِّفٌ على توجهه إليه سبحانه توجُّهاً كاملاً؛ لِيسعدَ السعادة النَّفسيَّة والجِسميَّة، وتَهُونَ عليه أمورُ الدُّنيا ويَنْشطَ في فِعل الخيرات والمسابقةِ إلى الطَّاعات، وقد اقتضت رحمةُ العزيز الرَّحيم بعباده أنْ شرع لهم من الصَّوم ما يُذْهِبُ فضولَ المشارب، ويستفرغُ من القلب أخلاط الشَّهوات، والنفس إذا جاعت رقَّ القلب وَصَفَا.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر شعبان، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد استقبل المسلمون سيدَ الشُّهور؛ شهرَ الغنائم والبشائر، شهرَ العفو والغفران، شهرَ الفضائل والنَّفحات، له في نفوسِ الصَّالحين بَهْجة، وفي قلوب المتعبِّدين فرحة، رُبَّ ساعةِ قَبولٍ أدركت عبداً فبلغ بها درجات الرِّضا والرِّضوان، قال أحد الصَّالحين عند موته: «إنَّما أبكي على أن يَصومَ الصَّائمون للَّه ولستُ فيهم، ويُصلِّي المصلُّون ولستُ فيهم».

فيه ليلةٌ تاجٌ على رأس الزمان، هي خيرٌ من ألف شهر؛ «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، شهرُ المغفرةِ ومحو السَّيِّئات، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجِنَانِ** - وَفِي لَفْظٍ: **أَبْوابُ الرَّحْمَةِ** -، **وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**» (متفق عليه)، و«**مَنْ قَامَهُ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، وهو شافعٌ لصاحبه.

أيُّها المسلمون:

من أراد السَّعادة الأبدية فَلْيَلزمِ العبوديَّة، وعملُ البرِّ لا يقومُ على سُوقِه إلَّا بالإخلاص، و«**شَرَفُ المُؤْمِنِ: قِيَامُ اللَّيْلِ**» (رواه الحاكم)، «**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، فيه تَصفو الأوقات وتَحلو المناجاة، وقد تنافس الصَّالحون في ظَلْمَائِه، وأَحَبُّوا الدُّنيا لليلها، يقول أبو سليمان الدَّارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهِ لَوْلَا قِيَامُ اللَّيْلِ مَا أَحْبَبْتُ الدُّنْيَا»، واللَّيلُ ثَمينٌ بِدُجاه، وقيامُه من نعوت الصَّالحين المبشَّرين بجنَّات النَّعيم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، كان الحسنُ

البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «مَا تَرَكَ أَحَدٌ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَّا بِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ»؛ فافتحْ صَفْحةً مُشرِقةً مع مولاك، واسْدِل السِّتارَ على ماضٍ نسيتَه وأحصاه اللَّه عليك.

والدُّعاءُ سهمُ اللَّيل، حبلٌ ممدودٌ بين السَّماء والأرض، ربحٌ ظاهرٌ بلا ثمن، ومَغْنَمٌ بلا عناء، هو عدو البلاء؛ يدافعه ويمنع نزوله، و«لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ»، خزائن اللَّه ملأى ويداه، «لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وكُن على رجاءٍ من الإجابة، فالمدعوُّ كريمٌ، فاجعلْ لك في هذه الليالي مُدَّخراً فإنها أَنْفَسُ الذُّخر.

وما غُسِلَت سيئةٌ بأَبْهَى مِنْ دمعةِ حسرةٍ لَيْلِيَّةٍ على التَّفريط، فقارِبِ الأقدامَ مع المُصلِّين إلى انصراف إمامهم؛ تَحظَ بالثَّواب، فمن لم يُصَبِّرْ نفسه على طاعة ربه ويُوَطِّنْها على محبته؛ ابتُلِيَ بتصبيرها على المعاصي وذُلِّها، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

الكتابُ العزيزُ آيةُ الرِّسالةِ ونورُ البصائر والأبصار، لا طريقَ إلى اللَّه سواه، ولا نجاةَ لنا بغيره، نزل في خير الشُّهور، ومِنْ أفضل ما تُعمَرُ به الأوقاتُ في رمضان: كثرةُ تلاوتِه وتدبُّرِه والعملِ به، ولقد كان الأَسْودُ يقرأ القرآن في كلِّ ليلتينِ في رمضان، وكان قتادة يَخْتِمُ القرآنَ في كلِّ ثلاثِ ليال، وفي العشرِ الأواخر في كلِّ ليلة، وما في القرآن من المواعظ والعِبَر يَزيد خشوعاً وخضوعاً.

أيُّها المسلمون:

الغنيُّ الشَّحيحُ فقيرٌ مزخرف، وذو اليُسرِ الممسِكُ خادِمٌ مبتذَل، يَجمعُ المالَ لغيره، والتَّاجرُ البخيلُ يَحملُ وَرَقاً لا نقداً.

ولقد «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»، إنْ أنفق أَجْزلَ، وإِنْ مَنَحَ أَغْدَقَ، وإِنْ أعطى أعطى عطاءَ مَنْ لا يَخشى الفاقة، ما سُئِل شيئاً إلَّا أعطاه، ما ردَّ سائلاً إلَّا أن لا يَجدَ شيئاً.

وشهرُ رمضان موسمٌ للمُتصدِّقين، يَتَنَافَسُ فيه ذَوُو العطاء بالبذلِ والإنفاقِ، ومدِّ اليد إلى ذوي المسكنة والفاقة، والمالُ لا يُبْقِيه حِرْصٌ وشُحّ، ولا يُنْقِصُه بذلٌ وعطاء، يقول الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِئْسَ الرَّفِيقُ الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ؛ لَا يَنْفَعَانِكَ حَتَّى يُفَارِقَاكَ».

ومَنْ جَادَ على عباد اللَّه جَادَ اللَّهُ عليه، ومَنْ فُتِح له بابُ خيرٍ فلْيَنْتَهِزْهُ فإنَّه لا يَعلمُ متى يُغْلَقُ دونه، وإن استطعت أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحد؛ فافعل، ولَمَّا مات زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ افتقد أهلُ المدينة صدقَة السِّرِّ، ولَمَّا غَسَّلوه وجدوا آثار سواد في ظهره ممَّا يَحمِلُه على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة.

والصَّدقة يَظهرُ أثرُها على النَّفس وبركة المال والولد، ودفع البلاء وجلب الرَّخاء، يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ البَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ - خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ -، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ، وَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ

وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ»، فابتغوا ذوي المسكنة ولو بقليل؛ فالقليل في جنب اللَّه كثير، يقول يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَعْرِفُ حَبَّةً تَزِنُ جِبَالَ الدُّنْيَا إِلَّا الحَبَّةَ مِنَ الصَّدَقَةِ»؛ فابذل فالبذلُ رفعة، والسَّخاءُ مكرمة، وكلَّما سمحتِ النَّفسُ كان البذلُ أعظم، والمرءُ في ظلِّ صدقته يوم القيامة.

أيُّها المسلمون:

الفسادُ كلُّه في طول الأمل واتِّباعِ الهوى، والصَّلاح كلُّه في الاستعداد للقاء اللَّه واتِّباعِ الهُدى، وبعض المُسلمين يَتِيهُ في سَكْرَةِ الغفلة والإعراض، في ليله هَائِمٌ وفي نهاره نائمٌ، خان جوارحَه وفرَّط في دُرر شهره، وأَشْخَصَ بَصَرَه أمامَ النوافذِ المرئية الهادمة للعقيدة والأخلاق، المُؤَجِّجَة للفتن، المُلَوِّثَة للتربية والفِطْرة السليمة، المُقَوِّضَة للمجتمعات، تُفسدُ البيتَ الصالح، وتَنْزِعُ جلبابَ الحياءِ.

وبعضُ الآباء والأولياء أرْخوا زمام الحزم مع أبنائهم وبناتهم تَشَبُّثاً بصفة الثقة المذمومة؛ فيَأْذنُ لِبَنَاتِه بالتَّجَوُّل في الأسواق - أبغضِ البقاع إلى اللَّه - بلا رقيبَ ولا حسيبَ، فيَعْرِضْن المَفَاتِنَ ويَتَعَرَّضْن للفتن، واعلمي - أيَّتُها المرأة - أنَّ ربَّكِ لكِ بالمرصاد، واللَّهُ يقول: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾، فحافظي على عِرْضِك، وصوني حياءكِ، وابتعدي عن رفقة السُّوء، فنازِعةُ الحجاب، والمتزيِّنةُ في الأسواق امرأة محتقَرَةٌ في المجتمع.

إنَّ واجبَ الآباء إزالةُ المنكرات مِن دُورهم، وإحكامُ الرِّقابةِ على

أولادهم، وعدمُ التَّهرُّب من المسؤوليَّة؛ ليحسُنَ الحال، وتبرأَ الذِّمَّةُ في المآل، فأنت - أيُّها الأبُ - المَلومُ والمذمومُ وحدَك؛ فوِلايتُك وقِوامتُك في دارك منَحها اللَّه من فوق سبع سمواته لك؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، فلا تأذنْ لِنسائِك بالخروج من بيتك إلَّا لحاجة، وإذا خرجت المرأة إلى السُّوق فَلْيَكن معها محرمها؛ أحمى لجنابها.

وصلاةُ المرأةِ في بيتها أعظمُ أجراً عند اللَّه من صلاتها في المسجد مع الإمام، فالبيت مكنونُ المرأة وسِتْرُها، وإذا خَرجتِ المرأةُ إلى المسجد فَلْتَكُنْ مُحْتَشِمة مُستترة، وَلْتَكنِ البنتُ بجانب والدتها وتَحتَ ناظر عينيها؛ فذلك أرعى لِخِدْرها وأزكى لحيائها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أحْسِنُوا الاستعدادَ لشهرِكم الفاضل فهو ضيفٌ راحل، واستقبِلُوا شهركم بتوبة صادقة، واعْقِدُوا العزمَ على اغتنامِه وعِمَارةِ أوقاتِه بالطاعة.

فما الحياة إلَّا أنفاسٌ معدودة وآجالٌ محدودة، فاغتنموا شريف الأوقات، واعملوا وأمِّلوا وأبشروا؛ فالمغبونُ مَنِ انصرفَ أو تَشاغلَ بغير طاعة اللَّه، والمحروم من حُرِمَ ليلة القدر، والمأسوفُ عليه من أدرك شهر رمضان فلم يُغفرْ له.

واعمُروا أوقاتَكم بالطَّاعة؛ فـ«**عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي** - أيْ: مَعَ النَّبِيِّ ﷺ -» (متفق عليه)، و«**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» (رواه الترمذي)، وأَلِحُّوا في الدُّعاء والمسألة؛ فدعوة الصَّائم مستجابة.

وأقيموا سنَّة الاعتكاف؛ فقد «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، يقولُ ابنُ شِهابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عَجباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الاِعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

وَصِلْ ما تَمَزَّق مِن رَحِمِكَ، وعليك بالتَّوبة ما دام بابُها مفتوحاً والعذر مقبولاً؛ فسوء الخاتمة محذور، والموتُ أمر عظيم، وَوَدَاعُ الدُّنيا عند الفراق أليم، والأعمال والأحوال لا تصفو إلَّا بتقصير الآمال، وَلْيَكنْ يومُك خيراً من غابرك، يقول إبراهيم الحَرْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقَدْ صَحِبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عِشْرِينَ سَنَةً؛ فَمَا لَقِيتُهُ فِي يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ زَائِدٌ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ بِالأَمْسِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

قُدُومُ رَمَضَانَ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى زادٌ لدار القرار، وعونٌ على شكر نِعَم الباري الغِزار.

أيُّها المسلمون:

اختار اللَّهُ من الأزمان مواسم للطَّاعات، واصطفى فيها أياماً وليالِيَ وساعات فضلاً منه وإحساناً، وكلَّما لَاحَ هلالُ رمضان أعاد إلى المسلمين أيَّام دهرِهم المباركات وما يكون فيها من النَّفحات، شهر ينطلق فيه الصَّائمون إلى آفاق النقاء، ويَمسحون فيه عن جبينهم وَعْثَاء الحياة، يَستقْبلُه المسلمون وله في نفوسِ الصَّالحين منهم بَهْجَة، وفي قلوب المتعبدِّين فرحة، فرُبَّ ساعة قبولٍ فيه أدركت عبداً فبلغ بها درجات الرِّضا والرِّضوان.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس والعشرين من شهر شعبان، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الصِّيامُ سرٌّ بين الخالق والمخلوق، يُفعل خالصاً ويَتَلَذَّذ العبد جائعاً ويتضور خالياً، يقول النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامُ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه)، يُحقِّقُ العبدُ فيه درسَ الإخلاص لِيَنطلق به إلى سائر العبادات بعيداً عن الرِّياء.

الصِّيامُ يُصْلِح النُّفوسَ ويَدفعُ إلى اكتساب المحامد والبعد عن المفاسد، به تُغفَرُ الذُّنوبُ وتُكفَّرُ السَّيِّئاتُ وتَزدادُ الحسنات؛ يقول المصطفى ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

شهرُ الطَّاعة والقربة والبرِّ والإحسان، والمغفرة والرَّحمة والرِّضوان، يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» (متفق عليه).

لياليه مباركة، وفيه ليلة مضاعفة هي أُمُّ اللَّيالي - ليلة القدر والشَّرف - خيرٌ من ألف شهر، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

فيه صبرٌ على حَمْأة الظمأِ ومرارةِ الجوع، ومجاهدة النَّفس في زجر الهوى، جزاؤهم باب من أبواب الجَنَّة لا يدخله غيرُهم، فيه تذكير بحال الأكباد الجائعة من المساكين والمُقْترين.

يستوي فيه المُعدِمُ والموسِر، كلُّهم صائمٌ لربِّه مستغفرٌ لذنبه، يُمسِكون عن الطَّعام في زمن واحد، ويُفطِرون في وقت واحد، يَتساوون طيلةَ نهارِهم بالجوع والظَّمأ؛ ليتحقَّقَ قول اللَّه في الجميع: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾.

أيُّها المسلمون:

ذِكْرُ النَّاس داءٌ وذِكْرُ اللَّه شفاءٌ، والقرآنُ العظيمُ أساس الدِّين، وآيةُ الرِّسالة وروحُ الحياة، نزل في سيِّد الشُّهور: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، ونزولُه فيه إيماء لهذه الأمة بالإكثار من تِلاوتِه وتَدَبُّره، وكان جبريل عليه السلام يَنْزِلُ من السَّماء ويُدارِسُ فيه نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ كامل القرآن، وفي العام الَّذي تُوفِّي فيه عَرَضه عليه مرَّتين.

وكان بعضُ السَّلفِ يختِمُ في رمضان في كلِّ ثلاث ليال، وبعضُهم في سبع، وبعضُهم في عشر، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان أَقْبَلَ على تلاوةِ القرآنِ وتَرَكَ الحديثَ وأهلَه.

وإذا أحسنتَ القولَ فأحسِن الفِعل؛ لِيجتمعَ معك مزيَّةُ اللسان وثمرةُ الإحسان، ودائرةُ الجودِ تَتَّسِعُ لِمَا تهفو إليه القلوب المؤمنة من التَّطَوُّع في الخير، والتَّوسُّع في إسداء المعروف، والمالُ لا يَذهبُ بالجود والصَّدقة، بل هو قرضٌ حسنٌ مضمونٌ عند الكريم: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، يُضاعفُه في الدُّنيا بَرَكةً وسَعادةً، ويجازيه في الآخرة نعيماً مقيماً؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه).

فتحسَّسْ دُورَ الفقراء والمساكين، ومساكنَ الأراملِ والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كربةٍ لك، ودفعُ بلاءٍ عنك، وإشباعُ جائع، وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرة وإغناءٌ عن السُّؤال، ولقد كان رسول اللَّه ﷺ أكرمَ

النَّاس وأجودَهم؛ إنْ أنفق أجزل، وإنْ منح أغدق، وإنْ أعطى أَعْطَى عَطاءَ مَنْ لا يَخْشَى الفَاقَة، وكان يَستقبلُ رمضان بفيض من الجود، ويكونُ أجودَ بالخير من الرِّيح المرسلة، فأَكْثِرْ من البذلِ والإنفاقِ في لياليه المعدودة، والمالُ لا يُبقيه حرصٌ وشحٌّ ولا يُذْهِبه بذلٌ وإنفاقٌ.

وليالي رمضان تاجُ ليال العام، ودُجَاهَا ثمينة بِظَلْمَائها، فيها تَصْفُو الأوقات وتَحْلُو المناجاة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، و«**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» (رواه الترمذي)، ومَنْ لم يُصبِّرْ نفسَه على طاعة ربِّه ويُوَطِّنْها على محبته؛ ابتُلِيَ بِتَصبُّرِها على المعاصي وذُلِّها، وإن استطعت أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ؛ فافعل.

وفي كلِّ ليلة يُفتَحُ بابُ الإجابة من السَّماء، وخَزائنُ الوهَّابِ مَلْأَى، فسَلْ من جود الكريم، واطلبْ رَحمَةَ الرَّحيم، فهذا شهرُ العطايا والنَّفحات، والمِنَنِ والهبات، وأعجَزُ الناس من عَجِزَ عن الدُّعاء.

أيُّها المسلمون:

الأيَّامُ صحائفُ الأعمار، والسعيدُ من يُخَلِّدُها بأحسن الأعمال، ومَنْ نَقَلَه اللَّهُ من ذُلِّ المعاصي إلى عزِّ الطاعة، أغناه بلا مالٍ وآنسَه بلا أُنْس، وراحة النَّفس في قلَّة الآثام، ومَنْ عَرَفَ ربَّه اشتغلَ به عن هوى نفسه.

وفي هذا الشَّهرِ المباركِ، المُنزَّلِ فيه القرآنُ العظيم، المُتعدِّدةِ فيه طلب المغفرة - مِنَ التَّوسُّع في المعروف، والبذلِ والدُّعاء، وتفريجِ

الكرباتِ والإكثارِ من العبادات - إلَّا أنَّه لكلِّ موسمٍ خاسرٌ، وبعضُ النَّاسِ أرْخَصَ لياليَه الغُرَر؛ وأرهَقَ فيها بصرَه مع الفضائيات يَعيشُ معها في أوهام، ويُسرِّحُ فِكْرَه حولَها في خِيال، ويَتَطَلَّعُ لها لعل له فيها سعادة السَّرَاب، فإذا انقضى شهرُ الصيام لا لِمَا فيها جَمَع، ولا للآخرة ارْتَفَع، رَبح الناس وهو الخاسر.

والنِّساءُ حبائلُ الشَّيطان، وهُنَّ أكثرُ حطبِ جهنَّم، ولنجاة نفسها من الحميم: يُشرع لها مضاعفةُ الأعمالِ الصَّالحةِ مما يُنَجِّيها من النِّيران، فَلْيَتَّقِيْنَ اللَّهَ في حُرمة هذا الشَّهر المبارك، ولا تَخرجْ من بيتها إلَّا لحاجة، وصلاة التَّراويح في بيتها أفضل من أدائها في الحرمين؛ يقول ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ المَسَاجِدَ، وَبُيُوْتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ» (رواه أبو داود)، وإذا خرجت لحاجة فحرامٌ عليها الخروجُ متبرِّجة، وعليها بالسِّترِ والحياءِ ومراقبةِ ربِّها في غَيْبة وَلِيِّها وشهوده.

والصَّالحةُ منهنَّ موعودةٌ برضا ربِّ العالمين عنها، وتَمَسُّكُها بدينها واعتزازُها بحجابها وسِتْرُها؛ يُعلي شأنَها ويُعزِّزُ مكانَها، وهي فخرُ المجتمع، وتاجُ العفاف، وجوهرة الحياة، وقدوة النِّساء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

دواءُ القلوب في خمسة أشياء: قراءةِ القرآنِ بالتَّدبُّر، وخُلوِّ البطن، وقيامِ اللَّيل، والتَّضرُّعِ عند السَّحَر، ومجالسةِ الصَّالحين؛ فَلْيَكُنْ لك - أيُّها المُسلمُ - في شهر رمضان عملٌ وتهجُّدٌ وقرآن.

واغْتَنِمْ عمرةً في رمضان فإنَّها تعْدِلُ حَجَّةً، ولقد كان من هَدْيِه ﷺ الاعتكافُ في رمضانَ، وهو: لزومُ مسجدٍ طاعةً للَّه، وهو يعني: عُكُوفَ القلب على اللَّه، والانقطاعَ عن الخلق، والاشتغالَ بالعبادةِ والذِّكرِ وقراءةِ القرآن.

وابْتَعِد عن خَوارقِ الصَّوم ومفسداتِه، وإيَّاك أَنْ تقعَ في أعراض المسلمين، واحْفَظْ لسانَك وسمعَك وبصرَك عمَّا حرَّم اللَّه، يقول الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي فِي كَلَامِهِ، كَانُوا إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي المَسَاجِدِ وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحداً».

ومَنْ بُلِي بجاهلٍ فلا يُقابِلْه بمثلِ سَوْئِه، يقول المصطفى ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**» (متفق عليه).

واجعلْ شهرَ صومِك جهاداً متواصلاً ضدَّ شهوات النَّفس، وانقطاعاً إلى اللَّه بالعبادة والطاعة، ومدارسةً لآيات التنزيل، وقياماً مُخْلِصاً باللَّيل، فهو موسمُ التَّوبة والإنابة، فبابُ التَّوبة مفتوح، وعطاءُ ربِّك ممنوح، فمتى يتوبُ من أسرفَ في الخطايا وأكثرَ من المعاصي إن لم يتُب في شهر رمضان؟! ومتى يعودُ إن لم يَعُد في شهر الرَّحمة والغفران؟! فبادِرْ بالعودة إلى اللَّه واطرُقْ بابه وأكْثِرْ من استغفاره.

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - واغتنموا زمن الأرباح؛ فأيَّامُ المواسمِ معدودة، وأوقاتُ الفضائل مشهودة، وفي رمضان كنوزٌ غالية، فلا تضيِّعوها باللَّهو واللعب وما لا فائدة فيه؛ فإنكم لا تدرون متى ترجعون إلى اللَّه؟ وهل تدركون رمضان آخَر أو لا تدركونه؟ وإنَّ اللبيب العاقل مَنْ نَظَرَ في حاله وفكَّر في عيوبه، وأصلح نفسه قبل أن يفاجِئَه الموت؛ فينقطعُ عملُه وينتقلُ إلى دار البَرْزَخ ثم إلى دار الحساب.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

إِشْرَاقَةُ رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى زادُ الأبرار، ومتاعُ الأخيار.

أيُّها المسلمون:

لقد حلَّ بالمسلمين موسم عظيم، مخصوص بالتَّشريف والتَّكريم، أنزل اللَّه فيه كتابَه، وفرض صيامَه، شهرُ القيام وتلاوة القرآن، زمن العتق والغفران، موسمُ الصدقات والإحسان، تَتَوَالَى فيه الخيرات، وتَعمُّ البركات، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ؛ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**» (رواه النسائي).

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّامن من شهر رمضان، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أشرفُ الشُّهور وأزكاها عند اللَّه، جعله تعالى ميداناً لعباده يتسابقون فيه بأنواع الطَّاعات والقربات، شهرُ رمضان منحةٌ لتزكية النُّفوس وتَنقيتِها من الضَّغائن والأحقاد التي خَلْخَلَت العُرى وأَنْهَكَتِ القوى.

ومن استقبلَ رمضانَ بالآثام وهو عاقٌّ لوالديه وقاطعٌ لأرحامه وهاجرٌ لإخوانه، وأقوالُه فيها غِيبة ونميمة، فهيهات أن يَستفيدَ من رمضان؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (رواه البخاري)، وأهون الصِّيام تَرْكُ الطَّعام والشَّراب، وكان السَّلفُ إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: «نَحْفَظُ صِيَامَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحَداً».

في هذا الشهر يُشمِّرُ الجادُّون في طاعة ربِّهم؛ أداءٌ للصَّلوات جماعة في بيوت اللَّه، قيامٌ باللَّيل مع الإمام، وقراءةٌ للقرآن قراءةً مرتلةً خاشعةً بتدبر، صدقةٌ بالمال ولو بالقليل على أهل الحاجة من الأقارب والجيران، تفطيرٌ للصَّائمين، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ» (رواه احمد)، اعتكافٌ في بيتٍ من بيوت اللَّه ويَتأكَّدُ في العشرِ الأواخر، أداءٌ لمناسك العمرة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً» (متفق عليه)، وفي لفظ: «حَجَّةً مَعِي»، إكثارٌ من الذِّكر والدُّعاء والاستغفار ويَتَأَكَّد ذلك عند الإفطار؛ فللصَّائم عند فطره دعوةٌ لا تُرَدّ.

وفي الثُّلث الأخير يَنزلُ ربُّنا ويقول: «مَنْ يَدْعُوْنِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟!» (متفق عليه)، زيادةٌ في برِّ الوالدين والقُرْبِ منهم والتَّودُّدِ إليهم، إحسانٌ

إلى الزَّوجةِ والأولادِ والأهلِ؛ بالتَّوجيهِ الرَّشيد والكلمةِ الطيبة والمعاملةِ الحسنة، صلةُ الأرحام والصَّدقة على المحتاج منهم، تَفقُّدُ الجيران وزيارتُهم والتَّعرفُ على أحوالهم، مَدُّ يد العون إلى الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، هذا دأبُ الصَّالحين في شهر الخيرات.

وإنَّ مِن أفضل الأعمال - بعد إصلاح الإنسان لنفسه -: أن يقومَ بالدَّعوة إلى اللَّه، والاجتهادَ في هداية الناس، وإصلاحَ ما فسد من أخلاقهم وسلوكهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وميادينُ الدَّعوة رحْبَة؛ نصيحةٌ مخلصة، وكلمةٌ صادقة، وقدوةٌ حسنة، علماً وعملاً، تقوى وأخلاقاً؛ و«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» (رواه مسلم).

فاعزِمْ بصدقٍ على الارتقاءِ نحوَ درجاتِ الاستقامةِ والهداية، واستقبلْ رمضانَ بتطهير المال من الحرام، فالمالُ الحرامُ سببُ البلاء في الدُّنيا ويومِ الجزاء، فلا يُستجابُ معه الدُّعاء، ولا تُفْتحُ له أبوابُ السماء، فبَادِرْ - رعاك اللَّه - وانظرْ في نفسِك وأَصْلِحْ بيتَك، وتطهَّرْ من كل مال حرام حتى تقفَ بين يدي اللَّه بقلبٍ خاشع فيسمعَ لك الدُّعاء.

وفي رياحِ الأسحارِ ولحظات أَنِينِ المنيبين يَهْفو بعضُ المحرومين إلى المحرَّمات، لِيتَّخذَ رمضانَ موسماً للعصيان؛ إطلاقٍ للبصر في المحظورات، وإرخاءٍ للأذنين للأغنيات، ومشاهدة للمحموم من الفضائيات، تتبُّعٍ لعورات المسلمات في الأسواق والطرقات، وفيهم

أصحاب الجلسات الفارغة، وأصدقاء الزِّيارات القاتلة، لهوٌ ولعب، هزلٌ ومرح، لم يعرفوا للزمان قدراً، ولا لرمضان شرفاً، جَلَبوا لأنفسهم الشقاء، وأذاقوا أرواحَهم العَناء، أَمَا علموا أنْ لا لذةَ في غير الطاعة؟ وأنَّ كلَّ مُتعة بمُحَرَّم تؤدِّي إلى حسرة وندامة؟ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

أيُّها المسلمون:

اليأس والقنوط سلاحٌ لإبليس يُمضيه في العاصي حتى يستمرَّ على عصيانه، مهما عمل العبدُ من المعاصي والفجور، فالإسلام لا يأسَ فيه من رحمة اللَّه؛ فالتوبة تهدمُ ما قبلها، والإنابة تَجُبُّ ما سَلَفَها، فمن كان مبتلًى بمعصية فرمضانُ موسمُ التَّوبة والإنابة، الشَّياطين مصفَّدةٌ والنَّفس منكسرة، واللَّه تعالى يقول: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾، وفي الحديث القُدسيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (رواه الترمذي)، إنَّ من أعظم أسباب المغفرة؛ أنَّ العبد إذا أذنب ذنباً لم يَرْجُ مغفرة من غير ربِّه، يقولُ لقمانَ لابنه: «يَا بُنَيَّ! عَوِّدْ لِسَانَكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهَا سَائِلاً».

وعلامةُ التَّوبةِ: النَّدمُ على ما سلف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب، وهجرانُ إخوان السُّوء، وملازمةُ الأخيار.

في هذا الشَّهر قوافلُ من التَّائبين يقصدون عفوَ اللَّه فكن أحدَهم؛ فما أجملَ أن يكونَ رمضانُ بدايةً للتَّوبة والإنابة! فكم فيه من التائبين إلى اللَّه؟! وكم من المستغفرين من ذنوبهم النَّادمين على تفريطهم؟!

أيُّتها المرأة المسلمة:

كوني في هذا الشهر المبارك مركزَ إشعاع، ومِشْعلَ هداية، حارسةً للفضيلة، نابذةً للرَّذيلة، معتزةً بدينك، شامخةً بشرفك، صائنةً عفافك، لا تستمعي إلى سقيم الأفكار وقبيح الأقوال الدَّاعية إلى نبذ السِّتر والحياء، أو تقليد الكافرات والفاجرات، اللَّاتي نبذن صفات الأنوثة والخجل.

واحذري أن تكوني من حبائلِ الشَّيطان في هذه الأيَّام الفاضلة، أو تَتَّصِفِي بالتَّبرُّج والسُّفور، وابتعدي عن قرينات السُّوء فسَكَنُ المرأةِ في قرارها، وأَبغضُ البقاع إلى اللَّه الأسواق، واللَّهُ تعالى يَغَارُ على حُرُماتِه، وبطشُه شديد، وإذا رَفَعَ سِتْره عن أَمَتِه فَضَحَهَا، فتزيَّني بزينة الدِّين، وتَجمَّلِي بجمال السِّتر، فالعمر قليل، والحشر أمره عسير.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ستنقضي الدُّنيا بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمارُ بطولها أو قِصَرِها، ويعودُ النَّاس - وأنت منهم - إلى ربِّهم، فكم من إنسانٍ انتظر رمضانَ بأقوى الأمل؛ فباغَتَه الأجل؟! فأكثر في رمضانَ من عمل الصَّالحات، فقد أتى إليكَ رمضانُ بعد طول غياب، وَوَفَد إليكَ بعد فراق، فافتحْ فيه صَفْحَةً مُشرِقةً مع مولاك، واسْدِل السِّتارَ على ماضٍ نسيتَه وأحصاه اللَّهُ عليك، وتُبْ إلى التَّوابِ الرَّحيمِ من كلِّ ذنبٍ وتقصيرٍ وخطيئةٍ.

وفي اغتنام مواسمِ الخير - بالجدِّ في العمل الصَّالح والتَّوبةِ ممَّا سلف من القبائح - ما يُعَوِّضُ اللَّه به العاملين عما مضى من نقص العمل، ويَصْرِفُ به عقوبةَ ما اقترف المرء من الزَّلل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

إِطْلالَةُ رَمَضَانَ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، من يَهده اللَّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

شرعَ اللَّهُ لعبادِه المسلمين أنواعاً من الطَّاعاتِ والقُرُبات، وجعلَ في دَهْرِه أوقاتاً فضَّل بعضَها على بعض؛ لِتَتَنوَّعَ اللَّذاتُ في جنَّاتِ النَّعيم، فلكلِّ عملٍ من الأعمال المحبوبةِ له والمسخوطةِ لذةٌ أو ألمٌ يخصُّه، لا يُشْبِهُ أَثَرَ الآخرِ وَجَزَاءَه، ولهذا تَنَوَّعتْ لذَّاتُ أهلِ الجنَّةِ من الطَّيِّباتِ، وتنوَّع عذابُ أهلِ النَّارِ من العقوبات، ففي الجنَّةِ بابٌ لِمَنْ حافَظَ على الصَّلاة، وبابٌ لأهلِ الصَّدقات، وبابٌ للصَّائِمين يُسَمَّى الرَّيَّان، وكلُّ بابٍ فيه لأَهلِه من الجزاءِ ما ليس لغيرِهم، قال

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع عشَر من شهر رمضان، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَنَوَّعَتْ أَعْمَالُهُ الْمَرْضِيَّةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، تَنوَّعَتِ الأَقْسَامُ الَّتِي يَتَلَذَّذُ بِهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ وَتَكَثَّرَتْ لَهُ بِحَسَبِ تَكَثُّرِ أَعْمَالِهِ هُنَا، وَكَانَ مَزِيدُهُ بِتَنَوُّعِهَا وَالِابْتِهَاجِ بِهَا وَالِالْتِذَاذِ هُنَاكَ عَلَى حَسَبِ مَزِيدِهِ مِنَ الأَعْمَالِ وَتَنَوُّعِهِ فِيهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ».

واللَّهُ سبحانه امتنَّ على عبادِه بشهرٍ كريم تُضاعَفُ فيه الأعمال، وتُكَفَّرُ فيه الخطايا والأوزار؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» (رواه مسلم)، وهو شفيعٌ لأصحابِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا اسْتَعَانَ أَحَدٌ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ بِمِثْلِ الصَّوْمِ».

وفِي تلاوة القُرآنِ أجرٌ عظيمٌ؛ كلُّ حرفٍ بحسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثَالِها، والعبدُ يَرْتَقِي في الآخرةِ إِلَى آخرِ آيةٍ كانَ يُرَتِّلُهَا، وفِي القَبرِ ويومِ الحشرِ يَشْفَعُ القرآنُ لِصَاحِبِه عِندَ اللَّهِ، وهو نورٌ وهدًى وشفاء، قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ؛ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ».

«**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، وهي من صفات أهل الجنَّة؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وصلاةُ اللَّيل من أسباب دخول الجنَّة؛ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه ابن ماجه)، و«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنَ

اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ - أَيْ: تَتَشَقَّقَ - قَدَمَاهُ - مِنَ القِيَامِ -» (رواه البخاري)، وكان الصَّحابةُ ﷺ يقومون معه وَيُحْيُونَ زَمناً من اللَّيل بالصَّلاة؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، وقال ﷻ في وصفهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، و«مَنْ صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي).

والمرءُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يومَ القيامة، والمتصَدِّقُ موعودٌ بالمغفرةِ والغِنى؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾، والمُنْفِقُ المؤمن آمِنٌ في الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، والمتصدِّقُ تَتَيَسَّرُ لهُ أعمالُه؛ قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ» (متفق عليه)، فكان أَعْظَمَ النَّاس صدقةً، ولا يستَكْثِر شيئاً أعطاه، ولا يَرُدُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أَحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرُورُه بما يُعْطِيهِ أَعظمَ من سرورِ الآخِذِ بما يَأْخُذُه.

والزَّكاة من أركانِ هذا الدِّين، لا يقوم إسلامُ المرءِ إلَّا بها، تُطَهِّرُ المالَ وَتُنَمِّيه وتُزَكِّيه؛ فَطِبْ بها نفساً، وابذُلْ بها كفّاً، ووَاسِ بها محروماً، وأخلِصْ بها قلْباً، واحذَرِ التَّسويفَ في إخراجِها.

والسَّلامةُ من الوقوعِ في الزَّلَلِ والعِصيانِ لا يَعْدِلُها شيء، والبعدُ عن المُلْهِيَاتِ والمُحَرَّمات زكاةٌ للقلوب.

والمرأةُ مأمورةٌ بما يُؤْمَرُ به الرجالُ من التِّلاوةِ والتَّعبُّدِ وقِيَامِ اللَّيل، وصلاتُها في دارِها خيرٌ لها من صلاتِها في المسجد؛ قال ﷺ: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ» (رواه أبو داود).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القران العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

القلوب أوعيةٌ وخيرها أَوْعاها، وتَصفيةُ العمل من الآفات أَشَدُّ من العمل، ورمضانُ موسمُ الاغتنامِ واستباقِ الخيرات، وقد أفلح من أخلص فيه لربِّه، وكلُّ ما لم يُرَدْ به وجهُ اللَّهِ يَضْمَحِل، وكتمان الحسنات من الإخلاص، والرِّياءُ من مفسدات الأعمال، والخوفُ من اللَّهِ من أركان العبادة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رَمَضَانُ هَلَّ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تذهَبُ الأيَّامُ واللَّيالِي سِراعاً، والعامُ يطوِي شُهورَه تِباعاً، والعبادُ في ذلك إلى اللَّه سائِرُون، وعمَّا قريبٍ لأعمالِهم مُلاقُون، ومِنْ فضلِ اللَّه وكرمِه أَنِ اختارَ لهم من الأزمان مواسمَ للطَّاعات، واصطفى أيَّاماً وليالِيَ وساعات؛ لِتَعْظُمَ فيها الرَّغبةُ، ويزدادَ التَّشمير، ويتنافسَ المتنافسون.

وكلَّما لاحَ هلالُ رمضان أعاد إلينا نفحاتٍ مباركات، فيَستقبلُه

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني من شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

المسلمون وله في نفوسهم بَهْجَة، وقلوبُهم تمتلئُ به فَرْحة، فرُبَّ ساعةِ قَبولٍ فيه أدركت عبداً؛ فبلغ بها درجات الرِّضا والسَّعادة.

وقد حلَّ بنا أشرفَ الشُّهور وأزكاها، موسم عظيم خصَّه اللَّه بالتَّشريف والتَّكريم، فبعث فيه رسوله ﷺ وأنزلَ فيه كتابَه وفرضَ صيامَه، ساعاتُه مباركة، ولحظاتُه بالخير معمورة، تتوالى فيه الخيرات وتَعُمُّ فيه البركات.

موسِمُ الإحسانِ والصدقَات، وزمنُ المغفِرة وتكفير السَّيِّئات؛ نهارُه صِيامٌ، وليلُه فيه قِيامٌ عامِرٌ بالصَّلاةِ والقرآن، تُفتَّحُ فيه أبوابُ الجِنان، وتُغلَّقُ فيه أبوابُ النِّيران، وتُصفَّدُ فيه الشَّياطين، وفيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَن حُرِمَ خيرَها فهو المحرُوم.

رمضانُ ميدانٌ فَسِيحٌ للتسابُقِ في الطاعاتِ، ومِنحَةٌ لتزكِيةِ النُّفوسِ مِن الدَّرَن والآفات، شهرٌ كريمٌ تُضاعَفُ فيه الأعمالُ وتُكفَّرُ فيه الخطايا والأوزار؛ قال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» (رواه مسلم).

فيه يُؤدِّي المُسلمون رُكناً مِن أركان الإسلام، وهو مظهَرٌ عمليٌّ لِعَظَمةِ هذا الدِّين وجمعِه لكلمةِ المُسلمين، وفيه يتجلَّى قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

واغتِنامُ مواسِمِ الخيرات فتحٌ مِن اللَّه لمَن أحَبَّ مِن عبادِه، في رمضان يجتَمِعُ للمُسلمين أصولُ العِبادات وأكبَرُها؛ فالصلاةُ صِلةٌ بين

العبدِ وربِّه، ولا تُفارِقُ المُسلمَ في جميع حياتِه، وصلاةُ الرَّجُل في الجماعةِ فرضٌ، وهي تعدِلُ صلاتَه في بيتِه وسُوقِه سبعاً وعشرين درجة.

وحرِيٌّ بالمُسلم أن يستَعِينَ بصَومِه على صَلاتِه، وأن يكون له في اللَّيل أكبَرُ الحظِّ مِن الصَّلاة؛ فـ«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي).

والزَّكاة والصَّدقة طُهرةٌ للمال ونماءٌ، وغِنًى للنَّفسِ وزكاة، فأثَرُها ظاهرٌ على النَّفسِ والمال والولَد، دافِعةٌ للبلاء، جالِبةٌ للرَّخاء، ومَن جادَ على عبادِ اللَّه جادَ اللَّه عليه؛ قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنفِقْ عَلَيْكَ» (متفق عليه).

و«كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ» يوم القيامة، فتَصدَّقْ ولو بالقَلِيلِ، وطِبْ بها نفساً، وواسِ بها محرُوماً، و«مَنْ فَطَّرَ صَائِماً، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»، وكان مِن هديه ﷺ: النَّفقةُ والجُود؛ يُعطِي عطاءَ من لا يخشى الفَقْرَ، إِنْ أنفقَ أجزَلَ، وإِنْ منَحَ أغدَقَ، لا يرُدُّ سائلاً، وما سُئِلَ شيئاً إلا أعطاه، وكان ﷺ أجوَدَ ما يكون في رمضان؛ فلَهُو فيه أجوَدُ مِن الرِّيح المُرسَلَة.

والصِّيامُ أعظمُ شَعيرةٍ في هذا الشَّهر الفَضِيل، يتزوَّدُ المُسلمون فيه مِن التَّقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، ثوابُه بلا عدٍّ ولا حصرٍ؛ قال اللَّه في الحديثِ القُدْسيِّ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا

أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه)، و«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، والصَّومُ يَحُولُ بين أهلِه وبين الشُّرورِ والآثام؛ قال ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ» (متفق عليه).

ومِن الأعمالِ الصَّالِحةِ الَّتي تُغتَنَمُ: العُمرة؛ قال ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً» (متفق عليه).

والقُرآنُ كلامُ اللَّه تعالى وحُجَّتُه على خلقِه، وهو يَنْبُوعُ الحكمةِ وآيةُ الرِّسالة، لا طريقَ إلى اللَّه سِواه، ولا نجاةَ لنا بغيرِه، نُورُ البصائِرِ والأبصار، مَن قَرُبَ مِنه شَرُف، ومَن أَخَذَ به عَزَّ، تِلاوتُه أجرٌ وهِداية، ومُدارستُه علمٌ وثبات، والعملُ به حِصْنٌ وأمانٌ، وتَعْليمُه والدَّعوةُ إليه تاجٌ على رُؤوسِ الأبرار.

وفي رمضانَ نزلَ القرآن، فيتأكَّدُ الإكثارُ مِنه قراءةً وتدبُّراً وتعلُّماً وتعليماً وعملاً وامتِثالاً؛ قال ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾، وكان جبريلُ عليه السلام يُدارِسُ نبيَّنا ﷺ القرآنَ فيه مرَّةً في كلِّ عام، وفي العامِ الذي مات فيه ﷺ دارَسَه مرَّتَين.

والدُّعاءُ عبادةٌ وقُربةٌ، مغنَمٌ بلا عناء، ورِبحٌ ليس فيه شَقاء، وهو جالِبٌ للرَّخاء وعدُوٌّ لكل بلاء، و«لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ»، به يصِلُ العبدُ لِمُناه، ويُدرِكُ مطلُوبَه؛ فكَم قرَّبَ مِن بعيدٍ؟! وكَم يسَّرَ مِن عسِيرٍ؟! وكَم فرَّجَ مِن كُربٍ؟! وأجوَبُ الدُّعاء ما كان في جَوفِ اللَّيلِ الآخر، وإذا انكسَرَ العبدُ بين يدَي ربِّه أجابَ اللَّه سُؤلَه، وإذا جاعَت

النَّفسُ رقَّ القلبُ وصفَا، والصَّائِمُ لا تُردُّ دعوتُه، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّائِمُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ فِي عِبَادَةٍ، وَيُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ فِي صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ، فَهُوَ فِي نَهَارِهِ صَائِمٌ صَابِرٌ، وَفِي لَيْلِهِ طَاعِمٌ شَاكِرٌ»؛ فالمُوفَّقُ مَن أكثَرَ قَرْعَ بابِ السَّماء، وجعلَ لنفسِه مِن هذه الأيَّام واللَّيالي مُدَّخراً.

وذِكرُ اللَّه عبادةٌ عظيمةٌ ميسُورة، ومَنْ ذكَرَ اللَّهَ ذكَرَه، والعبدُ إن لم يشتَغِل لِسانُه بالذِّكر شغَلَه بفُضُول الكلامِ ومعاصِيه.

وحُسنُ المعاملةِ من الدِّين وأَوْلَى الخلقِ بإحسانِك: مَنْ قَرَنَ اللَّه حقَّهُم بحقِّه؛ فالوالِدان جنَّتُك ونارُك، وهما أحَقُّ الناسِ بحُسنِ صُحبَتِك؛ قال ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ - أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا - فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**» (رواه مسلم)، و«**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي؛ وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي؛ قَطَعَهُ اللَّهُ**» (متفق عليه)، و«**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» (متفق عليه).

ومِن كمالِ الطَّاعةِ: حِفظُها مِن كلِّ ما يُنقِصُها أو ينقُضُها، والصَّائِمُ أشدُّ ما يكون حِرصاً على حِفظِ عبادتِه وحفظِ صِيامِه مِن خوارِقِه ومُفسِداتِه؛ قال ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**» (متفق عليه)، وكان مِن هَدْيِ السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ إذا صامُوا جلَسُوا في المساجِد، وقالُوا: «نَحفَظُ صِيَامَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحداً»، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي».

وبعدُ، أيُّها المُسلمون:

فالبِرُّ لا يكونُ على تمامِه، ولا يقُومُ على سُوقِه ومكانِه إلا بمحبَّةٍ تحدُو بصاحِبِها إلى الإخلاصِ، وبصِدقٍ يبعَثُ إلى حُسن المُتابَعة، والعملُ لا يكون قُربةً حتى يكونَ الباعِثُ عليه الإيمانَ لا العادةَ والهوَى، ولا طلَبَ السُّمعَة والرِّياء، وحتى يكونَ غايتُه ثوابَ اللَّه وابتِغاءَ مرضاتِه، إذا اجتمَعَ الإيمانُ والاحتِساب في عملٍ تحقَّقَ القَبول والغُفران.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

باركَ اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

ستَنقَضِي الدُّنيا بأفراحِها وأحزانِها، وتنتَهِي الأعمارُ بطُولِها وقِصَرِها، ويلقَى الجميعُ ربَّهم، وحينَها: ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾؛ فاستَقبِلُوا شَهرَكم بتوبةٍ صادِقةٍ، واعقِدُوا العزم على اغتِنامِه وعِمارةِ أوقاتِه بالطَّاعة، فما الحياةُ إلا أنفاسٌ معدُودة، وآجالٌ محدُودة، واغتَنِمُوا شريفَ الأوقات.

والمَغبُونُ مَن أدرَكَ رمضان ولم يُغفَر له؛ قال ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» (رواه الترمذي)، و«**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّوْرِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» (رواه البخاري).

ومِنْ أعظمِ ما يُصلِح القلبَ: ذكرُ اللَّه، وملازمةُ القرآن العظيم، وقيامُ اللَّيل، ومجالسةُ الصَّالحين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَتَاكُمْ رَمَضَانُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أشرفُ الأعمال ما فيه عزُّ المخلوق بطاعة الخالق، ولا طريقَ إليها إلَّا بعبادتِه سبحانه والتذلُّلِ له؛ قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلَّمَا ازْدَادَ العَبْدُ تَحْقِيقاً لِلْعُبُودِيَّةِ ازْدَادَ كَمَالُهُ وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ»، واللَّهُ تعالى أثنَى على خليلِه بأدائِها؛ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾، وأَمَرَ كَليمَ الرَّحمن بها؛ فقال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾، وكان داودُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيرَ العبادة له سبحانه؛ فكان يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، وينامُ نصفَ الليل

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع عشَر من شهر شعبان، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ويقومُ ثُلُثَه وينامُ سُدُسَه، وجاءَتِ البُشرى لزكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يتعبَّدُ اللَّه ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾، وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾، وقال اللَّه تعالى لنبيِّنا مُحمَّد ﷺ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، فامتثَلَ النَّبيُّ ﷺ أمرَ ربِّه، و«إنْ كَانَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ» (متفق عليه)، ويعتكف لياليَ في العام، وأمره اللَّهُ أَنْ يُخبِرَ الناسَ بأنَّه يَعبد اللَّهَ وحدَه لا شريك له؛ فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾.

وأمرَ اللَّهُ كفَّارَ قريشٍ بصرف العبادة له دون ما سِواه؛ فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾، وحثَّ النَّبيُّ ﷺ على كثرة التَّعبُّد لِلَّه وحدَه؛ فقال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» (رواه مسلم)، وألزَمَ تعالى جميعَ الخلق بعبادتِه؛ إذ هي الحكمةُ من خلقِهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وأمرَ المؤمنين بالقيام بها؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾، وإذا نشأَ المسلمُ من صِغَرِه على العبادة؛ أظلَّه اللَّهُ تحت ظلِّ عرشِه.

ووصفَ اللَّهُ الصَّحابةَ بكثرة الصَّلاة والتَّضرُّع إليه، فقال في وصفِهم: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالصَّحَابَةُ خَلُصَتْ نِيَّاتُهُمْ، وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبُوهُ فِي سَمْتِهِمْ وَهَدْيِهِمْ».

وعلى هذا النَّهجِ القَويمِ - من خشيةِ اللَّه وكثرة عبادتِه - سارَ سلَفُ الأمَّة ﷺ، قال البزَّارُ عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا تعَبُّدُهُ: فَإِنَّهُ قَلَّ أَنْ سُمِعَ بِمِثْلِهِ؛ لِأَنَّه كَانَ قَدْ قَطَعَ جُلَّ وَقْتِهِ وَزَمَانِهِ فِيهِ، وَكَانَ إِذَا أَحْرَمَ بِالصَّلَاةِ تَكَادُ تَتَخَلَّعُ القُلُوبُ لِهَيْبَةِ إِتْيَانِهِ بِتَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ»، وقال ابنُ كثيرٍ عن ابن القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «وَلَا أَعْرِفُ فِي هَذَا العَالَمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ».

والعبادةُ هي رُوحُ العبدِ وسعادتُه، ويجبُ الصَّبرُ عليها في الحَرِّ والقَرِّ؛ قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾، ولحاجة العبد لها فلا أمَدَ لها ينقضِي في الحياة؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

ولفضلِ اللَّه السَّابغِ على خلقِه يُعيدُ عليهم كلَّ عامٍ شهراً مُباركاً؛ جعله مَغْنَماً للتَّعبُّد في ليلِه ونهارِه، ومن كرمِه أن نوَّع لهم فيه الفضائلَ والطَّاعات، وها هي أيامُه ولياليه قد أزِفَت مليئةً بخيراتِها وبركاتها؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ؛ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُم صِيامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**» (رواه النسائي)، يُؤدِّي المسلمون فيه ركناً من أركان الإسلام، تنطلِقُ فيه النُّفوسُ إلى المُنافسة في الصَّالِحات، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**» (متفق عليه)، قال ابنُ العربيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا تُفَتَّحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ؛ لِيَعْظُمَ الرَّجَاءُ،

وَيَكْثُرَ العَمَلُ، وَتَتَعَلَّقَ بِهَا الهِمَمُ، وَيَتَشَوَّقَ إِلَيْهَا الصَّابِرُ، وَتُغَلَّقُ أَبْوابُ النَّارِ؛ لِتُخْزَى الشَّيَاطِينُ، وَتَقِلَّ المَعَاصِي».

وثوابُ الصِّيام لا يدخلُ في المضاعفة؛ فليس الحسَنةُ فيه بعشر أمثالِها، وإنَّما أجرُه بغير حسابٍ، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «الأَعْمَالُ كُلُّهَا تُضَاعَفُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامُ، فَإِنَّهُ لَا يَنْحَصِرُ تَضْعِيفُهُ فِي هَذَا العَدَدِ؛ بَلْ يُضَاعِفُهُ اللَّهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً بِغَيْرِ حَصْرِ عَدَدٍ».

وكما أنَّ الصَّائِمَ أجورُه بلا حصرٍ، فذنوبُه بالصَّوم تُغفَرُ وتحطُّ؛ قال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهر، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وتَحُفُّ الصِّيامَ أعمالٌ عظيمةٌ في رمضان، فالقرآنُ الكريمُ نزلَ في رمضان، وكان جبريلُ يُدارِسُ نبيَّنا القُرآنَ في ليالِي رمضان، ومَنْ تلاه نَالَه من البركةِ والضِّياءِ والهدايةِ بقدر قُربِه منه، ومَنْ قرأه تضاعفَت له الأجورُ بقدر إخلاصِه فيه.

والصَّائِمُ مُنكسِرٌ بين يدَيْ ربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي! لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (رواه الترمذي)، وأنزلَ اللَّه قوله: ﴿وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، أنزلها بين آيات الصِّيام إيماءً بالإكثار من الدُّعاء في رمضان، والخيرُ يأتي بالخير؛ فالقرآنُ والصِّيامُ دليلانِ لكلِّ طاعةٍ وخيرٍ.

والإنفاقُ في رمضان يتسابَقُ إليه ذوو النُّفوس الشَّامِخة، والمُتصدِّقُ موعودٌ بالمغفرة والغِنَى؛ قال سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾، والمُتصدِّقُ تتيسَّرُ له أعمالُه؛ قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ» (متفق عليه)، ولا يَسْتكثِرُ شيئاً أعطاه، ولا يرُدُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سُرورُه عليه الصلاة والسلام بما يُعطيه أعظمَ من سُرور الآخِذ بما يأخذه.

والزَّكاةُ من أركان هذا الدِّين، لا يقومُ الإسلامُ إلَّا بها، تُطهِّرُ المالَ وتُنمِّيه وتُزكِّيه؛ فطِبْ بها نفساً، وابذُلْ بها كفّاً، وواسِ بها محروماً أو يتيماً، وأخلِص بها قلباً، واحذَرِ التَّسويفَ في إخراجِها، فلا تَعلمُ ما يَعْرِضُ لك.

وكما أنَّ أبوابَ المغفرة مفتوحةٌ في أيام رمضان فهي مُشرَعةٌ أيضاً في لياليه؛ فصلاةُ التَّراويحِ من أسباب المغفرة في رمضان؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي)، و«عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً» (متفق عليه)، وفي لفظ: «تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي».

والطَّاعاتُ إذا توالَت قدِمَت بشائرُ النَّصر إلى المؤمنين، وغزوةُ بدر فاتِحةُ تلك الانتصارات في رمضان، وغزوةُ الخندَق كانت العُدَّةُ لها من السَّنة الخامِسة في رمضان، وفتحُ مكَّة ودخولُ النَّاسِ في دين اللَّهِ أفواجاً وكَسْرُ الأصنام كان في رمضان، وهدمُ مسجِد الضِّرار في رمضان.

والعاقلُ لا يهدِمُ أو يُنقِصُ عباداتِه المُتنوِّعةَ في رمضانَ وغيرِه، ومِنْ كمال الصَّوم الواجِب: حِفظُه من نواقِصِه من الكذِب والغِيبَة والنَّظر إلى المُحرَّم، أو الانشغال بالمُلهِيات وإضاعَة الأوقات؛ قال ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ» (متفق عليه)، ومن فاتَه الغُفرانُ في رمضان فهو المحروم؛ قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» (رواه الترمذي).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالمُسلمُ يتشوَّفُ إلى العبادة ويفرحُ بأدائِها، وإذا دخل فيها أدَّاها بإخلاص للَّه واتِّباع للنَّبيِّ ﷺ، وإذا فعلَ ذلك قَبِلها اللَّه منه وضاعَفَ أجورَها له، ومن الخُلُق مع اللَّه: المُسارعةُ بأوامره بكلِّ استِبشارٍ وسُرور.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مِن أَمارة التَّوفيق للطَّاعة: الاستعدادُ لها بعبادةٍ قبلها، ومِنْ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ: الإكثارُ من صيام شعبان؛ توطئةً لصيام أفضل الشُّهور؛ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَاماً فِي شَعْبَانَ» (متفق عليه)، ومَنْ كان يصومُ من أوَّلِ شعبانَ فله أنْ يصومَ في نصفِه الأخير.

ولم يثبُتْ عن النَّبيِّ ﷺ في فضلِ شعبان شيءٌ سِوى الإكثارِ من صومِه، وليست فيه ليلةٌ فاضِلةٌ لا في أولِه ولا مُنتصَفِه ولا آخرِه، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «قِيَامُ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ لَمْ يَثْبُتْ فِيهَا شَيْءٌ عَنِ النَّبيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ»، وخيرُ الهَدْيِ: ما شرَعَهُ نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، والمُوفَّقُ مَنْ جمعَ بين إخلاصِ العمل للَّه والاقتداء بالنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَشْرَفُ الشُّهُورِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تتوالَى نِعَمُ اللَّه الظَّاهرةُ والباطنةُ على عباده، وقد أكرمَ سبحانه عبادَه بشهرٍ عظيمٍ مَخْصُوصٍ بالقَدْر والتَّكريم، مُفضَّلٍ على سائر الشُّهور، أنزل فيه كتابَه وفرضَ صيامَه، زمنُه زمنُ العتقِ والغفران، وهو موسمُ الصدقات والإحسان، تتوالَى فيه الخيراتُ وتعمُّ البركات، كان النَّبيُّ ﷺ يقول لأصحابه: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ؛ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيامَهُ، تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر رمضان، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» (رواه النسائي)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَيْفَ لَا يُبَشَّرُ المُؤْمِنُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الجِنَانِ؟! وَكَيفَ لَا يُبَشَّرُ المُذْنِبُ بِغَلْقِ أَبْوَابِ النِّيرَانِ؟! كَيْفَ لَا يُبَشَّرُ العَاقِلُ بِوَقْتٍ تُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ؟! مِنْ أَيْنَ يُشْبِهُ هَذَا الزَّمَانَ زَمَانٌ؟!».

رمضانُ أشرفُ الشهور وأزكاها عند اللَّه، جعله تعالى ميداناً لعباده يتسابقون فيه بأنواع الطَّاعاتِ والقُرُبات، شهرُ مِنْحةٍ لتزكيةِ النُّفوسِ وتَنْقِيَتِها من الآفاتِ والضَّغائنِ والأحقاد، في هذا الشَّهر مغانمُ لطاعات اللَّه - قرآنٌ وقيام، صدقةٌ وصيام، عطفٌ وإحسان -؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» (رواه الترمذي).

والعُمْرَةُ فيه فاضلة؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حِجَّةً**» (متفق عليه).

ودَعوة الصَّائمِ لا تُردُّ، وفي الثُّلثِ الأخيرِ من اللَّيل ينزل ربُّنا؛ فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**» (رواه مسلم).

شهرُ رمضان يَغتنِمه المُشمِّرون لبرِّ الوالدَين والقُربِ منهم والتَّودُّدِ إليهم، ولصِلَة الأرحام، والإحسان إلى الأهل والأولاد بالتَّوجيهِ السَّديد والمعاملةِ الحسنة، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّائِمُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ فِي عِبَادَةٍ، وَيُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ فِي صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ؛ فَهُوَ فِي نَهَارِهِ صَائِمٌ صَابِرٌ، وَفِي لَيْلِهِ طَاعِمٌ شَاكِرٌ».

والصَّدقةُ ميدانٌ لتفريجِ الكروبِ عن الغنيِّ قبل الفقير، يظهرُ أثرُها على المُتصدِّق في نفسه وماله وولده، وتَدفعُ عنه البلاءَ وتَجلبُ له الرَّخاء، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ البَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ - خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ -، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ، وَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ».

وفي نسمات الخير والبركات وأعظم شهرٍ في العام: في النَّاس مَنْ يَتجرَّأُ على العصيان - من إطلاقِ البصرِ في المحظورات، أو إرخاء الأُذُن للمحرمات -، وفيهم من يُضيِّعُ لحظاته الثمينةَ بكثرة لهوٍ يُبعِدُه عن الطاعة، وكلُّ مُتعةٍ بمحرَّمٍ نهايتُها حسرةٌ وندامة.

والتَّوبةُ بابُها مفتوحٌ وخيرُها ممنوح، وفي شهر الخير أرجَى؛ قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» (رواه مسلم)، والذَّنبُ يغفِره اللَّهُ وإن عَظُم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي» (رواه الترمذي).

واليأسُ والقنوطُ سلاحُ لإبليسَ ليُبقِيَ العاصيَ على عصيانه، والعبدُ مَهمَا عمِلَ من المعاصِي والخطايا فالرَّبُّ غفورٌ رحيمٌ لا يُيأَسُ

منه؛ فالتوبةُ تهدِم ما قبلها، والإنابةُ تجُبُّ ما سلَفَها، ومِنْ أعظم أسباب المغفرة: أنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنباً لم يرجُ مغفرتَه من غير ربِّه، قال لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ! عَوِّدْ لِسَانَكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهَا سَائِلاً».

وعلامةُ التوبةِ: الندمُ على ما سلَف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب، ومُجانبَةُ رُفقةِ السُّوء، ومُلازمَةُ الأخيار.

واحفظْ لسانَك وسمعَك وبصرَك عمَّا حرَّم اللَّه، قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي فِي كَلَامِهِ، كَانُوا إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي المَسَاجِدِ وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحَداً».

وليكن يومُك خيراً من غابِرِك، واغتنِم زمنَ الأرباح، وسابِق فيها غيرَكَ إلى الخيرات؛ فأيَّامُ المواسمِ معدودة، وأوقاتُ الفضائلِ مشهودة، وفي رمضانَ كنوزٌ غالية، فلا تُضيِّعْها باللَّهْو وما لا فائدة فيه، فلا تعلمُ هل تُدرِكُ رمضانَ الآخرَ أم لا؟ واللَّبِيبُ مَنْ نَظَرَ في حاله، وفكَّر في عُيُوبِه، وأصلحَ نفسَه.

وعلى المرأة أن تكونَ شامخةً بشرفها، صائنةً عَفافَها، مُتزيِّنةً بزينةِ الدِّين، مُتجمِّلةً بجمال السِّتر والحياء، فليالي رمضان معدودة، والأنفاسُ في الحياة يسيرة، والسَّعيدُ مَنْ ملأ حياتَه بالطَّاعة والإحسان، وابتعدَ عن المعاصي والأوزار، واغتنمَ مواسمَ العام.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ستنقضِي الدُّنيا بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمارُ بطولها أو قِصَرها، وكم من إنسانٍ انتظرَ رمضانَ بأقوى الأملِ فباغَتَه الأجل؟! فافتح فيه صفحةً مُشرقةً مع مولاك، واسدِلِ السِّتار على ماضٍ نسيتَه وأحصاهُ اللَّه عليك.

وتُب إلى التَّوَّابِ الرَّحيمِ من كلِّ ذنبٍ وتقصيرٍ وخطيئة، وفي اغتنامِ مواسمِ الخيرِ - بالعملِ الصَّالحِ والتَّوبةِ - ما يُعوِّضُ اللَّهُ به العاملين عمَّا مضى من نقصِ العمل، ويَصرِفُ به عقوبةَ ما اقتُرفَ من الزَّلَل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَيَّامٌ ثَمِينَةٌ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

شرُفت هذه الأمَّةُ بشهرٍ تتطهَّرُ فيه النُّفوسُ من العصيان والآثام، ومن نقائص الخصال، يشغَل المسلمون فيه أوقاتَهم بالطاعة وتلاوةِ القرآن، يُنزِّهُ الصِّيامُ نفوسَهم، ويهذِّبُ القِيامُ أخلاقَهم، ويُلِينُ القرآنُ قلوبَهم، يتسَابقون في لياليه بالفَضائل، ويتنافسون في أيَّامه بالجود.

وفي عَشرِهِ الأواخر تزكو الأعمال وتُنالُ الآمَال، ولياليه تحيا بالتَّعبُّد والتَّهجُّد، تقولُ عائشةُ ﵂: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ: أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه)، وكان ﷺ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّامن عشَر من شهر رمضان، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يضاعِف أعماله الصَّالحةَ في شهرِ رمضان، ويخصُّ العشرَ مِنها بالمضاعفةِ، تقول عائشة ﵂: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم).

إِنَّها سوقٌ يتنافَسُ فيها المشمِّرون، وامتِحانٌ تُبتَلَى فيها الهِمَم، وفي العَشرِ الأواخرِ ليلةٌ مباركةٌ هي تاجُ ليالي الدَّهر، كثيرةُ البرَكات، عزيزة الساعات، القليل مِنَ العمل فيها كثير، والكثيرُ منها مُضَاعَف: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، ينزل مِنَ السَّماءِ خَلقٌ عَظيم لشُهودِ تلكَ اللّيلةِ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾، القَائمُ في ليلَتِها بالتَّعبُّد مغفورٌ له ذنبُه، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، فيها تُفتَحُ الأبوابُ، ويُسمَعُ الخطاب، يَصِلُ فيهَا الرَّبُّ ويَقطَع، يُعطي ويَمنَع، يَخفِض ويَرفَع، تقول عائشة ﵂: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

«**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، ولم يَكنِ النَّبيُّ ﷺ يدَعُ قيامَ اللَّيل في سَفَرٍ أو حَضرٍ، وكان يُصلِّيه قائماً وقاعداً حتى تَتفطَّرَ قدماه، وسارَ رَكْبُ الصَّحابةِ المبارك على ذلك الهَدْي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾، وقال سبحانه: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

والقيامُ للَّهِ في الظُّلَم من أعمَال أهل الإيمان: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، وصَلاةُ اللَّيل أعظمُ ما يُرجَى، وأزكَى ما يُقدَّم، وهي مِن أسبابِ دُخولِ الجِنان، يقولُ المصطفى ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه الترمذي)، وليالي رمضانَ مُبَشَّرٌ من قامَها بغُفرانِ الذُّنوبِ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

أيُّها المسلمون:

الدُّعاءُ حَبلٌ ممدودٌ بين السَّماء والأرض، وهو المغنَمُ بلا عَناءٍ، ومن أنفعِ الأدويَة للدَّاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، وفي كلِّ ليلةٍ ساعةُ إجابةٍ، الأبوابُ فيها تُفتَّح، والكَريم فيها يَمْنَح، فسَلْ فيها ما شِئتَ؛ فخزائِن اللَّه ملأَى، والمعطِي كريم، وأيقِن بالإجابةِ؛ فالرَّبُّ قديرٌ، وبُثَّ إليه شكواك فإنَّه الرَّحيم، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» (رواه مسلم)، ونَسَماتُ آخِرِ اللَّيل مظِنَّة إجابَةِ الدَّعوات؛ قيل للنَّبيِّ ﷺ: «أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: **جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ**» (رواه الترمذي).

والعبدُ مفتقِرٌ إلى محوِ أدران خطاياه، والانكسارِ بين يدَي اللَّهِ والافتقارِ إليه، ومِنْ أرجَى أحوال التذلُّل: الاعتكاف في بيتٍ من بيوت اللَّه طلباً لعفوِ اللَّه، وكان نبيُّنا ﷺ يعتكفُ العشرَ الأخيرةَ من رمضان.

وإذا قَرُب العبدُ من ربِّه لطَفَ اللَّه به، وساق إليه الإحسانَ من حيثُ لا يشعُر، وعصمَه من الشرِّ من حيث لا يحتَسِب.

أيُّها المسلمون:

الزَّكاةُ رُكنٌ من أركانِ الإسلام ومبنًى من مبانِيه العظام، فيها تقوَى أواصِرُ المودَّة بين المسلِمين، وفيها تطهيرُ النُّفوسِ وتزكِيَتُها من الشُّحِّ؛ يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وهِيَ حقٌّ واجِبٌ، وفرضٌ لازمٌ، وشريعةٌ عادِلةٌ، فيها استِجلاب البركةِ والزِّيادةِ والخُلف من اللَّه ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

في الزَّكاةِ سموٌّ بالأرواح والأخلاقِ بالجود والسخاء، بها يكتَمِل العدلُ ويعمُّ الرخاء، ويَسعَدُ الفقراء، وهي حِليَة الأغنياء، وزِينة الأتقياء، ووصيَّة الأنبياء: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾، ولقد جاء الوعيدُ في حقِّ مَنْ بَخِل بها؛ يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وصحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**مَنْ آتاهُ اللَّهُ مالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجاعاً أَقْرَعَ** - وهو ثُعبان سقطتْ فَرْوَةُ رأسه من كثرة سُمِّه -، **لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ** - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ -، **ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾**» (متفق عليه).

فتَوَاضَعْ بقلبِكَ للمسكين، وابذُلْ له من المال، وادْنُ منه، واحْنُ عليه، ولا تحتَقِر فقيراً، فإنَّ أكثرَ أهل الجنة هم الفقراء، وأنفِق بكرَم يدٍ وسَخاوةِ نفسٍ؛ يُبارَك لك في المالِ والوَلد، والصَّدقةُ دواءُ الأمراضِ والأعراض، فابتغوا الضُّعفاءَ والمحاويج، وابذُلُوا تُرزَقوا، وارْحَمُوهم تُرحَموا، فما اشْتَكى فقيرٌ إلَّا مِنْ تقصيرِ غنيٍّ.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فللشَّهرِ العظيمِ حُرْمَتُه، وعلى المسلم أن يتجنَّبَ خوارقَ صيامه، وأن يحفظَ بصرَه عن النَّظرِ إلى المُحرَّمات، وسمعَه عن السَّيِّئات، وأن يصونَ وقتَه عن المُلْهيات، فللوقتِ الباقي في هذا الشَّهر قيمتُه، وللزَّمن اليسيرِ فيه قَدْرُه، فيه تُسكَبُ العبراتُ بكاءً على السَّيِّئاتِ، فكم لربِّ العزَّة من عتيقٍ من النَّارِ؟! وكم من أسيرٍ للذُّنوبِ وصَله اللَّه بعد القطعِ وكتب له السَّعادةَ من بعد طول شقاء؟!

وعلى المرأةِ أن تتجنَّبَ عثراتِ الطريق، وأن لا تخرجَ إلى الأسواقِ إلَّا لحاجةٍ، مع التزامِها بالعَفافِ والسِّتر والحياء.

وعلى المسلم أن يُقدِّم في أيام رمضان المبارَك توبةً صادِقة بعملٍ مِن الباقيات الصَّالحات، فما الحياةُ إلَّا أنفاسٌ معدودة وآجالٌ محدودة، والأيام مطاياكم إلى هذهِ الآجال، فاعمَلوا وأمِّلوا وأبشِروا؛ فالمَغْبُونُ

مَنِ انصرفَ أو تشَاغلَ بغيرِ طاعةِ اللَّه، والمحرومُ مَنْ حُرِم ليلةَ القدرِ، أو أدرَك شهرَ رمضان فلم يُغفَرْ له؛ قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» (رواه الترمذي).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

نَفَحاتُ رَمَضانَ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

امتنَّ اللَّه على عباده بأن شَرَع لهم أنواعاً من العبادات؛ لِتتنوَّع اللَّذَّات في جنَّات النَّعيم، واللَّه سبحانه بفضله جعل لكل عملٍ من الأعمال المَحبُوبَةِ له والمَسْخُوطةِ أثراً وجزاءً، ولذَّة وألَماً يَخصُّه، لا يُشبِهُ أَثَرَ الآخر وجزاءه؛ ولهذا تنوَّعتْ لذَّاتُ أهلِ الجنَّة وآلامُ أهلِ النَّار، وتنوَّع ما فيهما من الطَّيِّبات والعقوبات؛ فلبِرِّ الوَالِدَيْن جزاءٌ، ولصِلَة الرَّحِم ثوابٌ، ومَنْ حَافَظَ على الصَّلاة دخل من باب الصَّلاة، ومَنْ كان من أهل الصَّدقات دخل من باب الصَّدَقة، ومَنْ كان من أهل

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر رمضان، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الصِّيام دخل من باب الرَّيَّان، وكلُّ بابٍ لأهلِه من الجزاء ما ليس لغيرهم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَنَوَّعَتْ أَعْمَالُهُ المَرْضِيَّةُ المَحْبُوبَةُ لَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، تَنوَّعَتِ الأَقْسَامُ الَّتِي يَتَلَذَّذُ بِهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ وَتَكَثَّرَتْ لَهُ بِحَسَبِ تَكَثُّرِ أَعْمَالِهِ هُنَا، وَكَانَ مَزِيدُهُ بِتَنَوُّعِهَا وَالِابْتِهَاجِ بِهَا وَالِالْتِذَاذِ هُنَاكَ عَلَى حَسَبِ مَزِيدِهِ مِنَ الأَعْمَالِ وَتَنَوُّعِهِ فِيهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ».

فرمضان تُضاعف فيه الأعمال، وتُكفَّر فيه الخطايا والأوزار؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**» (رواه مسلم)، وهو شفيعٌ لأصحابه؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا اسْتَعَانَ أَحَدٌ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ بِمِثْلِ الصَّوْمِ».

وفي تلاوة القرآن أجرٌ عظيم؛ كلُّ حرفٍ بحَسَنَة، والحَسَنَة بعَشْر أمثالها، والعبد منزلته في الآخرة عند آخر آيةٍ كان يرتِّلها في الدُّنيا، وفي القبر والحشر يَشْفَعُ القرآنُ لصاحبه عند اللَّه، وهو نورٌ وهدًى وشفاءٌ، قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ؛ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ».

«**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، وهي من أعمال أهل الجنَّة؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۞ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾، وصلاةُ اللَّيل من أسبابِ دخولِ الجنَّة؛ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا**

الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (رواه الترمذي)، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ - أَيْ: تَتَشَقَّقَ - قَدَمَاهُ - مِنَ القِيَامِ -»، وكان الصَّحابةُ ﷺ يُحْيُون زمناً من اللَّيل بالصَّلاة؛ قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، وقال سبحانه في وصفهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، و«**مَنْ صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» (رواه الترمذي).

والمرءُ في ظلِّ صدقته يوم القيامة، وموعودٌ بالمغفرة والغِنى؛ قال سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾، والمنفِقُ المؤمنُ آمنٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والمتصدِّق تُيسَّرُ له أعمالُه؛ قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ» (متفق عليه)، ولا يَسْتكثِرُ شيئاً أعطاه، ولا يَرُدُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرورُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخِذِ بما يأخذه.

والزَّكاة من أركان هذا الدِّين، لا يقومُ الإسلامُ إلَّا بها، تُطهِّر المال وتُنَمِّيه وتزكِّيه، فطِبْ بها نَفْساً، وابذُلْ بها كفّاً، وواسِ بها

محروماً أو يتيماً أو مَنْ فَقَدَ عائلاً، وأخلِصْ بها قلبكَ، واحذرِ التَّسويف في إخراجها؛ فلا تعلمُ ما يَعْرِضُ لك.

والمرأة مأمورةٌ بما يُؤمَرُ به الرِّجال - من التَّلاوة، والتَّعبُّد، والصَّدَقة، وقيام اللَّيل -، وصلاتُها في دارِها خيرٌ لها من صلاتها في مسجدها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ» (رواه أبو داود).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

القلوبُ أوعيةٌ، وخيرُها أوعاها، وتصفيةُ العمل من الآفات أشدُّ من العمل.

ورمضانُ موسمُ الاغتنامِ واستباقِ الخيرات، وقد أفلح مَنْ أَخْلَصَ فيه لربِّه، وكل ما لا يُبتغى به وجهُ اللَّه يَضْمَحِلُّ، وكِتْمانُ الحسنات من الإخلاص، والرِّياءُ مِنْ مُفْسدَاتِ الأعمال، فاحذروا الرِّياء: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

لَيَالٍ مُبارَكَةٌ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

جعل اللَّهُ شهرَ رمضانَ غُرَّةَ العام، وفضَّلَ أوقاتَه على سائرِ الأوقات، وخصَّه بمزيدِ الفضل والإكرام؛ نهارُه صيامٌ وليلُه قيام، آياتُ الكتاب فيه تُتلى، وأبواب النِّيران فيه تُغَلَّق، وأبواب الجنان فيه تُفَتَّح، والأعمال فيه تُضاعَف، والخطايا والأوزار فيه تُكَفَّر؛ قال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ» (رواه مسلم)، قال

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع عشَر من شهر رمضان، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المَغْفِرَةُ وَالعِتْقُ: كُلٌّ مِنْهُمَا مُرَتَّبٌ عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ».

هو شهرُ الخيرات ومضاعَفةِ الحسنات وإقالة العَثَرات، صيامُه وقيامه وسيلة لمغفرة الذُّنوب، أجورُ تلاوته مضاعَفَة، من أجل ذلك اغتنَم السَّلف زمانَه بالتِّلاوة والقيام، فكان الأسود رَحِمَهُ اللَّهُ يختِم القرآن في كلِّ ليلتين، قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ؛ مَا شَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكِمْ».

التِّجارةُ فيه رابحة مضاعَفة، المُنفِقُ موعودٌ بالمغفرة والغِنَى؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾؛ بل إنَّ النَّفقةَ مُخلَفَة؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ» (متفق عليه)، وكان لا يَستكثِرُ شيئاً أعطاه ولا يَردُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرورُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذِ بما يأخذه.

والزَّكاةُ مِن أركان هذا الدِّين، لا يقوم الإسلام إلَّا بها، تُطهِّرُ المال وتُنمِّيه وتزكِّيه، فطِبْ بها نفساً، وابذُل بها كفّاً، ووَاسِ بها محروماً، وأَخْلِصْ بها قلباً، واحذَرْ منها تسويفاً؛ فالوعيدُ شديدٌ على مَنْ يبخَل بها.

والمُسلمُ تتكَالبُ عليه فتن الأهواء والشُّبهات، والتَّوجه إلى اللَّه بالتَّعبُّد في خير ليالِي الدَّهر من أسباب دَرْئِها عن الفؤاد؛ فالعبد كلَّما

قرب من اللَّه خنَس الشَّيطان منه، قال سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَا اسْتَعَانَ أَحَدٌ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظِ حُدُودِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ بِمِثْلِ الصَّوْمِ»؛ فحقيقٌ بالمسلم أن يكثرَ من تلاوة كتاب اللَّه الكريم، وأن لا يَنصرف في ليلتِه إلَّا مع إمامِه طمَعاً في حطِّ أوزاره وخطاياه؛ كما قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

وفي اعتكافِ القلبِ والبدنِ في لياليه العَشْرِ في بيوتِ اللَّه ثوابٌ عظيم، والإقبال على اللَّه جل وعلا بالتَّبَتُّلِ والتَّضرُّعِ عصمةٌ من الهَوَى، وسلامَةٌ من الوقوعِ في الزَّلَل والعصيان، والبُعدُ عن المُلهيات والمحرَّمات تزكيةٌ للقلوب.

والمرأة مأمورة بما يؤمَر به الرِّجال - من التِّلاوة، والتَّعبُّد، وقيام اللَّيل - إلَّا أنَّ صلاتَها في دارِها خيرٌ لها من صلاتِها في مسجدها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**» (رواه أبو داود)، وعليها أن تحافظَ على تعبُّدها بالسِّتر والعَفاف وكمالِ الحجاب، وَلْتَحذرْ نَزَغات الشَّيطان لها وخطواته باستدراجها إلى مواطن الفتن، ونبذ السِّتر والوقوع في العصيان، وَلْتُحافظْ على اغتنام لحظاتِ الشَّهر بما يُقرِّبها إلى اللَّه.

أيُّها المسلمون:

دين اللَّه متينٌ، وشرعه قويٌّ قويم، تكفَّلَ اللَّهُ بِنُصرته ونشرِه في الآفاق؛ قال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ

عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، وفي هذا الشَّهرِ الكريم قاتَلت الملائكة مع نبيِّ اللَّه وصحابته في أعظم وأوَّلِ غزوة كانت هي الفرقان بين الحقِّ والباطل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

وإنَّ السُّخريةَ بالدِّين - في زمن نُصرةِ اللَّه له وفي ليالي تنزيلِ القرآن العظيم - مِنَ الخُذلانِ المُبينِ ومِنَ المُحادَّة لربِّ العالمين؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾.

ومَنْ سَخِرَ بالدِّين سَخِرَ اللَّهُ منه وأذلَّه وتوعَّده، قال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

وفرضٌ على كلِّ عبدٍ: الانقيادُ لهذا الدِّين والتَّذلُّلُ له، وتعظيمُ شعائرِه وشرعِه، والابتعاد عن الطَّعنِ فيه أو السُّخريةِ به أو الاستهزاءِ بأحكامه، وحرامٌ على المُسلمِ النَّظر إلى ما فيه طعنٌ بشعائرِ الإسلام؛ قال ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

ومَنْ بُلِي بمثلِ تلك العظائم: فعليه بالتَّوبةِ الصَّادقةِ والحَذرِ مِن استدراجِ اللَّه له؛ فكيدُ اللَّهِ مَتين، وبطشُه شديد، وأبوابُ رمضان مُفتَّحةٌ لعباده الآيبين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

القلوبُ أوعية متنوعة، وخيرُها أوعاها، وتصفيةُ العمل من الآفاتِ أشدُّ من العمل، ورمضانُ موسِمٌ يُغتنم وقد أفلح من أخلَصَ فيه لربِّه، وكلُّ ما لا يُبتَغَى به وجه اللَّه يَضمحلُّ، وكِتمانُ الحسنات من الإخلاص، والرِّياءُ مِنْ مُفسداتِ الأعمال.

فتزوَّدْ لآخرتك وتجافَ عن دنياك، واستعِدَّ للموت، وأكْثِرْ من الطَّاعات، واحذَرِ الذُّنوبِ والأوزار؛ فالدُّنيا أوَّلُها عناء، وآخرُها فناء: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الأَعْمالُ فِي رَمَضانَ

بَشَائِرُ رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى اللَّهَ وَقاه، ومَنِ اتَّبعَ هواه أَرْدَاه.

أيُّها المسلمون:

صلاحُ القلب واستقامتُه متوقِّفٌ على توجُّهِه إلى ربِّه ﷻ بالكُلِّيَّة؛ لِيَسعدَ السَّعادةَ النَّفسيَّةَ والجِسميَّة، وتَهونَ عليه أمورُ الدُّنيا، ويَنْشطَ في فعل الخيرات والمسابقةِ إلى الطَّاعات، ومن رحمةِ العزيزِ الرَّحيمِ بعبادِه: أنْ شرعَ لهم ما يُذْهِبُ فضولَ المشاربِ ويَستفرغُ من القلب أخلاطَ الشَّهوات، والنَّفسُ إذا جاعت رقَّ القلبُ وصفا.

والمسلمون استقبلوا سيِّدَ الشُّهور - شهرَ الغنائمِ والبشائر، شهرَ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الخامس من شهر رمضان، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

العفوِ والغُفران، شهرَ الفضائلِ والنَّفحات - له في نفوسِ الصَّالحين بهجة، وفي قلوب المُتعبِّدين فرحة، رُبَّ ساعةِ قبولٍ أدركتْ عبداً فبلغ بها درجات الرِّضا والرِّضوان، قال أحدُ الصَّالحين عند موتِه: «مَا أَبْكِي إِلَّا عَلَى أَنْ يَصُومَ الصَّائِمُونَ لِلَّهِ وَلَسْتُ فِيهِمْ، وَيُصَلِّي المُصَلُّونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ».

فيه ليلةٌ تاجٌ على رأس الزَّمان - هي خيرٌ من ألفِ شهر -؛ «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

شهرُ المغفرة ومَحْوِ السَّيِّئات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجِنَانِ - وَفِي لَفْظٍ: أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ -، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وهو شافعٌ لصاحبه.

أيُّها المسلمون:

من أراد السَّعادة الأبديَّة؛ فَلْيَلْزَمِ العبوديَّة، وعملُ البرِّ لا يقومُ على سُوقِه إلَّا بالإخلاص، و«شَرَفُ المُؤْمِنِ: قِيَامُ اللَّيْلِ» (رواه الحاكم)، «وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ» (رواه مسلم)، فيه تَصفُو الأوقات وتَحلُو المناجاة، وقد تنافسَ الصَّالحون في ظَلمَائِه وأحبُّوا الدُّنيا لِلَيلها، قال أبو سليمان الدَّارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهِ لَوْلَا قِيَامُ اللَّيْلِ مَا أَحْبَبْتُ الدُّنْيَا»، واللَّيلُ ثمينٌ بدُجاه، وقيامُه من نعوت الصَّالحين المبشَّرين بجنَّات النَّعيم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، كان الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «مَا تَرَكَ أَحَدٌ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَّا بِذَنْبٍ أَذْنَبَهُ»؛ فافتح

صفحةً مشرقةً مع مولاك، واسْدِل السِّتارَ على ماضٍ نسيتَه وأحصاه اللَّه عليك.

والدُّعاءُ سهمٌ باللَّيل، حبلٌ ممدودٌ بين السَّماء والأرض، رِبحٌ ظاهرٌ بلا ثمن، ومغنَمٌ بلا عناء، هو عدوُّ البلاء يُدافعُه ويَمنعُ نزوله، و«**لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ**»، خزائنُ اللَّه مَلْأَى ويداه، «**لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، فكُنْ على رجاءٍ من الإجابة؛ فالمَدْعوُّ كريم.

واجعل لك في هذه اللَّيالِي مدَّخراً فإنَّها أنفس الذُّخر، وما غُسِلت سيئةٌ بأبهى من دمعةِ حسرةٍ لَيْليَّةٍ على التَّفريط، فقارِبِ الأقدامَ مع المُصلِّين إلى انصراف إمامِهم تَحْظَ بالثَّواب، وَمَن لم يُصبِّرْ نفسَه على طاعة ربِّه وَيُوَطِّنْها على محبَّته؛ ابتُلي بتعذيبها على المعاصي وذُلِّها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

الكتابُ العزيزُ آيةُ الرِّسالةِ ونورُ البصائر والأبصار، لا طريقَ إلى اللَّه سواه ولا نجاةَ لنا بغيره، نزل في خير الشُّهور، ومن أفضل ما تُعمَرُ به الأوقات في رمضان: كثرةُ تلاوتِه وتدبُّرِه والعملِ به، وكان الأَسْودُ رَحِمَهُ اللَّهُ يقرأُ القرآنَ في كلِّ ليلتين في رمضان، وكان قتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَختِمُ القرآن في كلِّ ثلاثٍ وفي العَشْرِ الأواخِر في كلِّ ليلةٍ، وما في القرآن من المواعظ والعبر تَزيدُ المؤمن خشوعاً وخضوعاً.

أيُّها المسلمون:

الغنيُّ الشَّحيحُ فقيرٌ مُزَخرَف، وذو الثَّراء المُمْسِكُ خادمٌ مُبتذَلٌ يجمعُ المالَ لغيره، والتَّاجرُ البخيلُ يَحمِلُ ورقاً لا نقداً، ولقد «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُوْنُ فِي رَمَضَانَ» (متفق عليه)، إِنْ أنفقَ أجزل، وإِنْ مَنَحَ أغدق، وإِنْ أعطى أعطى عطاءَ من لا يخشى الفاقة، ما سُئل شيئاً إلَّا أعطاه، وما ردَّ سائلاً إلَّا أن لا يجدَ شيئاً.

ورمضانُ موسمٌ للمتصدِّقين، يتنافسُ فيه ذوو العطاء بالبذل والإنفاق ومدِّ اليد إلى ذوي المسكنة والفاقة، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وشحٌّ، ولا يُنقِصُه بذلٌ وعطاء، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِئْسَ الرَّفِيقُ الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ؛ لَا يَنْفَعَانِكَ حَتَّى يُفَارِقَاكَ»، ومَنْ جادَ على عباد اللَّه جَادَ اللَّهُ عليه، ومَنْ فُتِحَ له بابُ خير فَلْيَنْتَهِزْه؛ فإنه لا يَعلمُ متى يُغلَقُ دونه، وإن استطعت أن لا يَسبِقَكَ إلى اللَّه أحدٌ؛ فافعل.

مات زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فافتقد أهلُ المدينة صدقةَ السِّرِّ، ولَمَّا غسَّلوه وجدوا آثارَ سوادٍ في ظهره ممَّا يَحملُه على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة؛ فالصَّدقةُ يَظهرُ أثرُها على النَّفسِ وبركةِ المال والولدِ ودفعِ البلاءِ وجلبِ الرَّخاء، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ البَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ - خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ -، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ، وَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ»، فابتغوا

ذوي المسكنة ولو بالقليل؛ فالقليل في جنب اللَّه كثير، قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَعْرِفُ حَبَّةً تَزِنُ جِبَالَ الدُّنْيَا إِلَّا الحَبَّةَ مِنَ الصَّدَقَةِ»؛ فابذُل فالبذلُ رِفعة، والسَّخاءُ مَكرُمة، وكلَّما سَمَتِ النَّفسُ كان البذلُ أعظم، والمرءُ في ظلِّ صدقته يوم القيامة.

أيُّها المسلمون:

الفسادُ كلُّه في طولِ الأمل واتِّباعِ الهوى، والصَّلاحُ كلُّه في الاستعدادِ للقاءِ اللَّه واتِّباع الهدى، وبعضُ المسلمين يَتِيهُ في سَكْرة الغفلة والإعراضِ، في ليله هائم وفي نهاره نائم، خان جوارحَه وفرَّط في دُرَرِ شهره، وبعضُ الآباء والأولياء أرخوا زمامَ الحزم لأبنائهم وبناتهم تشبُّثاً بصفة الثِّقة بهم؛ فيأذنُ لبناته بالتَّجوُّل في الأسواق بلا رقيبٍ ولا حسيب، فيَعْرِضْنَ المَفَاتِن ويتعرَّضْن للفتن.

واعْلَمِي - أيَّتُها المرأة - أنَّ ربَّكِ لكِ بالمرصاد، واللَّه يقول: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾؛ فحافظي على عرضكِ وصُونِي حياءَك، وابتعدي عن رفيقاتِ السُّوء؛ فنازعةُ الحجابِ والمتزيِّنةُ في الأسواق امرأةٌ محتقَرة في المجتمع.

إنَّ واجبَ الآباء إزالةُ المنكرات من دورهم، وإحكامُ الرَّقابة على أولادهم، وعدمُ التَّهرُّبِ من المسؤولية؛ ليَحْسُنَ الحالُ وتَبْرَأَ الذِّمَّةُ في المآل، فأنت - أيُّها الأب - الملومُ والمذمومُ؛ فَوِلايتُك في دارك منحها اللَّه لك من فوق سبع سمواته: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾،

فلا تأذنْ لنسائك بالخروج من بيتك إلَّا لحاجة، وإذا خرَجَت المرأةُ إلى السُّوق؛ فليكن معَها مَحْرَمُها أَحْمَى لجنابها.

وصلاةُ المرأةِ في بيتها أعظمُ أجراً عند اللَّه من صلاتها في المسجد مع الإمام؛ فالبيتُ مكنونُ المرأة وسِترُها، وإذا خرجت المرأة إلى المسجد فَلْتَكن مُحْتَشِمة مستَتِرة، وَلْتَكن البنتُ بجانب والدتها وتحت عينيها؛ فذلك أرعى لها وأزكى لحيائها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أيُّها المسلمون:

ما الحياة إلَّا أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة؛ فاغتنموا شريفَ الأوقات، واعملوا وأمِّلوا وأبشروا؛ فالمَغْبُونُ مَنِ انصرف أو تشاغل بغير طاعة اللَّه، والمحرومُ من حُرِمَ ليلةَ القدر، والمأسوفُ عليه من أدرك شهرَ رمضانَ فلم يُغفر له؛ فاعمُروا أوقاتَكم بالطَّاعة؛ فـ«**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**»، و«**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» (رواه الترمذي).

وألِحُّوا في الدُّعاء والمسألة؛ فدعوةُ الصَّائم مستجابة، وَصِلوا ما تمزَّق من أرحامكم. وعليكم بالتَّوبة ما دام بابُها مفتوحاً والعذرُ مقبولاً؛ فسوء الخاتمة محذور، والموتُ أمرٌ عظيم، ووداعُ الدُّنيا عند الفراق أليم، والأعمالُ والأحوالُ لا تَصفُو إلَّا بتقصير الآمال، وَلْيَكن يومُ أحدكم خيراً من غابره، قال إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقَدْ صَحِبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عِشْرِينَ سَنَةً؛ فَمَا لَقِيتُهُ فِي يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ زَائِدٌ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ بِالأَمْسِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رَمَضَانُ مَغْنَمٌ لِلْخَيْرَاتِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

فضَّلَ اللَّهُ اللَّيالي والأيَّام بعضَها على بعضٍ، واصطفى من الشُّهور شهراً جعله غُرَّة شهور العام؛ أنزل فيه القرآن، وفتح فيه أبواب الجِنان، وأغلق فيه أبواب النِّيران، وصفَّد فيه الشياطين، مَنْ صام نهارَه إيماناً واحتساباً؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومَنْ قام ليلَه إيماناً واحتساباً؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، وفيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألف شهر، جعله سبحانه مَوْسماً للعفو والغفران، شهرُ الفضلِ والرَّحمة، يُسْتَقْبَلُ بالفَرَح والاستبشار:

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر رمضان، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، شرع اللَّه صيامه؛ لِتحقيق التَّقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

والإخلاص ركنٌ في قبول العمل، فإنْ دخله رياءٌ؛ فَسَد، وإنْ خالطه دعاءُ أموات أو استغاثةٌ بهم؛ حَبِط، واللَّهُ سبحانه عزيز لا يَقبلُ من أحد عملاً كانت النِّيَّة فيه لغيره؛ قال ﷻ في الحديثِ القُدسيِّ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ أَشْرَكَ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» (رواه مسلم)، والعملُ الصَّالحُ المَصحوبُ بالتَّقوى يَزيدُ ويَبْقَى، والعملُ وإن كان صالحاً لكن فسدت فيه النِّيَّةُ يَضمحلُّ؛ قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

والصَّلاة عمود الإسلام وركنه الثَّاني، مَن تركها لم تقبل منه بقيَّةُ الأعمال - مِن صيام أو حجٍّ أو إحسان -؛ قال ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**» (رواه مسلم)، وَمَنْ أصلح نيَّته مع اللَّه، وأدَّى الصَّلوات كما أَمر، ووافَقَ شهرَ الصِّيام وقامَ به حقَّ القيام؛ فقدْ ظَفِر.

والزَّكاةُ قرينةُ الصَّلاة في كثيرٍ مِن آيِ القرآن، وأصلٌ مِن أصول الدِّين، تُطَهِّر النَّفس من البخل والشُّحِّ، وتُنَمِّي المال وتحفظه، وتَنقلُ المرء إلى مصافِّ الأخيار الكرماء؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، تقي المرءَ من عقوبات الذُّنوب، وتَصرفُ عنه عظيمَ المصائب والكروب، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ

بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾.

أداءُ الزَّكاةِ أَمارةُ الفلاح، وبرهانٌ على اليقين، وهي حقٌّ من حقوق الفقراء، يعطيها الغنيُّ لهم بلا مَنٍّ ولا إذلال، يُكمِّلُ المرءُ بها دينه، ويَحفظُ بها ماله؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ** - أَيْ: ثُعْبَاناً لَا شَعْرَ لَهُ -؛ **لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ** - يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ -، **فَيقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿**وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ**﴾» (رواه البخاري).

مِن الزَّكاة تُقْضى ديون الفقراء والمساكين، وتُدْفع بها حاجاتهم، ويُعان بها المسافر المنقَطِع، وتتألَّف القلوب، وهي مُدَّخرة عند اللَّه، قرضاً مضاعفاً للغنيِّ؛ قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

ورمضانُ مَوْسمُ البذل والعطاء، والبرِّ والإحسان، و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُوْنُ فِي رَمَضَانَ» (متفق عليه)، وإذا أراد اللَّه بعبده خيراً؛ جعل قضاءَ حوائج العباد على يديه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً؛ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجرٍ

الهَيْتَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِمَّا يُعْلِمُكَ بِعَظِيمِ الفَضْلِ فِي هَذَا: أَنَّ الخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَرْفَقُهُمْ بِعِيَالِهِ».

وما سعى ابنُ آدم في إصلاح شيءٍ أعظمَ من سعيه لإصلاح قلبه، ولن يُصلحَ القلبَ شيءٌ مثلُ القرآن، فهو النُّورُ والهدايةُ والشِّفاء، تلاوتُه من أَجلِّ الطَّاعاتِ وأفضلِ القُرُبات، مَنْ قرأ حرفاً منه فله حسنة، والحسنةُ بعشر أمثالها، والماهرُ به مع السَّفَرة الكرام البَرَرَة، والَّذي يَقْرُؤُه ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌّ؛ له أجران.

ورمضانُ شهر القرآن؛ وكان جبريلُ يلقى النَّبيَّ ﷺ «فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ» (متفق عليه)، والقرآنُ أُنزِلَ ليلاً، وتلاوتُه ليلاً أشدُّ لِمَوَاطَأة القلبِ مع اللِّسان؛ فاجعلوا لبيوتِكُم حظّاً من قِرَاءَتِه في ليلِكم ونَهَارِكُم.

«**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، و«**مَنْ قَامَهَا مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» (رواه الترمذي)، ومَنْ قامها في ليالي رمضان؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، و«**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ**» (متفق عليه)، والصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، ومَا سَجَدَ عَبدٌ للَّه سَجدةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّه بها درجةً، ومن كان من أهل الصَّلاة؛ دُعي يوم القيامة من باب الصَّلاة، و«**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**» (رواه مسلم)؛ فأَقْبِلُوا على صلاتِكم فَرِحِينَ بها، مُسْتَبْشِرِين بما وعدكم اللَّه بأدائها.

والعبدُ لا غِنَى له عن ربِّه طرفةَ عين، والسَّعيدُ مَنْ قَرُبَ من اللَّه بإنزالِ حوائجه إليه - بطلب مرغوبٍ أو زوال مرهوب -، مع تحرِّي أزمان وهيئات الإجابة - كالسُّجود، ووقت السَّحر، ونهار رمضان -، وهو سبحانه قريبٌ مِن سائليه، ووعد بإعطاء السَّائل حاجته: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، والإكثار من دعاء اللَّه مِن كمال العُبوديَّة له، ورِفعةُ العبد على قدر انكساره بين يدي اللَّه.

والاعتكافُ في رمضان من سُنَنِ النَّبيِّ ﷺ؛ لتطهيرِ القلبِ من الأدران والخطايا، ولِمُحاسبةِ النَّفس من التَّقصير والتَّفريط، وَلِتُقْبِلَ النَّفسُ على اللَّه لِتَرْتَقِي عنده درجات، فاجعلْ لشَهرِكَ من الاعتكاف نصيباً.

ورمضانُ مغنَمٌ للتَّوبة والإنابة، يُقيلُ اللَّه فيه العثرات، ويمحو فيه الخطايا والسَّيِّئات؛ فأقبِلْ فيه على اللَّه بالنَّدم على التَّفريط، والعزمِ على مجانبة الآثام، وهو سبحانه يُحبُّ الآيب إليه، ويَفرحُ بتوبة التَّائب؛ فتعرَّضوا لنفحات ربِّكم، واستنزلوا الرِّزق بالاستغفار، فأيَّام رمضان معدودة؛ اليومَ نستقبله وغداً نودِّعه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا سريعةُ الزَّوال، وَشِيكةُ الارتحال، وزوالُ بعضِها مُؤْذِنٌ بزوالها جميعها، ورمضانُ موسمٌ للرُّجوع إلى اللَّه، والنَّدمِ على التَّفريط وما مضى مِن سيِّئ الأعمال، والعَزْمِ على استدراك ما فات.

وتعرَّضوا لنَفَحاتِ ربِّكم؛ فكم فيه من عتيقٍ للَّه من النَّار؟! وكم فيه مِن فائزٍ بالرَّحْمة والرِّضوان؟!

واحفظوا صومَكم من الكذبِ والغِيبةِ والرَّفَثِ والفسوقِ، وطهِّروا قلوبَكم من الحسدِ والحقدِ والضَّغائن، واجتهدوا في طاعة ربِّكم، واحذَرُوا ضَيَاع أزمانِكم في اللَّهْو والمُحرَّمات، ولْيكن شهرُكم مَوْسِماً لفعل الخيرات والبُعد عن السَّيِّئات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَنافِعُ رمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أَجْملُ ما أظهرتم، وأَكْرَمُ ما أسررتم.

أيُّها المسلمون:

بنى اللَّهُ الدِّينَ على قواعدَ لا يقومُ إلَّا بها، ونوَّعَ سبحانه بين أركان الإسلام في الأداء؛ فمنها ما يُقامُ في اليوم مرَّات، ومنها ما يُؤدَّى مرةً في العام، ومنها ما أُمِرَ بفعله في العمر مرَّة، ومنها ما يكونُ ملازِماً للمسلم في كلِّ حينٍ - وهما الشَّهادتان -، وهذه الأُسسُ تَشملُ عبادةَ القلبِ واللِّسان، والمالِ والجوارح؛ ليكونَ المرءُ كلَّه للَّه، ممتثلاً أمرَه في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّامن من شهر رمضان، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وركنٌ في الإسلام جعلَه اللَّهُ شهراً كاملاً في العام؛ لِيتزوَّدَ فيه المسلمون من التَّقوى؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، وخصَّ رمضانَ بالصوم لأنَّه الشَّهرُ الذي حلَّت فيه السعادةُ للبشر بنزول القرآن وبِعثةِ النَّبيِّ ﷺ؛ فيشكر المسلمون ربَّهم بالصِّيام في هذا الشَّهر؛ قال ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «يَمْدَحُ تَعَالَى شَهْرَ الصِّيَامِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ بِأَنِ اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ؛ لِإِنْزَالِ القُرْآنِ العَظِيمِ».

ورفعَ اللَّهُ قدرَ هذا الشَّهر؛ فأبوابُ الجنَّةِ تُفْتَحُ فيه وأبوابُ النَّار فيه تُغلَّق، وتُصفَّدُ فيه الشَّياطينُ؛ ليمتنعوا من أذى المؤمنين وإغوائِهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**» (رواه مسلم)، قال ابنُ العربيِّ رحمه الله: «وَإِنَّمَا تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ؛ لِيَعْظُمَ الرَّجَاءُ، وَيَكْثُرَ العَمَلُ، وَتَتَعَلَّقَ بِهَا الهِمَمُ، وَيَتَشَوَّقَ إِلَيْهَا الصَّابِرُ، وَتُغَلَّقُ أَبْوابُ النَّارِ؛ لِتُخْزَى الشَّيَاطِينُ، وَتَقِلَّ المَعَاصِي».

وأساسُ التَّقْوى: إخلاصُ الأعمال للَّهِ وحده، والصَّائمُ يَدَعُ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلِ معبودِه، وهو سرٌّ بين العبدِ وربِّه لا يَطَّلعُ على صومِه سوى اللَّه، وتلك حقيقةُ الإخلاصِ والمراقبةِ للَّه.

في رمضانَ عباداتٌ تُكفِّرُ الخطايا؛ فصيامُه يغفرُ الزَّلَّاتِ والأوزار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ**

يُغْفَرَ لَهُ» (رواه الترمذي)، ومَنْ حافظَ على صيامِه كان وِقايةً له من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ فِي الدُّنْيَا؛ كَانَ ذَلِكَ سَاتِراً لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ»، ومَنْ صلَّى في ليلِه؛ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالمُرَادُ بِقِيَامِ رَمَضَانَ: صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ».

شهرٌ مباركٌ؛ العمرةُ فيه عن حَجَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ لامرأةٍ من الأنصار: «**مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّينَ مَعَنَا؟**» قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحٌ، فَرَكِبَهُ أَبُو فُلَانٍ وَابْنُهُ - لِزَوْجِهَا وَابْنِهَا -، وَتَرَكَ نَاضِحاً نَنْضَحُ عَلَيْهِ، قَالَ: **فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ**» (متفق عليه)، قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ أَنَّ ثَوَابَ العَمَلِ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ شَرَفِ الوَقْتِ، كَمَا يَزِيدُ بِحُضُورِ القَلْبِ وَبِخُلُوصِ القَصْدِ».

في الصَّومِ تزكيةٌ للبدن، وتضييقٌ لمسالكِ الشَّيطان، وهو يهذِّبُ اللِّسان؛ فيدعو إلى مجانبةِ الكذبِ وقولِ الحرام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» (رواه البخاري)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ جَالَسَ الصَّائِمَ انْتَفَعَ بِمَجَالَسَتِهِ، وَأَمِنَ فِيهَا مِنَ الزُّورِ وَالكَذِبِ وَالفُجُورِ وَالظُّلْمِ؛ فَإِنْ تَكَلَّمَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يَجْرَحُ صَوْمَهُ، وَإِنْ فَعَلَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ؛ فَيَخْرُجُ كَلَامُهُ كُلُّهُ نَافِعاً صَالِحاً».

ورَمضانُ شهرُ الكرمِ والبذلِ للفقراء، فإذا صام الغَنيُّ تذكَّرَ من لا قوتَ له، فيدعوه ذلك إلى العطاءِ والسَّخاء، سُئِلَ بعضُ السَّلف: «لِمَ شُرِعَ الصِّيَامُ؟ قَالَ: لِيَذُوقَ الغَنِيُّ طَعْمَ الجُوعِ، فَلَا يَنْسَى الجَائِعَ».

رمضانُ نهارُه عبادةٌ بالصَّومِ والدُّعاءِ ونفعِ المسلمين، وفي ليلِه دعاءٌ واستغفارٌ وتلاوةُ القرآنِ العظيم؛ فمُدارسة جبريلَ عليه السلام للنَّبيِّ ﷺ القرآنَ كانت باللَّيل، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ» (متفق عليه).

الصِّيامُ جُنَّةٌ مِنْ أَمْراضِ الرُّوحِ والقلبِ والبدن، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَنَافِعُهُ تَفُوتُ الإِحْصَاءَ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الصِّحَّةِ».

في الصَّومِ دقَّةُ العبادة؛ فجَمِيعُ المُسْلِمين يُفطِرون في وقتٍ واحدٍ - لا يَتقدَّمُ أحدٌ على آخر، ولا يسبِقُ واحدٌ أحداً في الطَّعام -، الصَّائمُ يجمعُ حفظَ الجوارحِ الظَّاهرةِ وحراسةَ الخواطرِ الباطنة، فينبغي أن يُتلقَّى رمضانُ بتوبةٍ نصوحٍ، وعزيمةٍ صادقةٍ.

رَمضانُ مَوْسِمُ التَّعبُّد للَّه، وكان النَّبيُّ ﷺ يخصُّه بالعبادةِ بما لا يخصُّ غيرَه من الشُّهور، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم أحرصَ النَّاسِ على العبادة في رمضان؛ وكان أبو هريرة وأصحابه رضي الله عنهم «إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي المَسْجِدِ، وَقَالُوا: نُطَهِّرُ صِيَامَنَا» (رواه أبو نُعيم).

وإذا فُتِحَ لك بابُ خيرٍ فبادِرْ إليه؛ فالأبوابُ لا تُفتَحُ للمرءِ على الدَّوام.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الحكمةُ من تشريعِ الصِّيام هي التَّقوى، ومن التَّقوى: الإمساكُ عن الأقوالِ المُحرَّمة، كما يُمسكُ عن الطَّعام والشَّراب، قال جابرٌ رضي الله عنه: «إِذَا صُمْتَ؛ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الكَذِبِ وَالمَآثِمِ، وَدَعْ أَذَى الخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صِيَامِكَ سَوَاءً»، وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «إِذَا صُمْتَ؛ فَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ».

وإذا صمتَ عن الطَّعامِ والشَّرابِ والأقوالِ الآثمة، فلا يكنْ للشَّيطانِ عليك سبيلاً بالنَّظرِ والسَّمعِ المُحرَّم، واجعلِ الجوارحَ كلَّها صائمةً للَّه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

كُنُوزُ رَمَضَانَ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

فضَّلَ اللَّهُ اللَّياليَ والأيام بعضَها على بعضٍ، واصطفى من الشُّهور شهراً جعلَهُ غُرَّة شهورِ العام، خصَّه بمزيدٍ من الفضل والإكرام، نهارُه صيامٌ وليلُه قِيام، آياتُ الكتاب فيه تُقرأُ وتُتلى، تُغلَّقُ فيه أبوابُ النِّيران وتُفتَّحُ فيه أبوابُ الجِنان، فيه تُضاعَفُ الأعمالُ وتُكفَّرُ الخطايا والأوزار.

موسِمُ العفو والغُفران، شهرُ الخير والبركات، تخرُجُ النُّفوسُ فيه

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس عشَر من شهر رمضان، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

من الغفلة والكسَل إلى حلاوة العبادة؛ فالألسُنُ فيه ضارِعة، والنُّفوسُ مُقبِلة، وللعبادة فيه لذَّة، ولها في النَّفس بهجة، وفي الوقت بركة.

وإخلاصُ الأعمال للَّه - من صيامٍ وغيرِه - أصلٌ في الدِّين، ولذلك أمرَ اللَّه رسولَه بالإخلاصِ في قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، وأمرِ النَّبيُّ ﷺ أن يُبيِّن أنَّ عبادتَه للَّه قائمةٌ على الإخلاص؛ فقال له: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، وبذلك أُمِرت جميعُ الأُمم؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

والصَّلاةُ منزلتُها في الدِّين بعد الشَّهادتين، وكان النَّبيُّ ﷺ يأمرُ بها في أوائِل دعوته؛ قال هِرَقلُ لِأبي سُفيَان: «بِمَ يَأمُرُكُمْ؟ - يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ -: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالعَفَافِ» (متفق عليه)، وهي أحبُّ الأعمال إلى اللَّه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» (متفق عليه).

والزَّكاةُ قرينةُ الصَّلاة في كثيرٍ من آيِ القرآن، وأصلٌ من أركان الإسلام، تُطهِّرُ النَّفسَ من البُخل والشُّحِّ، وتُنمِّي المالَ وتحفَظُه، قال جلَّ شأنُه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، تقِي المرءَ من عقوباتِ الذُّنوبِ، وتصرِفُ عنه عظيمَ المصائِب والكُروب، وتُيسِّرُ له الأمور؛ قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾.

ورمضانُ زمنُ البذل والعطاء، كان النَّبيُّ ﷺ أجودَ ما يكونُ في

رمضان، وكلُّ إنفاقٍ فهو مخلوفٌ عند اللَّه، وقرضٌ مُستَرَدٌّ، والمالُ يزيد بالصَّدقة ولا تُنقِصُه، والمرء في ظلِّ صدقته يوم القيامة.

في رمضان عباداتٌ تُكفِّرُ الخطايا؛ فصيامُه يغفِرُ الزَّلَّات والأوزار؛ قال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، ومن حافظَ على صيامِه كان وِقايةً له من النَّار؛ قال ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: «إِذَا كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ فِي الدُّنْيَا؛ كَانَ ذَلِكَ سَاتِراً لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ».

ومَنْ صَلَّى في ليلِه؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه؛ قال ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، قال النَّوويُّ رحمه الله: «وَالمُرَادُ بِقِيَامِ رَمَضَانَ: صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ».

شهرٌ مبارك؛ العمرةُ فيه تعدِل حجَّةً؛ قال ﷺ لامرأةٍ من الأنصار: «مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّينَ مَعَنَا؟ قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحٌ، فَرَكِبَهُ أَبُوْ فُلَانٍ وَابْنُهُ - لِزَوْجِهَا وَابْنِهَا -، وَتَرَكَ نَاضِحاً نَنْضَحُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِي فِيْهِ؛ فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ» (رواه البخاري)، قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: «فِيهِ أَنَّ ثَوَابَ العَمَلِ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ شَرَفِ الوَقْتِ، كَمَا يَزِيدُ بِحُضُورِ القَلْبِ وَبِخُلُوصِ القَصْدِ».

وكتابُ اللَّه الكريم أُنزِلَ في رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾، وهو زمنُ الإكثار من تلاوتِه؛ كان جبريلُ يلقى النَّبيَّ ﷺ «فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ؛

فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ» (متفق عليه)، وكلَّما تلا المسلم كتابَ اللَّه ارتقَى في الجنَّة؛ قال ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» (رواه أحمد).

والدُّعاءُ مِفتاحُ الفرَجِ، وسُلَّمُ الصُّعودِ للخيراتِ، واللَّهُ تفضَّل بإجابةِ دعوة الصائم؛ قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي! لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (رواه الترمذي).

ومن كرمِ اللَّه: أن يزيدَ الفضائلَ في رمضان؛ فجعلَ العشرَ الأواخرَ منه صفوةَ الشهر، ففيها ليلةٌ العبادةُ فيها خير من ألف شهر، ولقَدْرِها عند اللَّه يَكثُرُ تنزُّلُ الملائكةِ في هذه اللَّيلة لكثرةِ بركتِها، والملائكةُ يتنزَّلون مع تنزُّل البركة والرَّحمة.

وكان ﷺ يعتكِفُ في العشر الأواخِر يتحرَّى ليلةَ القدر، قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، قال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الاعْتِكَافَ مِنَ السُّنَنِ المُؤَكَّدَةِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا وَاظَبَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ الاقْتِدَاءُ فِي ذَلِكَ بِنَبِيِّهِمْ».

ففي الاعتِكاف قطعُ العلائِق عن الخلائِق للتفرُّغ لعبادةِ الخالق، وإذا قوِيَت الصلةُ باللَّهِ رضِيَ الربُّ عن العبدِ؛ قال ابن شهابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عَجباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الاِعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ - كُلَّ عَامٍ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ - حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

واحْذَرْ خوارِقَ الصَّوم ومُفسداتِه، وإيَّاك أن تقعَ في أعراضِ المسلمين، واحْفَظْ لسانَك وسمعَك وبصرَك عمَّا حرَّم اللَّه، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي فِي كَلَامِهِ، كَانُوا إِذَا صَامُوا - أَي: الصَّحَابَةُ - قَعَدُوا فِي المَسَاجِدِ وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحداً».

ومن بُلِيَ بسُوءٍ من أحدٍ فلا يُقابِلْه بمثلِ سَوءَته؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ شَاتَمَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**» (متفق عليه).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

دواءُ القلب في خمسة أشياء: قراءةِ القرآن بالتَّدبُّر، وخُلُوِّ البَطْن، وقيامِ اللَّيل، والتَّضرُّع عند السَّحَر، ومجالسةِ الصَّالحين، وليَكُنْ لك في شهر الصَّوم عملٌ وتهجُّدٌ وقُرآن، فاجعلْ شهرَ صومِك عملاً مُتواصِلاً ضدَّ شهوات النَّفس، وانقِطاعاً إلى اللَّه بالعبادةِ والطَّاعة، ومدارسةً لآيات التَّنزيل، وقياماً مُخلِصاً باللَّيل؛ فهو موسِمُ التَّوبة والإنابة، وباب التَّوبة مفتوح، وعطاء ربِّك ممنوح.

فبادِر بالعودة إلى اللَّه واطرُقْ بابَه، وأكثِرْ من استغفاره، واغتنِمْ زمن الأرباح؛ فأيَّامُ المواسم معدودة، وأوقات الفضائل مشهودة، وفي رمضان كنوزٌ غالية، فلا تُضيِّعْها باللَّهِو واللَّعِب وما لا فائدة فيه، واللَّبيبُ مَنْ نَظَرَ في حالِه وفكَّر في عيوبِه، وأصلحَ نفسَه قبل أن يَفْجَأه الموتُ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَقَاصِدُ الصَّوْمِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

شرفُ الإنسان في استِسلامِه لأوامر اللَّه وتحقيقِ العبوديَّة له وحده دُون ما سِواه، وهو ميزانُ التَّفاضُل بين العباد، ومَنْ أرادَ السَّعادةَ الأَبديَّةَ فليلزَم العُبوديَّةَ للَّه، والزَّمانُ مَيدانٌ فسيحٌ للتَّنافُسِ فيها، وللَّه في أيَّامِه نفَحَاتٌ يمُنُّ بها على عبادِه، والمُؤمنُ يتعرَّضُ لها لعلَّه أن تُصيبَه نفحَةٌ لا يشقى بعدَها أبداً.

وها هو رمضانُ - سيِّدُ الشُّهور - نعيشُ لحظَاتِه، موسِمُ الخيرات، والسِّباقِ في القُرُبات، تكثُرُ فيه المِنَحُ والبركاتُ، وتزدادُ فيه

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر رمضان، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

العطايا والهِبات، يُضاعِفُ اللَّهُ فيه الأجرَ، ويُجزِلُ المواهِبَ، ويفتَحُ أبوابَ الخير لكلِّ راغِبٍ، خصَّه اللَّهُ بالفضلِ دُون سائر الشُّهور، واختصَّت أُمَّتُنا بصيامِ شهرٍ تامٍّ على سائر الأُمم في الدُّهور، السَّعيُ فيه مشكُور، والمُؤمنُ فيه محبُور، حَلَّ بنا وهو عن قليلٍ راحِلٌ عنَّا، شاهِدٌ لنا أو علينا، ومُؤذِنٌ بسعادةِ أقوامٍ وشقاءِ آخرين.

رمضانُ شهرٌ مُبارَكٌ، أنزلَ اللَّه فيه أعظمَ كُتُبه؛ قال سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، وفيه تُفَتَّحُ أبوابُ الجنَّة، وتُغَلَّقُ أبوابُ النِّيران، وتُصَفَّدُ الشَّياطين ومرَدَةُ الجان، محفوفٌ بالرَّحمةِ والمغفرةِ والرِّضوانِ، وفيه ليلةُ القدر، - ليلةٌ مُبارَكةٌ هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ -، ولشرفِها؛ تنزَّلُ الملائِكةُ والرُّوحُ فيها، وفيها الخيرُ والسَّلامُ حتى مَطلَعِ الفجر.

شهرٌ تُكفَّرُ فيه الذُّنوبُ والآثام؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**» (رواه مسلم)، و«**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» (رواه الترمذي).

ونَصرُ المُسْلِمِينَ كثيراً ما يكون فيه - كيومِ الفتح، ويومِ الفُرقان -.

وفيه تجتمِعُ أصولٌ من العباداتِ، ويَكثُرُ الخيرُ، ويُجدَّدُ فيه الإيمان، شرعَ اللَّه فيه من الأعمالِ ما به يثقُلُ الميزان، وكان من هديِه ﷺ: الإكثارُ فيه من أنواعِ العبادة، وكان يَجتهِدُ في أيَّامِه ولياليه ما لا يجتهِدُ في غيرِه، وعلى هذا كان سلَفُ الأُمَّة والصَّالِحون، لمَّا

حضرَ الموتُ عامرَ بن عبدِ القَيْس بكَى، فقيل له: «مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: مَا أَبْكِي جَزَعاً مِنَ المَوْتِ، وَلَا حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى ظَمَأِ الهَوَاجِرِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ».

وأفضلُ القُرُبات: إخلاصُ العملِ للَّهِ وتوحيدُه، ومُتابعَة سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، والصَّلاةُ عمُود الدِّين، ونورُ المُؤمنين، وبها صلاحُ العمل وقبولُه، وهي أولُ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ من دينِه، ومَنْ نامَ عن فرضِها؛ لَمْ يَعرفْ رمضان، ومن تكاسَلَ عن سُنَنِها ورواتِبِها؛ فقد غَفَلَ عن فضلِ رمضان.

وصومُ رمضان شِعارُ الطَّاعة فيه، فَرَضَه اللَّه على الأنام، وجعله أحدَ أركان الإسلام، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، خصَّه اللَّهُ لنفسه دون سائرِ الأعمال، وجعلَ ثوابَه بغير عدٍّ ولا حساب؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الحَسَنَةُ إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ** ﷻ: **إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**» (متفق عليه).

وهو عبادةٌ في الإسلام عظيمة؛ قال أبو أُمامةَ رضي الله عنه: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: مُرْنِي بِأَمْرٍ آخُذُهُ عَنْكَ، قَالَ: **عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**» (رواه النسائي)، و«**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، و«**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَنَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ**» (متفق عليه)، وهو فِديةٌ لبعضِ الأعمال، أو كفَّارةٌ لها، وبه يَسْترُ العبدُ نفسَه من الآثامِ والنَّار؛ قال

النَّبيُّ ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ» (متفق عليه)، «ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ» (متفق عليه).

وفي تعجيلِ الفِطر وتأخيرِ السَّحُور خيريَّةُ الأمَّة، ويوم القيامة يأتي الصَّومُ شفيعاً لأصحابِه، فـ«يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» (رواه أحمد).

والجنَّةُ أعدَّها اللَّه لمن أطابَ الكلامَ وأدام الصِّيام، و«فِيهَا بَابٌ يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»، وإذا دخلُوها يُقالُ لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾، قال مُجاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَزَلَتْ فِي الصَّائِمِينَ».

في الصِّيام حلولُ الفرحِ والسُّرور؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» (متفق عليه)، وكلُّه خير، قال سبحانه: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

وللصَّوم مقاصِدُ وحِكَمٌ عظيمة؛ فَبِه يمتثِلُ العبدُ مُراقبةَ ربِّه في سرِّه وإعلانِه، ويتَّقِيه ليفوزَ بجنَّته ورِضوانه، ويَقِيهِ سُخْطَه ونيرانَه، وفيه تحقيقُ الصَّبر على طاعة اللَّه وأوامره، وعن نواهِيه وعِصيانِه، وإصلاحُ النَّفسِ وتزكيتُها يكمُلان في الصِّيام.

وحفظُ الجوارِح وتهذيبُ الأخلاق عاجِلُ بُشرى الصَّائِم، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ

سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ» (متفق عليه)، والشَّهواتُ تنكسِرُ بالصِّيام، وإلى ذلك أرشدَ النَّبيُّ ﷺ مَن عجزَ عن الزَّواجِ؛ فقال: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (متفق عليه).

وبه صحَّةُ الأبدان، وسلامةُ الأذهان، ورِقَّةُ القلبِ، والقُربُ من الرَّحمن، كما أنه يصُونُ الجوارِحَ عن المعاصِي، ويخذُلُ الشَّيطانَ، وبه يعرِفُ العبدُ نِعَمَ اللَّه عليه فيشكُرُها؛ قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

بالصِّيام يَعرِفُ العبادُ ضَعْفَهم وحاجتَهم إلى ربِّهم، وفيه يتجلَّى يُسْرُ الإسلام وسماحتُه؛ فنهَى عن الوِصالِ، واستحبَّ السَّحورَ وتأخيرَه، وتعجيلَ الإفطار، ورخَّصَ في الفِطرِ للمُسافِر والمريضِ والحاملِ والمُرضِع.

وفي رمضان يتأكَّدُ استِحباب القيام، ومن صِفات أهلِ الجنة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي)، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا دخلَتِ العَشْرُ شدَّ مئزَرَه، وأحيَا ليله، وفيها ليلةُ القدر، «مَنْ قَامَهَا إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

والصَّدقةُ بُرهانٌ، وأفضلُها ما كان في رمضان، وإذا أصابَك

الجوعُ والظَّمَأُ فتذكَّرْ إخواناً لك يُكابِدون ذلك دهرَهم، واللَّه كريمٌ يُحبُّ الكرم، ونبيُّنا ﷺ «أَجْوَدُ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَهُوَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»، ولا يُسأَلُ شيئاً إلَّا أعطاه.

فأَنفِقُوا من طيِّبِ كسبِكم، واحتسِبُوا عند اللَّهِ أجرَكم، فبالصَّدقةِ بركةُ الأموال وطهارةُ الأنفُس، وكلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقَتِه يوم القيامة، وممَّن يُظلُّهم اللَّه في ظلِّ عرشِه: «**رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ**» (رواه البخاري)، والمُؤمنُ لا يستقِلُّ شيئاً، فرُبَّ دِرْهَمٍ سبقَ ألفَ دِرْهَمٍ.

ومن الصَّدقات: سُقيا الماءِ وإطعامُ الطَّعام، و«**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» (رواه الترمذي)، وكان ابن عُمر رضي الله عنهما يصومُ ولا يُفطِرُ إلَّا مع المساكين.

والجمعُ بين الصَّدقةِ والصِّيامِ من مُوجِبات الجنَّة، ومَنْ جَادَ على عبادِ اللَّه؛ جَادَ اللَّه عليه بالفضلِ والعطاء، والجزاءُ من جِنسِ العمل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً، تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» (رواه الترمذي).

و«**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**» (متفق عليه).

وأعظمُ النَّاسِ أجراً في هذا الشَّهرِ: أَخلصُهم للَّه وأَكثرُهم له ذِكراً، وخيرُ الذِّكرِ تلاوةُ القرآن العظيم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾، ومن قرأ حرفاً من كتابِ اللَّه فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، والماهِرُ به مع السَّفَرَة الكرامِ البرَرَة، وفي كلِّ ليلةٍ من رمضان كان جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدارِسُ نبيَّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، وفي العامِ الذي تُوفِّي فيه دارسَه مرَّتَيْن، وكان الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل رمضانُ قال: «إِنَّمَا هُوَ تِلَاوَةُ القُرْآنِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»، ومن الفوزِ: الإقبالُ على كتابِ اللَّه بقلوبٍ حاضِرةٍ، وتدبُّر آياتِه، والعملُ بمُحكَمه.

وليس شيءٌ أكرمَ على اللَّه من الدُّعاءِ، وهو حبلٌ ممدودٌ بين العبدِ وربِّه، لا واسِطةَ فيه ولا حائِل، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، ودعوةُ الصَّائمِ لا تُردُّ، وأَسْمعُ الدُّعاءِ: جوْفُ اللَّيل الآخِرِ ودُبُرُ الصَّلواتِ المكتوبات.

والاعتكاف قُربةٌ وسُنَّةٌ، قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، قال الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَجباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الاِعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

والأبناءُ هبةٌ من اللَّه وأمانةٌ، واللَّهُ سائِلُك عنهم، وبصلاحِهم تنتفِعُ بعد موتِك وتعلُو درجاتُك عند ربِّك، وعلى الصائِمِ أن يتعاهَدَ أبناءَه وأُسرتَه، وأن يكون خيرَ مُعينٍ لهم على الطَّاعة؛ فيُرشِدَ جاهلهم، ويُذكِّرَ غافلهم، ويُعوِّدَ صِغارَه على الصِّيامِ والقيامِ والمُسابقةِ إلى ما يُرضِي الرَّحْمَن؛ قالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعوِّذٍ رضي الله عنها: «أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: **مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً؛ فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً؛ فَلْيَصُمْ**، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا» (متفق عليه).

وفي بِرِّ الوالدَين وصِلةِ الأرحام رِفعةُ الدَّرجات، وفي الأيَّامِ الفاضلة يَزْدَادُ الابنُ الصَّالِحُ قُرباً من والديه وخدمةً لهما.

و«**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ**» إلى يوم القيامة، و«**لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**».

والصُّحبةُ الصَّالحةُ عونٌ وقُوَّةٌ وثباتٌ، ولا غِنَى لعاقلٍ عنها: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

وأمارة الفلاح: حِفظُ اللِّسانِ ولُزومُ العمل، وإذا أرادَ اللَّه بقومٍ شرّاً ألزمَهم الجدلَ ومَنَعَهم العملَ.

والتَّوبةُ بابُها مفتوحٌ وعطاءُ اللَّه ممنُوح، والمُوفَّقُ من طرقَ بابَها وأكثرَ الإلحاحَ على ربِّه، و«**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيراً**».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

ففي الطَّاعاتِ لذَّةُ المُؤمن وسُرورُه وفلاحُه وحُبورُه، والتَّقوى لا تُفارِقُ ليله ونهارَه، والمُسلمُ لا يقعُدُ فارغاً؛ فإن الموتَ يطلُبُه.

ومَنْ حاسبَ نفسَه ربِحَ، ومَنْ غفَلَ عنها خَسِر، ومَنْ نَظَرَ إلى العواقِبِ نجا، وطُوبَى لمَنْ تَرَكَ شهوةً حاضِرةً لموعِدٍ غُيِّبَ لم يرَه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

التَّقرُّبُ إلى اللَّهِ بالصِّيامِ لا ينفَعُ مع تركِ الفرائِض، وإذا صُمتَ فَلْيَصُمْ معك سمعُك وبصرُك ولسانُك ويداك، ولا تجعَل يومَ صومِك كيوم فِطرِك، فاحفَظُوا صيامَكم من القوادِح والمُنغِّصات، واحذَروا انتِهاكَ الحُرُمات وسماعَ المُحرَّمات، وإيَّاكُم والنَّظرَ إلى المُحرَّمات، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ - أَيِ: الكَذِبِ - وَالعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (رواه البخاري)، ومَنْ أَطْلقَ بصرَه في المُحرَّمات؛ دَامَتْ حَسْرَتُه وطالَ ندمُه.

والمرأةُ الصَّالحةُ عليها جِلبابُ الحياءِ وجمالُ السِّتر، بعيدةٌ عن مُخالَطةِ الرِّجالِ الأجانِبِ ووُلُوجِ الأسواقِ، والبُروزِ لغيرِ حاجةٍ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ فِي رَمَضَانَ(١)

الحمد للَّه الَّذي جَعَلَ تَعَاقُبَ اللَّيلِ والنَّهارِ عبرةً لأُولِي الأبصار، أَحْمَدُه سبحانه وأَشْكُرُه على نِعَمِهِ الغِزار.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، العزيزُ الغفَّار، حَكَمَ بفناء هذه الدَّار، وأمر بالتَّزَوُّد لدار القرار.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدهُ ورسولُه، قائدُ المجاهدين وإمامُ المتَّقِين، عَبَدَ اللَّهَ فأَحْسَنَ عبادتَه، وجَاهَدَ في اللَّهِ حقَّ جهادِه، فصلواتُ اللَّه وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ البِرِّ والوفاء، والإحسانِ والتُّقى.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّهَ تعالى حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

لقد اصطفى الحقُّ تبارك وتعالى نبيَّه مُحَمَّداً ﷺ وجَعَلَه رسولاً للعالمين وخاتماً للنبيِّين، وجاءت رسالتُه عامّةً شاملةً لأمورِ الحياة كلِّها على اختلافِ الأزمانِ وتعاقب الأجيال.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع والعشرين من شهر شعبان، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد اختار اللَّه من الأزمان مواسمَ للطَّاعات، واصطفى فيها أيَّاماً ولياليَ وساعاتٍ فَضْلاً منه وإحساناً، وكلَّما لاح هلالُ رمضان أعاد إلى الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ ذكرى أيَّامهِ المباركات، وما يكون فيها من النَّفحات.

وها هو ذا هلالُ رمضانَ يَلُوحُ في الأفقِ إيذاناً بشهر الخيرات، يَهِلُّ بعد مسير الناس أشهراً في مسالك الحياة ينالون منها وتنالُ منهم، ما أسرع ما عادت الأيام! يشِبُّ الطِّفل ويشيخ الشَّابُّ ويهرَمُ الشَّيخ، وينظر المرء إلى عُمُرِه فلا يجد إلَّا ماضياً لن يعود، ومستقبلاً لا يدري ما اللَّه فاعلٌ فيه.

وإنَّ من عواملِ سرورِ النُّفوسِ وبهجتها، ومن بواعثِ فرحِها وغبطتها: عودةَ أيامِ السرور عليها، وبزوغَ شمسِ الهناءِ على ربوعها.

إنَّه شهر الصَّوم الذي ينطلق فيه الصَّائمون إلى آفاق الضِّياءِ والنَّقاء، يَجِدُّ فيه الصَّائمُ ما يَمسحُ عن جبينه وعثاءَ الحياة، وما يمحو من إرادته الوهنَ والترددَ، وما يدفع عن نفسه الحيرةَ والفتور.

شهرٌ مبارك يستقبله المسلمون آملين أن يكون مغفرةً من أدرانِ الخطايا وغَفَواتِ النفس وغَفَلاتِ الجَنَان، إنه زادُ الروح ومتاعُ القلب، تسمو به هممُ المؤمنين.

وإنَّ استقبالَ شهرِ الصَّوم تجديدٌ لِطَيْفِ الذكريات، وعُهُودِ الطُّهْر والصَّفاء، والعِفَّةِ والنقاءِ، تَرفعُ عن مزالق الإثم والخطيئة، له في نفوس الصَّالحين بَهْجَة، وفي قلوب المتعبِّدين فرحة، رُبَّ ساعةِ قَبولٍ أدركت عبداً فبلغ بها درجات الرِّضا والرِّضوان.

في الصِّيام تنجلي عند الصَّائمين القُوى الإيمانيَّة والعزائمُ التَّعبديَّة، يَدَعُون ما يشتهون ابتغاء مرضات اللَّه، يتجلى في نفوس أهل الإيمان الانقياد لأوامر اللَّه وهجر الرَّغائب والمشتهيات، تعظُم النُّفوس حين تترك كثيراً من الملذَّات.

الصِّيام سرٌّ بين العبد وربِّه، يفعله خالصاً ويعامله به طالباً لرضاه، فهو لربِّ العالمين من بين سائر العمل؛ «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه)، ويتحقَّق فيه الإخلاصُ للَّه بعيداً عن الرياء، ويُعمِّقُ في القلب اليقين، ويزيدُ فيه الإيمان، وتَتَجَلَّى في النَّفس معاني التَّوحيد.

وهذا المعنى ممَّا تُنازِعُ فيه النَّفسُ ويُوَسْوِسُ بضدِّه الشَّيطان، لكنَّ التَّقيَّ من ينتصر بصيامِه، ويرفعُ رايةَ إيمانِه، ويُقَدِّمُ دليلَ توحيده، ويقضي على رذائل الرِّياء والنِّفاق. وقد جعل اللَّهُ لهذه المحامد ولتلك المآثر التي تتحقَّق للصَّائمين في معاني تجريدِ الإخلاص وتعميقِ المراقبةِ ثواباً مُتَميِّزاً، إذ جعل للصائمين باباً خاصّاً من أبواب الجنة، يدخلون منه لا يشاركون فيه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ» (متفق عليه).

الصِّيام يُصْلِحُ النُّفوسَ ويسمو بها، ويَدفعُ إلى اكتسابِ المحامد، والبعدِ عن المفاسد، ويقوِّي العزائمَ، ويُقَوِّمُ الإرادة، ويقرِّبُ العبدَ من

ربه، وبه تُغْفَرُ الذنوب وتُكفَّرُ السيِّئات، وتزدادُ الحسنات وترفع الدرجات، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وهو سيِّدُ الشهور؛ فيه نزل القرآن، وهو شهرُ الطَّاعةِ والقربةِ، والبرِّ والإحسان، وشهرُ المغفرةِ والرَّحْمةِ والرِّضوان، تُفَتَّحُ فيه أبوابُ الجِنان، وتُغَلَّقُ فيه أبوابُ النِّيران؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» (متفق عليه).

فيه ليلةُ القَدْر خيرٌ من ألفِ شهر، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

فيه صبرٌ على مَرارةِ الجوع، وحمأةِ الظَّمأ، ومكابدةِ المتاعب في زجرِ الهوى والامتناعِ عن الرَّغبات، فيه تذكيرٌ بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وفيه جِلاءُ الصُّدورِ بالذِّكر، وتطهيرُ النُّفوسِ بالعبادة.

إنَّه شهرُ المعاني الكريمة، والمقاصدِ النبيلة، والأهدافِ السَّامية، وهو مظهَر عمليٌّ من مظاهر وحدة المسلمين، يتساوى فيه الأغنياءُ والفقراء ويتساوى فيه الصَّغيرُ والكبير والذَّكرُ والأنثى، كلُّهم صائمٌ لربِّه، يُمسِكُون عن الطَّعامِ في وقتٍ واحدٍ، ويفطرون في زمنٍ واحدٍ، ويتساوون طيلة نهارهم بالجوع والظَّمأ، إنَّه حلقة اتِّصال بين المسلمين مهما تناءت الدِّيارُ وشَطَّ المَزارُ، فيه يتحقَّق قولُ الربِّ سبحانه: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾.

أيُّها المسلمون:

الكتابُ العزيزُ عمدةُ الملَّة، ويَنبوعُ الحكمة، وآيةُ الرِّسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، لا طريقَ إلى اللَّه سواه ولا نجاةَ لنا بغيره، والأمَّة بدونه ليس لها مكان في الأرض ولا ذِكرٌ في السماء، ونزول القرآن في رمضان إيحاء لهذه الأمة بالإكثار من قراءته ومدارسته في هذا الشَّهر.

كان بعضُ السَّلفِ يَختمُ في رمضان في كلِّ ثلاث ليال، وبعضُهم في سبع، وبعضُهم في عشر، وكان الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل رمضان أَقْبَلَ على تلاوةِ القرآنِ وتَرَكَ قراءةَ الحديث.

عبادَ اللَّه:

إنَّ دائرةَ الجود تَتَّسعُ لما تَهفو إليه القلوبُ المؤمنة من التَّطوعِ في الخير، والتَّوسُّعِ في إسداءِ المعروف، والإسلام الحنيف قد رغَّب في ذلك ترغيباً يشرح صدرَ الكريم ويُعالج شُحَّ اللئيم؛ قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، والمال لا يذهبُ بالجود والصَّدقة، إنما هو قرضٌ حسنٌ مَضْمُونٌ عند الكريم، يُضاعفُه في الدُّنيا بركةً وسعادة، ويضاعفه في الآخرة نعيماً مقيماً، يقول المصطفى ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه).

تحسَّسْ بيوتَ المساكينِ والفقراءِ والأرامل والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كربةٍ لك، ودفعُ بلاءٍ عنك، وإشباعُ جائعٍ وفرحةٌ لصغير،

وإعفافٌ لأسرة وإغناءٌ عن السؤال، لقد كان رسول اللَّه ﷺ أكرمَ الناس وأجودَ الناس، إِنْ أنفقَ أجزل، وإِنْ منحَ أغدق، وإِنْ أعطى أعطى عطاءَ من لا يخشى الفَاقةَ والفقر، وكان يَستقبلُ رمضانَ بفيضٍ من الجود، ويكونُ أجودَ بالخير من الرِّيحِ المُرْسَلَة التي تسوق السَّحاب في كل وادٍ وتَبثُّ الرَّخاء في كلِّ مكان.

ورمضانُ موسمٌ للمُتصدِّقين، يَتنافسُ فيه الأغنياء بالبذل والإنفاقِ في فعل الخيراتِ، وصنائعِ المعروفِ، ومدِّ يد العونِ والمساعدة والصَّدقةِ إلى ذوي الفَاقةِ والمساكين وإتحافِ الفقراء، يقول ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه).

ومَنْ جَاعَ هذا الجوع الاختياري فَلْيَتذكَّرْ مَنْ يتجرَّعُ غصصَ الجوعِ القهري، وَلْيَشكرْ نعمةَ ربه فإنَّ مِنْ شكرِ الرَّبِّ الغنيِّ: البذلَ لعباده الفقراء، ومِنْ شُكرِ الإلَهِ القَويِّ: إسعادَ خلقهِ الضُّعفاء، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وبخل، ولا يُذهِبه بذلٌ وإنفاق.

ولا تكن كالشَّقيِّ البخيل؛ يُزْهِقُ نفسه في الدُّنيا بجمعه، وفي الآخرة يُحاسَب على منعه، غيرَ آمنٍ في الدنيا من همه، ولا ناجٍ في الآخرة من إثمه، عيشُه في الدُّنيا عيشُ الفقراء، وحسابُه في الآخرة حسابُ الأغنياء.

أيُّها المسلمون:

يرتبطُ النَّصْرُ بالصوم كثيراً؛ ولهذا كانت معظمُ انتصارات المسلمين في رمضان؛ ففي السَّنَة الثَّانية من الهجرة: استُفتِحت تلك

الانتصاراتُ بغزوة بدر الكُبْرَى التي كانت منعطفاً في سَيْرِ التَّاريخ، وفي رمضان من السَّنَةِ الخامسة: كان استعدادُ المسلمين لغزوة الخندق، وفي رمضانَ من السَّنَة الثَّامنة للهجرة: تَمَّ الفتحُ الأعظمُ - فتحُ مكَّة - واستسلم ساداتُها بعد طولِ عداوة، ودخل النَّاسُ في دين اللَّه أفواجاً، وتهاوتِ الأصنامُ بمِعْوَل التَّوحيد، وهُدِم مسجد الضِّرار في رمضان، وهُدِمت كبارُ أصنامِ العرب - اللَّات ومَنَاة - في رمضان، ومعركةُ اليرموكِ ومعركةُ عينِ جالوت ومعركةُ حطين؛ كلُّها كانت في شهر النَّصر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه الَّذي خصَّ بالفضلِ والتَّشريفِ بعضَ مخلوقاته، وأَوْدَعَ فيها من عجائبِ حِكَمِهِ وبديعِ إتقانِه، خَلَقَ فقدَّر، ودبَّرَ فَيَسَّر.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّادقُ المأمون، صلى اللَّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين هُمْ بِهَدْيِهِ مُسْتَمْسِكُون.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

إنَّ عملَ البرِّ لا يكون على تمامه ولا يقومُ على سُوقه إلَّا حينما يكون بمحبَّةٍ صادقة ورغبةٍ مخلصة.

وَلْيَكُنْ لك - أيُّها المسلمُ - في شهر الصَّوم عملٌ وإتقان، وتهجُّدٌ وقرآن، واغْتَنِمْ عمرةً في رمضان فإنَّها تَعدِلُ حَجَّة، ولقد كان من هَدْيِه ﷺ الاعتكافُ في رمضان، وهو: لزومُ مسجدٍ طاعةً للَّه، وهو يعني: عكوفَ القلبِ على اللَّه والانقطاعَ عن الخلق والاشتغالَ بالعبادةِ والذكرِ وقراءةِ القرآن.

وابتَعِدْ عن خوارقِ الصَّوم ومفسداتهِ، وإيَّاك أَنْ تَقَعَ في أعراضِ المسلمين، واحْفَظْ لسانَك وسمعَك وبصرَك عمَّا حرَّم اللَّه، يقول الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي، كَانُوا إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي المَسَاجِدِ وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحداً».

ومن بُلِي بجاهلٍ فلا يقابله بمثل سَوْئِه؛ يقول المصطفى ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (متفق عليه).

واجعل شهرَ صومِك جهاداً متواصلاً ضدَّ شهوات النَّفس، وانقطاعاً إلى اللَّه بالعبادةِ والطَّاعة، ومدارسةً لآيات التَّنزيل، وقياماً مخلصاً باللَّيل، فهو موسم للتَّوبة والإنابة، فبابُ التَّوبةِ مفتوح، وعطاءُ ربِّك مَمْنُوح، فمتى يتوبُ مَنْ أسرفَ في الخطايا وأكثرَ من المعاصي إن لم يتب في شهر رمضان؟! ومتى يعود إن لم يَعُدْ في شهر الرَّحْمَة والغفران؟! فبَادِرْ بالعودة إلى اللَّه، واطْرُق بابَه، وأَكْثِرْ من استغفاره.

أيَّتها المسلمة:

ابتعدي عن المباهاةِ في صنوف المآكلِ والمشارب؛ فإنَّ مواسمَ الطَّاعات جديرةٌ بما هو أنفع وأجدى، واغتنمي شهرَكِ بالعبادةِ والصَّالحاتِ من الأعمالِ والأقوالِ، واحذري الأسواق فإنَّها أماكنُ الفتن؛ يقول النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا» (رواه مسلم).

وتَشَبَّهِي بنساء الصَّحابة؛ فقد كانت إحداهنَّ تُلْصِقُ نفسَها بالجدار إذا خرجت من بيتها لحاجة، وتَجَنَّبِي مواطنَ الزَّلَل وعثراتِ الطَّريق، يقول ابن مَسعُودٍ رضي الله عنه: «مَا تَقَرَّبَتِ امْرَأَةٌ إِلَى اللَّهِ بِأَعْظَمَ مِنْ قُعُودِهَا فِي بَيْتِهَا»، وإن خَرَجْتِ لحاجةٍ فاخرجي محتشمةً بعيدةً عن أعينِ الرِّجال، غَاضَّةً الطَّرْفَ على استحياء.

فاتقوا اللَّه عبادَ اللَّه:

واغتنموا زمنَ الأرباح؛ فأيَّامُ المواسم معدودة، وأوقاتُ الفضائلِ مشهودة، وفي رمضانَ كنوزٌ غالية فلا تُضيِّعُوها باللَّهوِ واللَّعب وما لا فائدة فيه، فإنَّكم لا تدرون متى ترجعون إلى اللَّه، وهل تدركون رمضان الآخَرَ أو لا تدركونه.

وإنَّ اللَّبيبَ العاقلَ مَنْ نَظَر في حاله وفكَّر في عيوبه وأصلح نفسَه قبل أن يُفاجِئَه الموت، فينقطعَ عملُه وينتقلَ إلى دارِ البَرْزَخِ ثمَّ إلى دارِ الحساب.

ثم اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على البشيرِ النَّذيرِ والسِّراجِ المنير ...

عِبَادَاتٌ فِي رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خلقَ اللَّهُ الخلقَ لطاعته، وهيَّأ لهم زمناً تَتَضاعفُ فيه أجورُ عباداتِهم، أيامُه معدودة، تُفتحُ فيه أبوابُ الجنان، وتُغلقُ فيه أبوابُ النِّيران، وتُصفَّدُ فيه الشَّياطين، ويُستجابُ فيه الدُّعاء، وترتقي فيه النُّفوس، وتُهذَّبُ فيه الأرواح، ويُغفَرُ لِمَنْ وفَّقه اللَّه في نهارِه وليالِيه؛ قال النَّبيُّ ﷺ عن نهاره: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن ليله: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع من شهر رمضان، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أوجبَ اللَّهُ صيامَه على الأمم السَّالفة؛ لِتَنَالَ تقوى ربِّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

رمضان هو شهرُ القرآن، والقرآنُ يهدي إلى الجنَّة؛ قال ﷻ: ﴿هَٰذَا هُدًىۖ﴾، عِبرُهُ أعظمُ العِبَر، ومواعظُه أبلغُ المواعظ، وقصصُه أحسنُ القَصَص: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾، سهلُ الألفاظ، واضحُ المعاني: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾، غزير المنافع، كثير الفوائد، شافٍ للقلوب والأبدان، وقد شكا الرسول ﷺ إلى ربِّه من يُهجرُ القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ مِنْ شِعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ، أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِهِ».

رمضانُ شهرُ المداومةِ على العبادة والإقبالِ على اللَّه، «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ» (متفق عليه)؛ يتعبَّدُ ويدعو، ويُدَارِسُه جبريلُ القرآنَ الشَّهرَ كلَّه.

هو شهرُ التَّوبةِ والاستغفارِ والإنابةِ إلى اللَّه، ومَنْ أقبل على اللَّه أحبَّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾، واللَّهُ سبحانه يَقْبَلُ توبة العبد في أيِّ وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ، وفي رمضانَ قَبولُ التَّوبةِ أرجى، وهي تَهدِمُ ما قبلها من الأوزار، وتُبدِّل السيِّئاتِ حسنات، ولا صلاحَ إلَّا بها؛ لذا

أُمِر جميعُ الخلق بها: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

رمضانُ شهرُ الدُّعاءِ وإنزالِ الحوائج باللَّهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، أَمرَ بالدُّعاء ووعد بالإجابة بين آيات الصيام؛ لِنُكْثِرَ من الدُّعاء في رمضان: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾.

وهو سبحانه كريمٌ يقضي حاجاتِ العباد، خزائنُه مَلْأى لا تغيضها نفقة؛ قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾، جودُه لا ينقطعُ من كثرة العطاء: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾، يحبُّ السائلين، و«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؛ فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، واللَّه لا يُخيِّبُ من رجاه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، ويستحي جلَّ وعَلَا أن يردَّ دعوةَ عبدِه؛ قال ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ؛ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً» (رواه أبو داود).

ومهما سأل العبدُ فاللَّه يُعطي ولو كَثُرت المسألةُ وتنوَّعت؛ قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذاً نُكْثِرُ!

- أَيْ: مِنَ الدُّعَاءِ -، قَالَ: **اللَّهُ أَكْثَرُ** - أَيْ: فَضْلُ اللَّهِ وَعَطَاؤُهُ أَكْثَرُ -» (رواه أحمد).

رمضانُ شهرُ الجودِ والعطاء؛ جَادَ اللَّه على عباده بنزول القرآن فيه، وإرسالِ خاتَمِ الرُّسُلِ فيه، ويَجُودُ على عباده بالرَّحمة والمغفرة والعتق من النِّيران، وأمر سبحانه عباده أن يجودوا؛ لينالوا جُودَ ربِّهم؛ قال سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُوْنُ في رَمَضَانَ»، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ جُودُهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَفِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَبْذُلُ المَالَ إِمَّا لِفَقِيرٍ أَوْ مُحْتَاجٍ، أَوْ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الإِسْلَامِ مَنْ يَقْوى الإِسْلَامُ بِإِسْلَامِهِ، فَيُعْطِي عَطَاءً يَعْجِزُ عَنْهُ المُلُوكُ - مِثْلُ: كِسْرَى وَقَيْصَرَ -».

ومن صفات أهل الجنَّة: قيامُ اللَّيل؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وصلاة الليل شكرٌ للَّه على ما أنعم؛ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ - أَيْ: تَتَشَقَّقَ - قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: **أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟!**» (متفق عليه).

و«**مَنْ صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» (رواه الترمذي)، وأفضلُ صلاة المرء بعد المكتوبة: صلاةُ اللَّيل، فحافظْ على صلاة اللَّيل مع الإمام حتى يَنصرف؛ لِتتعرَّضَ لنفحات اللَّه بالمغفرة والرِّضوان.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من السَّعادة أَنْ يَنْسَى العبدُ حسناتِه، ويجعلَ سيِّئاتِه نَصْب عينيه؛ فيبادرَ إلى النَّدم والتَّوبة منها، والصِّيامُ ركنٌ من أركان الدِّين، أُمِرَ المُسلمُ بالحفاظ عليه؛ لئلَّا يَعْتَرِيَه نقصٌ أو خللٌ - من عصيانٍ، أو تفريطٍ في واجبٍ -، قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (رواه البخاري).

والأعمار تُطوى والآجال تَدْنو، والدنيا مُدْبِرة والآخرة مُقْبِلة، ونحن إلى ما صار إليه الأوَّلون صائرون، وكلُّ عملٍ أو قولٍ فهو محفوظ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؛ فاحفظوا الأزمان الفاضلة، واحذروا الغفلةَ والتَّفريط، وأَخلِصُوا صيامَكم وقيامكم للَّه، وأكثِرُوا من تلاوة القرآن وتدبُّرِ معانيه، واعتَبِروا بما ضُرب لكم فيه من الأمثال والقَصَص؛ لتَفُوزوا وتَسعَدُوا في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

كَثْرَةُ التَّعَبُّدِ فِي رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الثَّقَلَيْنِ لعبادته، وهو سبحانه غنيٌّ عنهم، ولا غِنَى للخلق عنه؛ فهو الَّذي يَكشفُ ضُرَّهم وهو الذي ينفعُهم، ولحاجتهم إليه أوجب عليهم عبادتَه، وأوَّلُ أمرٍ في كتاب اللَّه هو الأمر بعبادته: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وأمَرَ الرُّسلَ بالعمل الصَّالح؛ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾، وقال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس عشَر من شهر شعبان، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ﴾، وقال لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ومِن الميثاق الذي أُخذ على بني إسرائيل: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وأمَرَ قريشاً بالتَّعبُّد فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾، وأمرَ المؤمنين به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾، ووصَف اللَّه صحابةَ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ بكثرة التَّعبُّد؛ وظَهَر أثرُ ذلك على جوارحهم؛ فقال سبحانه: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

والعُبوديَّة للَّه شرفٌ عظيم، ولمنزلتها دعا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه أن يكونَ منهم؛ فقال: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وكان نبيُّنا ﷺ إذا رفع رأسَه من الرُّكوع قال: «أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ» (رواه مسلم)، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو ربَّه بِحُسنِ العبادة له كما أمره اللَّه؛ لينالَ رضاه، فكان يَقولُ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مفروضةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (رواه أبو داود).

وكلُّ مسلمٍ يعاهدُ ربَّه على القيام بهذه العبادة في صلاته المفروضة في اليوم سبْعَ عشرة مرَّة؛ يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ومَنْ حقَّقها ونشأ على الطَّاعة والصَّلاح أظلَّه اللَّهُ في ظلِّ عرشِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ» (متفق عليه).

والعبدُ الصَّالحُ يدعو له كلُّ مُصَلٍّ بالسَّلامة من الآفات والشُّرور، فإذا قال المُصلِّي في التَّشهُّد: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»

قال النَّبيُّ ﷺ عن ذلك: «أَصَابَتْ - أَيِ: الدَّعْوَةُ - كلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» (متفق عليه).

وعبادة اللَّه وحده سببُ دخولِ جنَّات النَّعيم، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» (متفق عليه).

ومِنْ فضل اللَّه على عباده: أنَّه لم يَتركْ عبادَه حَيَارى في كيفيَّة التَّعبُّد؛ بل أرسل الرُّسلَ ليبيِّنوا لأقوامهم كيف يعبدون اللَّه، ولم يكلِّفِ العبادَ إلَّا بالامتثال؛ فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، وإذا أخلص العبدُ عمله للَّه واتَّبعَ نبيَّه ﷺ في طاعته؛ قَبِل اللَّه ذلك العمل منه ورفعه إليه، قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

واللَّهُ سبحانه قَضَى أنَّ أعمارَ هذه الأُمَّةِ قصيرةٌ، وجعلها ما بين السِّتِّين إلى السَّبعين، والأيَّامُ واللَّيالِي فيها تَذْهَب سِرَاعاً، والعامُ يَطْوي شهورَه تباعاً، وسنَّةُ اللَّه في كونه: قدومٌ وفوات، وعوَّض سبحانه هذه الأُمَّة لَمَّا قَصُرت أعمارُهم بمواسم في الدَّهر تُضَاعَفُ فيها أعمالُهم وتُغفرُ فيها ذنوبُهم.

وفضَّل شهراً في العام على بقيَّة الشُّهور؛ فبَعثَ فيه رسولَه، وأنزلَ فيه كتابَه، يَرتقِبُه المسلمون في كلِّ حولٍ وفي نفوسهم له بَهْجة، يؤدُّون فيه ركناً من أركان الدِّين، جعله اللَّه ميداناً يَتسابقُ فيه المُتَنَافِسُون بأنواع

الطَّاعات والقُرُبات، وخصَّه بليلةٍ مباركةٍ تَتنزلُ فيها الملائكة، والعملُ فيها خيرٌ من ألف شهر.

ولشرفِ رمضان مَن أَخْلصَ صيامَه للَّه ابتغاءَ الثَّوابِ؛ غُفر له ذنبه، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، ومَن صلَّى التَّراويحَ في رمضان مخلصاً للَّه؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» كاملة.

والقرآنُ العظيمُ كلامُ ربِّ العالمين، وصفَهُ اللَّه بالنُّورِ والبركةِ والهداية، مَنْ تلاه نال من البركةِ والضياءِ بقدر قُرْبه منه، والماهرُ بقراءته مع الملائكة السفَرةِ الكرام البررة، ومَنْ قرأه تضاعفت له الأجورُ بِقَدْر ما رَتَّلَ من الحروف، والقرآنُ أُنزلَ في رمضان وتتأكَّد تلاوته فيه، وكان جبريلُ يلقى النَّبيَّ ﷺ «فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ» (متفق عليه).

والصَّومُ مَظِنَّةُ إجابةِ الدُّعاء؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي! لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (رواه الترمذي)، وأنزل اللَّه قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بين آياتِ الصِّيام؛ إيماءً بالإكثارِ من الدُّعاء في رمضان.

وشهرُ رمضانَ شهرُ الفقراءِ والمساكين، يَرْقُبونه عاماً بعد عام؛ لينالوا فضلَ اللَّه فيه، فلا تَرُدَّ ذا مَسْكَنةٍ أو مَتْرَبة، وابذُلِ الكفَّ فيه بالعطاء، ومُدَّ اليدَ فيه بالكرم والسَّخاء، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» (متفق عليه)، ومَن أغدق على عباد اللَّه منحه اللَّه من فضله خيراً ممَّا بَذَل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

ورمضانُ غَنيمةُ التَّائبين؛ فنفحاتُ التَّوَّابِ الغَفُور في ليلِه ونهارِه، أغلقَ فيه أبوابَ النِّيران وفتحَ أبواب الجِنان؛ ليعودَ العبادُ إليه بالتَّوبةِ والإنابة، فعلى المُسلمِ أن يَصْدُقَ فيه مع اللَّه، ويتوبَ إليه ممَّا اقْتَرَفَتْه جوارحه من السَّيِّئات، وأن يفتحَ صفحةً مُشْرِقةً مع مَولَاه، فالمعصية لا تأتي بخيرٍ قطّ.

وأبوابُ الخير تُفْتَحُ على العبدِ حِيناً وقد تُغْلَق سَرِيعاً، وإِنْ أَدركْتَ رمضانَ فقد لا يعود، وإن عاد عليك عاماً آخر فالنَّفس قد تتبدَّل - من ضعفٍ في الهداية، أو التَّسويفِ، أو قصورِ العافية، أو غيرِها من الصَّوارف -؛ فبَادِرْ إلى كلِّ عملٍ صالحٍ قبل الفوات.

والمَحرومُ مَنْ فرَّطَ في دُرَرِ لحظاتِ رمضان، وحرَمَ نفسه العملَ في لياليه، وبَارَزَ اللَّهَ فيه بالعصيان - بنومٍ عن الصَّلاة المفروضة، أو سَهَرٍ على المُلْهِيات والمُحَرَّمات -.

والصَّومُ ليس امتناعاً عن الأكلِ والشُّربِ فحسب؛ بل شُرِعَ لتحقيق التقوى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فصومُ الجوارحِ واجبٌ بحفظِ اللِّسانِ عن المُحرَّمات - من

الكذبِ والغِيبة -، وغضِّ البصر عن النَّظر إلى ما نهى اللَّه عنه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» (متفق عليه).

وعلى المرأةِ أَنْ تَصُونَ نفسَها وشهرَها بالسِّترِ والحجابِ والعفاف، والبُعدِ عن مواطن الفِتَن، وصلاتُها في بيتها خيرٌ من صلاتها في مسجدِها.

والفائزُ مَنْ سَابَقَ إلى الطَّاعاتِ ونوَّع منها، وحَفِظَ جوارحَه عن المعاصي والأوزار وابتعدَ عنها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

كان النَّبيُّ ﷺ يُكْثِرُ من صيامِ شعبانَ تَوْطِئةً لصيام أفضلِ الشُّهور، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَاماً فِي شَعْبَانَ» (متفق عليه)، ومَنْ كان يَصُومُ مِنْ أوَّلِ شعبان؛ فله أَنْ يَصُومَ في نصفِه الأخير.

ولم يثبت عن النَّبيِّ ﷺ في فضل شعبانَ شيءٌ سوى الإكثارِ من صومه، وليست فيه ليلةٌ فاضلةٌ لا في أوله ولا منتصفه ولا آخره، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «قِيَامُ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ لَمْ يَثْبُتْ فِيهَا شَيْءٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ».

وخيرُ الهَدْيِ ما جاء به نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، والمُوفَّقُ مَنْ جَمَعَ بين إخلاصِ العمل للَّه والاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّالث

العَشْرُ الأَوَاخِرُ

فَضَائِلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أسبغَ اللَّهُ على عبادِه النِّعَم ووالَى عليهم في العطاء والمِنَن، هِباتُه لا حدَّ لها سَعةً وكثرةً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا** - أَيْ: لَا تَنْقُصُهَا - **نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** - أَيْ: دَائِمَةٌ بِالعَطَاءِ -» (متفق عليه).

يَجُود بالخيرات والمكارم؛ وسِعَ الخلقَ جُودُه، ودامت عليهم خيراتُه، واتَّصلت مِنَنُه وأرزاقُه، يبدَأُ العبادَ بالنَّوالِ قبل السُّؤال، ويُعطِيهم عليه أكثَر مِمَّا يخطُرُ بالخيال، وليس أحدٌ في السَّماء والأرض بمَعزِلٍ عن تلك الهِباتِ.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واللَّهُ أحقُّ مَن حُمِدَ وذُكِر على آلائِه بإخلاصِ المحبَّةِ والعبادةِ له، ونِسبةِ النِّعَم إليه، وتصريفِها في طاعتِه، ومِن هِباتِه سبحانه: عَفْوُه عمَّن يشاءُ مِن عبادِه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فلم يزَل عفُوّاً عن ذنوبِ عبادِه بترك العقوبةِ على كثيرٍ مِنها؛ قال سبحانه: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، عفُوٌّ يُحِبُّ العفو، ويُحِبُّ مِنْ خَلْقِه السعْيَ في تحصيلِ أسبابِ عفوِه بالاستِغفار والتَّوبةِ والإنابةِ والأعمالِ الصَّالِحة.

وفي رمضانَ تتجلَّى هِباتُ اللَّهِ وعفوُه، فيه تتضاعَفُ الأعمالُ، وتُكفَّرُ الخطايا والآثام، شهرُ الصِّيامِ والقرآنِ والبرِّ والإحسان، التِّجارةُ فيه مع اللَّه مُضاعفة، قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثَوابُ العَمَلِ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ شَرَفِ الوَقْتِ، كَمَا يَزِيدُ بِحُضُورِ القَلْبِ وَبِخُلُوصِ القَصْدِ».

وصلاةُ اللَّيل لها شأنٌ في رمضان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، ومَنْ لَزِمَ القيامَ دخل الجنَّةَ بسلامٍ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه أحمد).

والصَّدقةُ بُرهانٌ على إيمانِ صاحبِها، وكلُّ امرِئٍ في ظلِّ صدقتِه يوم القيامة، والمُنفِقُ موعُودٌ بالعِزِّ والمغفِرة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾، وأجرُها يعظُمُ في الأيَّام الفاضِلَة؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» (متفق عليه).

والعُمرةُ في رمضان ثوابُها عظيمٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**» (متفق عليه).

والدُّعاءُ هو العبادةُ ومُخُّها وبه جَلْبُ الرَّخاءِ ودفعُ البلاء، وللصَّائِمِ دعوةٌ لا تُردُّ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي! لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» (رواه الترمذي).

والقرآنُ حُجَّةٌ وشَفيعٌ وهُدًى وشفاءٌ، وعَدَ اللَّه قارِئه بحُسنِ الجزاءِ والمَزيدِ مِنْ فضلِه؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾، أنزله اللَّه للتَّدبُّر، فيه العظات والعِبَر، كان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صلَّى بالنَّاسِ إماماً لا يكادُ يُسمِعُ مَنْ خَلْفَه مِن خَشيَةِ اللَّه.

رمضانُ ميدانٌ فسيحٌ للمُتسابقِين فيه، زمنُ كثرة البرِّ والخيراتِ وصِلَةِ الأرحام، فيه تصفو النُّفوسُ، وتزكو الأخلاقُ، ويَتقارَبُ الخَلقُ فيما بينهم، ويَعطِفُ بعضُهم على بعضٍ.

موسمٌ مبارَكٌ آذنَت أيامُه بالانصرام، والعاقل من اغتنَمَ عشْرَه فعَمَرَها بالقُرَب والطاعاتِ، وحَفِظَ نهاره وأحيَا ليله؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم)، و«إِذَا

دَخَلَتِ العَشْرُ أَحْيَا النَّبِيُّ ﷺ اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه).

وفي هذه اللَّيالِي المباركة المتبقِّية يُستحبُّ الإكثارُ مِن ذكرِ اللَّهِ وتلاوةِ القرآن، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَّا الأَوْقَاتُ المُفضَّلَةُ - كَشَهْرِ رَمَضَانَ، خُصُوصاً اللَّيَالِي الَّتِي يُطْلَبُ فِيهَا لَيْلَةُ القَدْرِ -، فَيُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ اغْتِنَاماً لِلزَّمَانِ».

وحَرِيٌّ بالمسلم فيها الحِرصُ على أَنْفَعِ الدُّعاءِ وأَجْمَعِهِ؛ قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ، تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه أحمد).

والاعتكافُ مِن خير الأعمال لتكفِيرِ السَّيِّئات، ورفعِ الدَّرجات، «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» (متفق عليه)، قال الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَجَباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الاعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

وينبَغِي للمُعتكِفِ أن ينقطِعَ للعبادةِ ويَشتغِلَ بمَقصُودِه الأعظَم، بعيداً عن فُضُولِ الخُلطةِ والكلامِ والمنامِ، ولا يخرُجُ مِن المسجِدِ إلَّا لحاجةٍ لا بُدَّ مِنها، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَقْصُودُ الاعْتِكَافِ وَرُوحُهُ: عُكُوفُ القَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالخَلْوَةُ بِهِ، وَالانْقِطَاعُ

عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالخَلْقِ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ؛ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ القَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ».

وفي العشر: يَتحرَّى المسلمون ليلةَ القدر؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**» (متفق عليه)، ليلةٌ عظيمةٌ ذاتُ قَدْرٍ وشَرَفٍ، أنزلَ اللَّه فيها سُورةً؛ تعظيماً لقَدرِها، وتشريفاً لأمرِها، وإعلاءً لشأنِها، فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، جعلها مُباركةً كثيرةَ الخير؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾، ومِنْ بركاتِها: نُزولُ القرآنِ فيها؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، وفيها تتنزَّلُ الملائكةُ إلى الأرضِ؛ قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَكْثُرُ تَنَزُّلُ المَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؛ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ البَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ العِلْمِ بِصِدْقٍ؛ تَعْظِيماً لَهُ»، ليلةُ سَلامٍ وأمنٍ واطمئنانٍ؛ قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أي: سالِمةٌ مِن الشُّرور، إحياؤُها بالعبادة مغنَمٌ كبيرٌ؛ قال تعالى: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، وفيها تُقدَّرُ مقاديرُ الخلقِ لجميعِ العام؛ قال ﷻ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالأعمالُ بالخواتيم، والعِبرةُ بكمال النِّهاياتِ لا بنَقصِ البداياتِ، ومن أساء فيما مضى فَلْيَتُبْ فيما بقِي؛ فبابُ التَّوبةِ مفتُوحٌ، وعطاءُ اللَّه ممنُوحٌ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا ساعاتٌ وأيَّام، وهي من صحائِفِ الأعمار، وعُمُر الإنسانِ منها عملُه، والسعيدُ مَن خلَّدَها بأحسَنِ الأعمالِ، والفائِزُ مَن اغتنم بالخير لحظات وقتِه، ولم يُفرِّط في شيءٍ مِن دهرِه، والمَغْبونُ مَنِ انْفَرَطَ أمرُه وغفل قلبُه واتَّبع هواه، والمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الخير في رمضان، قال النَّبيُّ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» (رواه الترمذي).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اغْتِنَامُ العَشْرِ الأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ(١)

الحمد للَّه الكريم المَنَّان، المُتفضِّلِ بالعَفْوِ والغُفْرَان، يَهْدِي إلى الخيراتِ ويَعْفُو عنِ الزَّلَّاتِ ويُجِيبُ الدَّعَوات، أَحْمَدُه سبحانه على ما أَوْلَى من النِّعَم، وأَشْكُرُه تعالى على ما دَفَعَ من النِّقَم.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، المُتفرِّدُ بالكمالِ والدَّوام، شهادةً مُبَرَّأَةً من الشِّركِ والشُّكوكِ والأَوْهَام.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنام، وأَتْقَى مَنْ تَهَجَّد وقام، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه هُداةِ الأنام، ومصابيحُ الظَّلام، صلاةً وسلاماً دائمَين إلى يوم الحشر والمُقام.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّهَ ربَّكم حقَّ التَّقوى، وأخلصوا له النِّيَّةَ والعمل؛ تَسْعَدُوا.

أيُّها المسلمون:

لقد شَرُفَت هذه الأُمَّةُ بشهرٍ تَتَطَهَّرُ فيه النُّفوس من العصيانِ والآثام، ومن نقائصِ الخصال وشوائبِ الفِعال، والصَّالحون من عباد اللَّه يغتنمون أزمانهم فيه بالطَّاعةِ وتلاوةِ القرآن، نزَّه الصِّيامُ نُفوسَهم،

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة تسع عشرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وهذَّب القيامُ أخلاقَهم، وألانَ القرآنُ قلوبَهم، شغلوا أبدانَهم بطاعةِ اللَّه وألسنتَهم بذكره وأرواحَهم بمراقبتِه؛ ففازوا بالغفران ونالوا الرِّضوان.

عبادَ اللَّه:

أيَّامُ رمضانَ تُسارعُ مؤذنة بالانصرافِ والرَّحيل، وها هي ذي لياليه العشرُ قد حلَّتْ، فيها تزْكو الأعمالُ وتُنالُ الآمال، تقولُ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه)، وقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم).

إنَّها سوقٌ يَتنافسُ فيه العاكفون، وامتحانٌ تُبتلَى فيها الهِمَم، ويَتميَّزُ أهلُ الآخرة من أهل الدنيا، يقول الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إِلَّا نَادَى مُنَادٍ مِنَ اللَّهِ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ وَعَلَى عَمَلِكَ شَهِيدٌ، فَتَزَوَّدْ مِنِّي بِصَالِحِ العَمَلِ فَإِنِّي لَا أَعُودُ».

في هذه العشرِ ليلةٌ وصفَها اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بأنَّها مباركة، أنزل في فضلها سورةً تُتلى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، يقول النَّخعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ سِوَاهَا»، إنَّها تاجٌ على رأس الزَّمان، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

فيها تُفَتَّحُ الأبواب، ويُسْمَعُ الخطاب، ويُكْتَبُ للعاملين الجزاء، يَصِلُ فيها الرَّبُّ ويَقْطَع، يُعطي ويَمْنع، يَخْفِض ويَرفَع، تقول عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ

مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ، تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

لم يَكُنِ النَّبيُّ ﷺ يَدَعُ قيامَ اللَّيل في سفرٍ أو حضرٍ، وكان يصلِّيه قائماً وقاعداً، ويصليه على راحلتِه - في أسفاره - ولو إلى غير القبلة؛ عملاً بقول ربِّه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، ولقد «كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ» (متفق عليه).

وسار ركبُ الصَّحابةِ المُبارَكُ على هذا الهَدْيِ، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾، وقال سبحانه: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

عبادَ اللَّه:

من محاسن أهل الإيمان: القيامُ للَّه في الظُّلَم: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، يقول الحسنُ البَصريُّ رحمه الله: «كَابَدُوا اللَّيْلَ فَلَمْ يَنَامُوا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلَهُ».

وقيامُ اللَّيلِ أعظمُ ما يُرْجَى وأَزْكَى ما يُقدَّم في هذه العشر، وهو دليلٌ على رُجْحانِ العقلِ والإيمان، وهو دأبُ الصَّالحينَ قَبلَكم وقُرْبَةٌ إلى ربِّكم ومَغْفِرةٌ للسَّيِّئات؛ يقول المصطفى ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

الدُّعاءُ هو سِهامُ اللَّيلِ يُطْلِقه القانتون، وهو حبلٌ ممدودٌ بين السَّماء والأرض، وهو الرِّبح الظَّاهر بلا ثمنٍ، والمَغنَمُ بلا عناء، ومِنْ أنفع الأدوية للدَّاء، وهو عدوُّ البلاء يُدافعُه ويُعالجُه ويَمنعُ نزولَه، ويَرفعُه أو يُخَفِّفُهُ إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، و«**لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ**»، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾؛ فاجتهِدْ في الدعاء، وتَحَلَّ بآدابه، وأكثِر من الثناء، وعَظِّم الرجاء، فإن خزائنَ اللَّه ملأى ويداه، «**لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، وكن على رجاء الإجابة، فالمدعو هو الكريم.

وللدُّعاءِ أحوالٌ وأوقاتٌ ومواطنُ بعضُها أَرْجَى من بعض، فاجعلْ لك من هذه العشر مُدَّخراً فإنَّها من أنفس الذُّخر، وفرِّغ قلبْك الذي طالَما فرَّقتْه في أوديةِ الدُّنيا وهمومِها، واعمل بسنَّة الاعتكاف في هذه اللَّيالي المُبارَكة؛ اقتداءً بهدي النَّبيِّ ﷺ.

أيُّها المسلمون:

الزَّكاةُ رُكنٌ من أركان الإسلام، ومبنى من مبانيه العظام، فيها تقوى أواصرُ المودةِ بين المسلمين، وفيها تطهيرُ النفوسِ وتزكيتُها من الشُّحِّ، يقول ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وهي حقٌّ واجبٌ وفرضٌ لازمٌ وشريعةٌ عادلة، فيها استجلاب البركة والزيادة والخُلْف من اللَّه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

في الزَّكاةِ سُموٌّ بالأرواحِ والأخلاقِ بالجُودِ والسَّخاء، بها يَكتملُ العدلُ ويَعُمُّ الرَّخاء، ويَسْعَدُ الفُقَراء، وهي حِليةُ الأغنياء، وزينةُ الأتقياء ووصيَّةُ الأنبياء ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾، وفي مَعْرِضِ الكلامِ عن عيسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

أداؤها برهانٌ على صدق الإيمان، ودليلٌ على صفة الإحسان، وسببٌ من أسباب نيل الرِّضوان، ولقد جاء الوعيد في حقِّ مَنْ بَخِلَ بها؛ يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وصحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ آتاهُ اللَّهُ مالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَه؛ مُثِّلَ لَهُ مالُهُ شُجاعاً أَقْرَع، لَهُ زَبِيبَتانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ** - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ -، **ثُمَّ يَقُولُ: أَنا مالُكَ، أَنا كَنْزُكَ**، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾» (رواه البخاري).

فحصِّنوا أموالَكم واحفظُوها من الآفات بالزَّكاة، فإنَّها سببٌ لدفعِ البلاءِ والأسقام، ولا يَغْلِبَنَّكم الشَّيطان؛ فإنَّه لكم شديدُ العداوة والبغضاء: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾، و«**داوُوا مَرْضاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»؛ فإنَّها تَدفعُ عنكم الأمراضَ والأعراض، وابتغوا الضُّعفاءَ والمحاويج، وارزقوهم تُرزَقوا، وارْحمُوهم تُرحموا، فما اشْتكى فقيرٌ إلَّا مِنْ تقصيرِ غنيٍّ.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على جزيلِ نَعْمَاه وجليلِ عطاياه، أَحْمَدُه سبحانه وأَسْأَلُه التَّوفيقَ لِمَا يُحِبُّه ويرضاه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه ومصطفاه، صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ سار على نهجه واقتدى بِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فللوقتِ الباقي في هذا الشَّهر قِيمتُه، وللزَّمن اليسير فيه قَدْرُه، وها أنتم تعيشون أعظمَ أيَّامِه فضلاً وأرفعَها قدراً وأكثرَها أجراً، فيها تَصفو الأوقاتُ وتَحْلو المناجاةُ وتُسْكَب العبراتُ بكاءً على السَّيِّئات، فكم لربِّ العزَّة من عتيق من النَّار؟! وكم من أسيرٍ للذُّنوب وَصَلَهُ اللَّه بعد القطع، وكُتِب له السَّعادةُ من بعد طول شقاء؟! فقدِّم في أيام رمضانَ المباركةِ توبةً صادقة، وأتبِعْهَا بعمل من الباقيات الصَّالحات.

واغتنموا شريفَ الأوقات، فما الحياةُ إلَّا أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، والأيَّامُ مطاياكم إلى هذه الآجال، فاعملوا وأَمِّلوا وأَبْشِرُوا؛ فالمَغبونُ مَنِ انصرفَ أو تشاغلَ بغير طاعة اللَّه، والمَحرومُ مَنْ حُرِم ليلةَ القدر، والمَأْسُوفُ عليه مَنْ أدرك شهر رمضان فلم يُغفرْ له؛ قال ﷺ:

«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» (رواه أحمد).

فاجتهدُوا في أنواع الطَّاعاتِ والقُرُبات، واعمُرُوا أوقاتَكم وقلوبَكم وبيوتَكم بالقرآن، اقرَؤُوه باللَّيل والنَّهار، وعلِّمُوه أولادَكم من البنين والبنات، اشغَلُوا أوقاتَهم به، علِّموهم بأنفسكم إن كنتم قادرين وإلَّا فأَلْحِقُوهُم بحِلَق القرآن في المساجد، وأَنْفِقُوا من أوقاتِكم وأموالِكم على تَعليمِ أولادِكم وتَحفيظِهم كتابَ اللَّه، وتعاونوا مع من يقومُ على ذلك من أهل الخير والإحسان، فما أعظمَ ثواب مَنْ أنفقَ ماله في تعلُّم القرآنِ وتعليمِه! «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (رواه البخاري).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

لَيْلَةُ القَدْرِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ الثَّقلَيْنِ لعبادتِه، وهو سبحانه غنيٌّ عنهم ولا غِنَى لهم عنه، وعبادتُه وحده سببُ دخولِ جنَّاتِ النَّعيم؛ «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» (متفق عليه).

وعبادتُه تعالى في كلِّ مكانٍ وآنٍ، وجعل سبحانه رمضانَ موسِمَ التَّعبُّد له؛ فكان ﷺ يخُصُّه من العبادة بما لا يخُصُّ غيرَه من الشُّهور،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، العشرين من شهر رمضان، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وحرَصَ الصحابة رضي الله عنهم على اغتِنام لحظاته، وكان أبو هريرةَ وأصحابُه رضي الله عنهم «إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي المَسْجِدِ، وَقَالُوا: نُطَهِّرُ صِيَامَنَا» (رواه أبو نُعيم).

ومن فضلِه سبحانه: أنْ جَعَلَ في موسِمِ رمضانَ مواسِمَ؛ ففضَّل العشرَ الأخيرةَ على سائر ليالي الشَّهر، وجعل ليلةَ القدر أفضلَ ليلةٍ في الشَّهر، وكان النَّبيُّ ﷺ يخصُّ العشرَ الأواخر من رمضان بأعمالٍ لا يعملُها في بقيَّة الشُّهور؛ فـ«إِذَا دَخَلَتِ العَشْرُ أَحيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه)، وجدَّ واجتهَد في طاعة اللَّه، يتحرَّى فيها ليلةً مُباركةً هي تاجُ اللَّيالي، بركاتُها عديدة، وساعاتُها معدودة، نوَّه سبحانه بشأنها، وأظهر عظمتَها؛ فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، العملُ القليلُ فيها كثير، والكثيرُ منها مُضاعَف، العبادةُ فيها أفضلُ من عبادة ألف شهر، وأفضلُ الكتب السَّماوية نَزَلَ في ليلتها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

ومن تشريفِ القرآنِ العظيم: الإكثارُ من تلاوته في الشَّهر الذي نزل فيه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، وكان جبريلُ عليه السلام يُدَارِسُ النَّبيَّ ﷺ القرآنَ في كل ليلة من رمضان، وفي العامِ الذي تُوفِّيَ فيه دَارَسَهُ القرآن في رمضان مرَّتَيْن؛ فحقيقٌ بالمُسلمِ أن يُكثِرَ من تلاوة كتابِ اللَّه في شهر الفضائل؛ لينالَ فضلَ القرآن في شهرِ رمضان.

ليلةُ القدر ليلةٌ عظيمةٌ، أخبرَ اللَّه أنَّ ممَّا يَحدثُ فيها: أنه يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ - أي: يُفصَلُ من اللَّوْحِ المحفوظِ إلى الكَتَبَة أَمرُ السَّنَةِ وما

يكون فيها من الآجال، والأرزاق، والخير والشَّرِّ، وغير ذلك -، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُمِّيَتِ القَدْرُ: أَيْ: لَيْلَةُ الحُكْمِ وَالفَصْلِ»، يَصِلُ فيها الرَّبُّ ويقْطع، يَخفِضُ ويَرْفع، يُعطِي ويَمنَع؛ كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: ما يُقدِّره اللَّه فيها مُحكَمٌ لا يُبدَّلُ ولا يُغيَّر.

ليلةٌ لكثرة بركَتها تتنزَّلُ فيها الملائكة - والملائكةُ تتنزَّلُ مع البركة والرَّحمة -، ليلةٌ هي سلامٌ من اللَّه، فكلُّها خيرٌ لا شرَّ فيها إلى مَطلَع الفجرِ، وأُخفِيَت متى هي في العشر؛ ليجتهِدَ طُلابُها في ابتغائها، ويزداد المسلمون من العبادةِ في العشر جميعاً.

ويُستحبُّ للعبد الإكثارُ من الدُّعاء والصَّلاةِ وفِعلِ الخير في العشر، قال ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمرَةٌ، وَثَمرَةُ الصَّلاةِ: الدُّعَاءُ»، قالت عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: **قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ، تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه الترمذي)، والقائمُ في ليلتها بالتَّعبُّد مغفورٌ له ذنبُه؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعتكِفُ في العشر الأواخِر يتحرَّى ليلةَ القدر؛ قالت عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، قال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاعْتِكَافَ مِنَ السُّنَنِ المُؤَكَّدَةِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا وَاظَبَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ الِاقْتِدَاءُ فِي ذَلِكَ بِنَبِيِّهِمْ».

في الاعتكافِ قَطْعُ العلائِق عن الخلائِق للتَّفرُّغِ لعبادة الخالِق، وإذا قوِيَت الصِّلةُ باللَّهِ رضِيَ الرَّبُّ عن العبد، قال ابن شهابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَجَباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الِاعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

والمُعتكِفُ يَعْكُفُ على طاعة اللَّه، ويُقيمُ عليها مُدَّة اعتكافِه في أحبِّ البِقاع إلى اللَّه - المساجد -، ويُقيمُ فيها على الطَّاعة والعبادة، والخضوع والخشوع والابتهال، فلا يكون همُّه إلَّا اللَّه، ولا مقصودُه إلَّا إيَّاه، ولا مُرادُه سِواه عَزَّ وَجَلَّ، ويَخرُج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبُه على طاعة اللَّه، فيكون أوَّاهاً مُنيباً إليه سبحانه.

ورمضانُ موسِمٌ للمُتصدِّقين؛ يتنافسُ فيه الأغنياءُ بالبذلِ والإنفاقِ في فعل الخيرات، وصنائعِ المعروف، ومدِّ يدِ العَوْنِ والمساعَدةِ، والصَّدقةِ إلى ذوي الفَاقة، والمساكِينِ، وإتحافِ الفُقراء؛ فـ«دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»؛ فإنها تَدفعُ الأمراضَ والأعراضَ، وابتغُوا الضُّعفاءَ والمحاوِيج، وارزُقوهم تُرزَقوا، وارحمُوهم تُرحَموا؛ فما اشتكى فقيرٌ إلَّا من تقصير غنيٍّ.

ومن صِفات الأبرار: أنَّ عطاءَهم خالِصٌ لوجه اللَّه، لا يطلبون من الفقراء الثَّناءَ والدُّعاء، فلا تجعلْ صدقتَك رجاءَ دعوةِ الفقير لك، وإنَّما رضا اللَّه سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ طَلَبَ مِنَ الفُقَرَاءِ الدُّعَاءَ أَوِ الثَّنَاءَ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالأجورُ في رمضانَ مُضاعَفة، وأبوابُ الجنَّة فيه مفتوحة، وقُدومُه عُبورٌ لا يَقْبَلُ الفُتور، وشهرُه قصيرٌ لا يحتملُ التَّقصير، فسابِقْ إلى الخيرات، وإن استطعت أن لا يسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ؛ فافعَل.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

رمضانُ مغنَمٌ للتَّوبة والإنابة، يُقيلُ اللَّه فيه العثَرَات، ويمحُو فيه الخطايا والسَّيِّئات؛ فأقبِلْ على اللَّه بالنَّدم على التَّفريط، والعزمِ على مُجانبَة الآثام، وهو سبحانه يُحِبُّ الآيِبَ إليه، ويَفرحُ بتوبةِ التَّائِب؛ فتَعرَّضُوا لنفحَات ربِّكم، واسْتَنزِلوا الرِّزقَ بالاستغفار، والعاقلُ من ينتهِزُ بقيَّةَ لحظاتِ شهره، فيَشغَلُها بالطاعات وعظيمِ القُرُبات، ويَستبدِلُ السَّيِّئاتِ بالحسنات.

وإذا تكاسَلْتَ عن فعل الخير؛ فتذكَّر قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ومن كان في شهرِه مُنيباً، وفي عملِه مُصيباً؛ فَلْيُحْكِم البناء، وَلْيَشكرِ اللَّهَ على النَّعماء، ولا يكُن كالَّتي نقضَتْ غزلَها من بعدِ قوَّةٍ أنكاثاً.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

تَدَارُكُ العَشْرِ الأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه سبيلُ الهدى، والإعراضُ عنها طريقُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

يتفضَّلُ ربُّنا على عبادِه بنفحاتِ الخيرات، ومواسمِ الطَّاعات، فيغتنمُ الصَّالحون نفائسَها، ويتدارك الأوَّابون أواخرها.

ليالٍ مُباركةٌ أوشكت على الرَّحيل، ليالي شهر كريم، أبواب الجِنان فيه مُفتَّحة، وأبواب النَّار فيه مغلَّقة، والشَّياطين فيه مُصفَّدة، العشر الأخيرة منه تاج اللَّيالي، كان نبيُّنا ﷺ إذا دخلت، أَحْيَا ليلَه وأَيْقَظ أهلَه وشَدَّ المِئْزَر، تقول عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم).

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني والعشرين من شهر رمضان، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

في العشر ليلةٌ هي أمُّ اللَّيالي، كثيرة البركات، عزيزة السَّاعات، القليل من العمل فيها كثير، والكثير منه مضاعف: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، خَلْقٌ عظيمٌ يَنْزلُ من السَّماء لشهود تلك اللَّيلة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾، ليلةُ سلامٍ وبركاتٍ على هذه الأُمَّة، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَكْثُرُ نُزُولُ المَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؛ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ البَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ كَمَا يَنْزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ العِلْمِ بِصِدْقٍ؛ تَعْظِيماً لَهُ».

وفي شهر الصِّيام نزلَ كتابُ ربِّنا العظيم، الثَّوابُ في تلاوته جزيل، مَنْ قرأه فله بكلِّ حرفٍ منه حسنة، والحسنةُ بعشْر أمثالها، وهو شافعٌ لصاحبه، يُقالُ لقارئِه يومَ القيامة: «**اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» (رواه أبو داود)، فاجعل لتلاوة كتابِ اللَّه على لسانك في العشرِ الباقية طَرَاوَة، ولصوتك منه نَدَاوَة، لِتظفرَ بشفيعَيْن في الآخرة - القرآنِ والصِّيام -، فلقد كان جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُدَارِسُ نبيَّنا مُحمَّداً صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنَ في شهر الجود والنَّفحات.

والصَّلاة قرَّة عيون الصَّالحين، وراحة أفئدة الخاشعين، «**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، حثَّ النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على قيام اللَّيل، يقول النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» (متفق عليه)، فما ترك القيام بعد ذلك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والعبدُ ملومٌ على ترك قيامِ اللَّيل، يقول النَّبيُّ ﷺ لعبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَكُنْ بِمِثْلِ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (متفق عليه).

إنَّ قيامَ اللَّيل من أفضل الأعمال، ومنْ أسباب دخول الجنان: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (رواه الترمذي)، وليالِي رمضانَ مُبَشَّرٌ مَنْ قامها بغفران الذُّنوب، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وفي كلِّ ليلة ساعةُ إجابة، الأبوابُ فيها تُفَتَّح، والكريمُ فيها يَمْنَح، فَسَلْ فيها ما شئت؛ فالمعطي عظيم، وأيقِنْ بالإجابة؛ فالرَّبُّ كريم، وبُثَّ إليه شكواك؛ فإنَّه الرَّحْمنُ الرَّحيم، وارْفَعْ إليه لأْوَاك؛ فهو السَّميعُ البصير، يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» (رواه مسلم)، ونَسَمَاتُ آخرِ اللَّيل مَظِنَّةُ إجابةِ الدَّعَوَات؛ قيل للنَّبيِّ ﷺ: «أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ» (رواه الترمذي).

والعبدُ مفتقرٌ إلى مَحْوِ أَدْرَانِ خطاياه، والانكسارُ بين يديِ اللَّه والافتقارُ إليه في هذه العشر المباركات بالاعتكاف في بيتٍ من بيوت اللَّه أحرى بمغفرة دَنَسِ الخطايا، وأرجى لقبول العبد عند اللَّه ورضاه عنه، وقد كان رسولُ اللَّه ﷺ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ حتى

توفَّاه اللَّهُ؛ فارغَبْ إلى ربِّك بالاعتكاف، وداوِمْ على ذكر اللَّه فيه، وأكْثِرْ من الدُّعاء في ساعات الإجابة، فتلك لحظاتٌ تُغتنَم، يقول القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَضِيلَةُ الزَّمَانِ إِنَّمَا تَكُونُ بِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الفَضَائِلِ».

وإذا قَرُب العبدُ من ربِّه لَطَفَ اللَّهُ به، وسَاقَ إليه الإحسان من حيثُ لا يَشْعُر، وعَصَمَهُ من الشَّرِّ من حيثُ لا يحتسب، ورَفَعَهُ إلى أعلى المراتبِ بأسبابٍ لا تكونُ من العبد على بالٍ.

أيُّها المسلم:

المالُ وَدِيعةٌ في يدك، ليس لك منه إلَّا ما أكَلْتَ فأَفْنيت، أو لَبِسْت فأَبْليت، أو تَصَدَّقت فأمضيت؛ فتواضع بقلبك للمسكين، وابْذُل له من المال، وادْنُ منه، واحنُ عليه، ولا تحتقر فقيراً؛ فإنَّ أكثرَ أهل الجنَّةِ هم الفقراء.

وباليسير من النَّفقة مع الإخلاص تنجو من النَّار؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوْا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» (متفق عليه)، وَقِ نفسك شُحَّها، وأَيْقِنْ بالغنى من الكريم، فالمُنْفِقُ مُخْلَفٌ؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**» (رواه مسلم).

والشَّيطانُ يُوَسْوِسُ لك ويأمرُك بالإمساك ويُزَيِّنُه لك خديعةً ومكراً؛ قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ فلا تَقْهَر يتيماً، ولا تَنْهَرْ سائلاً، وأَنْفِقْ بسخاوةِ نفسٍ؛ يُبَارَكْ لك في المال والولد.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الشَّهرُ أوشَكَ على الرَّحيل بما أَوْدَع فيه العبادُ من أفعال، واللَّبيب مَنْ خَتَم شهرَه بتوبة صادقة بالبُعد عن المعاصي والآثام، والمفلِسُ من أغْرقَ نفسَه في السِّيئات، ولقي ربَّه وهو على العصيان، والتَّوبة ليست نقصاً، بل هي أفضلُ الكمالات ومِنْ أَحَبِّ الحسناتِ إلى اللَّه، وهي الأصلُ الذي تَصْلُحُ عليه الأمور، فأكثِرْ من الاستغفار في خِتام شهرِك، يَكُنْ تاجاً على حسناتِك، وماحياً لقبيح زلَّاتك.

وتذكَّر أنَّ: «اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (رواه مسلم)، وإيَّاك والتَّسويفَ بالتَّوبة؛ فإنَّ الموتَ يأتي بَغْتَةً!

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الرَّابع

وَدَاعُ رَمَضَانَ

نِهَايَةُ رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فخيرُ الزَّادِ ما صَحِبَهُ التَّقوى، وخيرُ العملِ ما قَارَنَهُ الإخلاصُ للمولى.

أيُّها المسلمون:

لقد يسَّر اللَّهُ طرقَ الخيرات، وتابَعَ لِعبادِه مَواسم الحسنات، وربُّنا وحدَه هو مُصرِّفُ الأيام والشُّهور: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، جَعَل لكلِّ أجلٍ كتاباً، ولكلِّ عملٍ حساباً، وجَعَل الدُّنيا سوقاً يَغْدو إليها النَّاسُ ويروحون منها، «فَبَائِعٌ نَفْسَهُ؛ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»، والأيَّام أجزاءٌ من العمر، ومراحلُ في الطَّريق تَفْنى يوماً بعد يوم، مضيُّها استنفادٌ للأعمار، واستكمالٌ للآثار، وقُرْبٌ من الآجال، وغَلْقٌ لخزائن الأعمال.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس والعشرين من شهر رمضان، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

مضت أيامٌ مباركات، قَطَعْتُم بها مرحلة من مراحل العمر، مَنْ أحْسنَ فيها فلْيحمدِ اللَّه وليواصلِ الإحسان، ومَنْ أساء فلْيَتُبْ إلى اللَّه ولْيُصلِحِ العمل، و«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ»، قيل للإمام أحمدَ ﵀: «مَتَى الرَّاحَةُ؟ قَالَ: عِنْدَ وَضْعِ أَوَّلِ قَدَمٍ فِي الجَنَّةِ»، في دوام الطَّاعة وامتداد زمانها نعيمٌ للصَّالحين، وقرَّة عين للمؤمنين، وتحقيق آمال المحسنين؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

مضت ليالٍ غُرٌّ بفضائلها ونفحات ربِّها، وأوشكَ باقيها على الرَّحيل، وكأنَّها ضَرْبُ خيال، لقد قَطعَتْ بنا مرحلةً من حياتنا لن تَعودَ، هذا هو شهرُكم، وهذه هي نهايتُه، كم من مستقْبِلٍ له لم يَستكملْه؟! وكم من مؤمّلٍ أن يَعودَ إليه لم يُدركْه؟! فاغتنِمْ ما بقي من الشَّهر بمضاعفة الطَّاعات، فأيَّامُ رمضانَ مُؤْذِنَةٌ بالانصراف والرَّحيل، وما الحياةُ إلَّا أنفاسٌ معدودة وآجالٌ محدودة، وإنَّ عُمُراً يُقاسُ بالأنفاس لَسَريعُ الانصرام.

ومرورُ الأيامِ يذكِّر بِقُربِ الرَّحيل، واحذرِ الاغترارَ بالسَّلامة والإمهال، ومتابعةِ كواذب المُنى والآمال، فالأيَّام تُطْوَى، والأعمارُ تَفْنَى؛ فسابقِ الزَّمنَ وغالِبِ الهوى، واجعَلْ لك في بقية اللَّيالي مُدَّخراً فإنَّها أنفَسُ الذُّخر، وابكِ على خطيئتك، واندم على تَفريطك.

واغتنمْ آخرَ ساعاتِه بالدُّعاء، ففي رمضانَ كنوزٌ غالية، وسَلِ الكريمَ فخزائنُه مَلْأى ويداه، «سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، واستنزِلِ الرِّزقَ بالصِّدق، وحصِّنْ مَالَكَ بالزَّكاة، وكُنْ للقرآن تالياً، وودِّع شهرَك بكثرةِ الإنابةِ والاستغفار، وقيامٍ للَّه مُخْلِصاً في دُجى الأسحار.

وإن استطعتَ أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه في بَقِيَّة شهرِك أحدٌ؛ فافعل، فلحظاتُ رمضانَ الأخيرة نفيسة، ولعلك لا تُدركُ غيره، وافتح صفحة مشرقة مع مولاك، واسْدِل السِّتار على ماضٍ نسيته وأحصاه اللَّه عليك، وعاهِدْ نفسَكَ في هذا الشَّهر بدوام المحافظةِ على الصَّلوات الخمس في بيوت اللَّه، وبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وتطهير مالك عن المُحرَّمات والشُّبهات، وحفظِ لسانِك عن الكذب والغِيبة، وتطهيرِ القلبِ من الحسد والبغضاء، وغَضِّ البصر عن المُحرَّمات، والقيامِ بشعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

واستدرك هَفَواتِ الفوات، فالتَّرحُّلُ من الدُّنيا قد دنا، والتحول منها قد أَزِف، والرَّشيدُ من وَقَفَ مع نفسِه وقْفَةَ مُحَاسبةٍ وعتاب، يُصَحِّحُ مسيرتَها، ويتداركُ زلَّتها، يقولُ ابن حبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَفْضَلُ ذَوِي العُقُولِ مَنْزِلَةً: أَدْوَمُهُمْ لِنَفْسِهِ مُحَاسَبَةً»، والسَّعيدُ مَنِ استودع صالحاً مِنْ عملِه، والشَّقيُّ مَنْ شَهِدَتْ عليه جوارحُه بقبيح زَللِهِ، وهكذا أيَّامُ العمر؛ مراحلُ نَقطعُها يوماً بعد يوم في طريقنا إلى الدَّار الآخرة.

والطَّاعةُ ليس لها زمن محدود، ولا للعبادة أجلٌ معدود، ويجبُ أن تسيرَ النُّفوسُ على نهج الهدى والرَّشادِ بعد رمضان، فعبادةُ ربِّ

العالمين ليست مقصورةً على رمضان، وليس للعبد منتهى من العبادةِ دونَ الموت، وبئسَ القومُ لا يَعرفونَ اللَّهَ إلَّا في رمضان.

أيُّها المسلمون:

إنَّ للقَبول والرِّبح في هذا الشَّهر علامات، وللخسارة والرَّدِّ أمارات، وإنَّ من علامة قَبول الحسنة: فعلَ الحسنة بعدها، ومن علامة السَّيِّئةِ: السَّيِّئةُ بعدها، فأتبِعُوا الحسنات بالحسنات تَكُنْ علامةً على قبولها، وأتبعوا السَّيِّئات بالحسنات تَكُنْ كفَّارةً لها ووقايةً من خطرها، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ؛ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» (رواه الترمذي).

ومَنْ عَزَمَ على العَوْدِ إلى التَّفريط والتَّقصير بعد رمضان؛ فاللَّهُ يَرضى عمَّن أطاعَه في أيِّ شهر كان، ويَغضبُ على من عصاه في كل وقتٍ وآن، ومدارُ السَّعادةِ: في طول العُمُرِ وحسنِ العمل، ومداومةِ المسلمِ على الطَّاعة من غير قَصْرٍ على زمنٍ معيَّن أو شهرٍ مخصوص، أو مكانٍ فاضل؛ مِنْ أعظمِ البراهين على القبول وحسن الاستقامة.

أيُّها المسلمون:

إن انقضى موسمُ رمضان؛ فإنَّ الصِّيام لا يزال مشروعاً في غيره من الشُّهور، فقد سنَّ رسولُ اللَّه ﷺ صِيامَ يوم الاثنينِ والخميس، وقال: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ؛ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**» (رواه الترمذي)، وأوصى نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أبا هريرةَ رضي الله عنه بصيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، وقال: «**صَوْمُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ:**

صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ» (متفق عليه)، وأَتْبِعُوا صيامَ رمضانَ بصيامِ ستٍّ من شوَّال، يقول المصطفى ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ؛ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (رواه مسلم).

ولَئِنِ انقضى قيامُ رمضانَ فإنَّ قيامَ اللَّيلِ مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ من ليالي السَّنَة، وقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي؛ فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، و«أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه)، والمغبونُ من انصرفَ عن طاعة اللَّه، والمحرومُ مَنْ حُرِمَ رحمةَ اللَّه، والخطايا مُطَوَّقةٌ في أعناق الرِّجال، والهلاكُ في الإصرار عليها، وما أعرض معرضٌ عن طاعته إلَّا عَثِرَ في ثوب غَفلتِه، ومَنْ أصلحَ ما بينه وبين اللَّه أصلح اللَّهُ ما بينه وبين الخلق.

فإيَّاك والمعاصي بعد شهر الغُفران، فالعاصي في شقاء، والخطيئة تُذِلُّ الإنسانَ، وتُخرِسُ اللِّسان، يقول أبو سليمان التَّيميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ يُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ؛ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ»، وأَقْبِحْ بالذَّنبِ بعد الطَّاعة! والبُعدِ عن المولى بعد القرب منه!

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الأعمالُ بالخواتيم، وفي ختامِ شهرِكم اجتهِدُوا في الإكثار من الاستغفارِ يُغْفَرْ لكم ما اقترفتم من خللٍ وتقصير، ومَنْ أَحْسَنَ وأَصلَحَ فيما بَقِي؛ غُفِرَ له ما سلف، ومَنْ دَاوَم على التَّقصير؛ أُخِذَ بما سلف، وبما بقي.

وإنَّ مِنْ مسالكِ الإحسان في ختام شهركم: إخراجَ زكاةِ الفطر، ففيها أُلفةُ القلوبِ وعَطْفُ الغنيِّ على أخيه الفقير، فَرَضَها رسولُ اللَّهِ ﷺ طُهرةً للصَّائم وطُعمةً للمساكين، ومقدارها: صاعٌ من طعامٍ مِنْ غالبِ قُوتِ البلد، ووقتُ إخراجِها الفاضل: يومَ العيد قبل الصَّلاة، ويجوز تقديمُها قبل ذلك بيوم أو يومين، فأخرِجُوها طَيِّبَةً بها نفوسكم.

وأكثِرُوا من التَّكبير ليلة العيد إلى صلاة العيد؛ تعظيماً للَّه وشكراً له على التَّمام؛ قال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

واشكُرُوا ربَّكم على تمام فرضِكم، ولْيكن عيدُكم مقروناً بتفريجِ كُربة وملاطفةٍ ليتيم، وابتهِجُوا بعيدكم بالبقاء على العهد وإتباع الحسنة بالحسنة، وإياكم والمُجاهرة في الأعياد بقبيح الفِعال والآثام، يقول أحدُ السَّلف: «كُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ، وَكُلُّ يَوْمٍ يَقْطَعُهُ المُؤْمِنُ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ وَذِكْرِهِ فَهُوَ عِيدٌ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خِتَامُ رَمَضَانَ (١)

الحمد للَّه الَّذي جَعَلَ اللَّيلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أَنْ يذَّكَّرَ أو أرادَ شُكوراً، ووفَّقَ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه للطَّاعات والأعمالِ الصَّالحات وكان سَعْيُهم مشكوراً، وخَذَل مَنْ أعرضَ عنْ ذكره واتَّبع هواه فكان مأواه جهنَّمَ وساءت مصيراً.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وكان على كلِّ شيءٍ قديراً.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه ربُّه بين يدي السَّاعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى اللَّه بإذنِه وسراجاً منيراً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأتباعه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه أكرمُ ما أسررتم، وأجملُ ما أظهرتم، وأزكى ما لَبِسْتُم.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الشُّهورَ واللَّياليَ والأعوام مقاديرُ للآجال، ومواقيتُ للأعمال،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الأوَّل من شهر شوَّال، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

تنقضي حثيثاً وتمضي جميعاً، والموتُ يطوفُ باللَّيل والنَّهار، لا يُؤخِّرُ من حَضَرَتْ ساعتُه وفَرَغَتْ أيامُه، والأيامُ خزائنُ حافظةٌ لأعمالِكم تُدعَون بها يومَ القيامة: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾، ينادي ربُّكم: «**يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً؛ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**» (رواه مسلم).

لقد رَحَلَ شهرُكم بأعمالكم وخُتِم فيه على أفعالِكم وأقوالِكم، فمن كان مسيئاً فلْيُبادرْ بالتَّوبة والحُسنى قبل غَلْق الباب وطيِّ الكتاب، ومَنْ كان في شهره إلى ربِّه منيباً، وفي عمله مصيباً فَلْيُحْكِمِ البناءَ، ولْيَشكُرِ المنعِمَ على النَّعْمَاء، ولا يَكُنْ كالَّتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعدِ قوَّةٍ أَنْكَاثاً.

وما أجملَ الطَّاعةَ تعقُبُها الطَّاعات! وما أَبْهَى الحسنةَ تُجْمعُ إليها الحسنات! وأكرِمْ بأعمالِ البِرِّ في تَرادُفِ الحلقات! إنَّها الباقياتُ الصَّالحاتُ التي نَدَب اللَّهُ إليها، ورغَّب فيها، وكونوا بقَبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، فاللَّهُ لا يَتقبَّلُ إلَّا من المتَّقين، وما أقبحَ فِعلَ السَّيِّئةِ بعد الحسنة! ولئن كانت الحسناتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات؛ فإنَّ السَّيِّئاتِ قد يُحْبِطْنَ الأعمال الصَّالحات.

أيُّها المسلمون:

كنتم في شهر البِرِّ والخير، تصومون نهاره وتقومون ليله، وتتقرَّبون إلى ربِّكم بأنواع القربات؛ طمعاً في الثَّواب، وخشيةً من العقاب، وقد

رَحَلَتْ تلك الأيام، وكأنَّها ضربُ خيالٍ، لقد قطعت بنا مرحلةً من حياتنا لن تعود، هذا هو شهرُكم، فهذه هي نهايتُه، كم من مُستقبِلٍ له لم يَستَكْمِلْه؟! وكم من مُؤَمِّل أن يعودَ إليه لم يُدركْه؟! وهكذا أيَّامُ العُمُرِ؛ مراحلُ نقطعُها يوماً بعد يوم في طريقنا إلى الدَّار الآخرة.

إنَّ استدامةَ أمرِ الطَّاعةِ وامتدادَ زمانِها: زادُ الصَّالحين وتحقيقُ أملِ المحسنين، وليس للطَّاعة زمنٌ محدود، ولا للعبادة أجلٌ معدود؛ بل هي حقٌّ للَّه على العباد، يَعمُرُون بها الأكوان على مَرِّ الأزمان، وشهرُ رمضانَ ميدانٌ لِتنافُسِ الصَّالحين، وتَسابُقِ المحسنين، يَسْمُون بأرواحِهم إلى الفضائل، ويَمنعون عنها الرَّذائل، ويَجِبُ أن تَسيرَ النفوسُ على نهج الهدى والرشاد بعد رمضان؛ فعبادةُ ربِّ العالمين ليست مقصورةً على رمضان، وليس للعبد منتهى من العبادة دون الموت، وبئس القومُ يعبدون الزَّمان، لا يعرفون اللَّهَ إلَّا في رمضان!

أيُّها المسلمون:

إنَّ للقَبولِ والرِّبحِ في هذا الشَّهر علامات، وللخسارة والرَّدِّ أمارات، وإنَّ مِنْ علامة قَبول الحسنةِ: فِعلَ الحسنة بعدها، ومِنْ علامة السَّيِّئةِ: السَّيِّئةُ بعدها؛ فأتبِعُوا الحسنات بالحسنات تكنْ علامةً على قَبولها، وأكثِروا من الحسنات بعد السَّيِّئات تكنْ كفارةً لها وَوِقَايةً من خطرها؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (رواه الترمذي).

ومَن عَزَم على العود إلى التَّفريط والتَّقصير بعد رمضان؛ فاللَّهُ حَيٌّ لا يُفنيه تداولُ الأزمان وتعاقبُ الأَهِلَّة، وهو يَرضى عمَّن أطاعه في أيِّ شهر كان، ويَغْضَبُ على من عصاه في كلِّ وقتٍ وآن، ومدارُ السَّعادة: في طول العُمُر وحسنِ العمل، ومداومةُ المسلم على الطَّاعة من غير قَصْر على زمن معيَّن، أو شهر مخصوص، أو مكان فاضل؛ من أعظم البراهين على القَبول وحسن الاستقامة.

أيُّها المسلمون:

إنِ انقضى موسمُ رمضان؛ فإنَّ الصِّيامَ لا يَزالُ مشروعاً في غيرِه من الشُّهور، فقد سنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ صِيام يوم الاثنين والخميس، وقال: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ؛ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» (رواه الترمذي)، وأوصى نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أبا هريرةَ رضي الله عنه بصيام ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهر، وقال: «صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ» (متفق عليه)، وأَتْبِعُوا صيامَ رمضانَ بصيامِ ستٍّ من شوَّالٍ، يقول المصطفى ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ؛ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (رواه مسلم).

ولَئِن انقضى قيامُ رمضان؛ فإنَّ قيامَ اللَّيلِ مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ من ليالِي السَّنَة، وقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؛ فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، و«أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه)،

والمَغْبُونُ مَنِ انصرفَ عن طاعة اللَّه، والمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ رحمة اللَّه.

عبادَ اللَّه:

في حين انغماس بعض الشَّباب في شهر الصِّيامِ في الشَّهواتِ والمُنْكَرات، وتَقَلُّبِهم في المعاصي والسَّيِّئات، ترى فِتْيَةً قد سلكوا طُرُقَ الخيرات، وسَعَوْا للتَّزَوُّد من الباقيات الصَّالحات؛ لَزِمُوا الاعتكافَ في بيوت اللَّه، وقَطَعُوا العلائقَ عن الخلائقِ للاتِّصالِ بالخالق، جعلوا رضا اللَّه فوقَ أهوائهم، وطاعتَه فوقَ رغباتِهم، تراهم ما بين راكعٍ وخاشعٍ، وساجدٍ ودامعٍ، يتلون كتاب ربِّهم، ويُكثِرون مِن ذِكْرِ خالقهم.

بِهم يُفْتَخر، وبمثلهم يُعْتَز، إنَّهم يعيدون الأملَ للأُمَّة، والصَّلاحَ في أبناء المِلَّة؛ فَلْيُحْذَ حَذْوَهم في الاستقامة والنَّقاء، وَلْتُقَرَّ بِهِم أَعْيُنُ الآباء، وَلْيَهْنَؤُوا؛ فهذا فعل النُّبلاء: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

اتقوا اللَّه؛ فإنَّ تقواه رأسُ الأمرِ كلِّه، واعملوا بطاعته تفوزوا بمرضاته، واجتنبوا محارمَه تَنْجُوا من غضبه وعقابه، ولا تعودوا إلى الانغماس في معصيته؛ فإنَّ الانغماسَ في المعاصي يُوجبُ عذابَه.

وقد وَدَّعْتم موسماً مباركاً عظيماً من مواسم المتاجرة مع ربِّكم بالأعمال الصَّالحة، وامتنَّ اللَّه على أهل هذه القِبلة بفيض رحمته ورضوانه، وأعتق رقاباً قد أَرَّقَتْهَا جَرَائِرُ سيِّئاتها، فاسْتَأْثَرَتْ بالسَّعادة ونَجَتْ من الشَّقاوة، وهنيئاً لمن فاز بجائزة ربِّه، ويا ويح من عاد بالخيبة والنَّدامة!

وكأنَّكم بالأعمال قد انقضت، وبالدُّنيا قد مضت؛ فاستعدوا بذخائر الأعمال لِمَا تَلْقَوْا من عظيم الأهوال، وقد آنَ وقتُ التَّحويلِ إلى الوقوف بين يدي الملكِ الجليل؛ فأنفاسُكم معدودة، ومَلَكُ الموتِ قاصدٌ إليكم، يَقطعُ آثاركم، ويُخَرِّبُ ديارَكم، فرحم اللَّهُ عبداً نظر لنفسه

وقَدِّم لِغَدِه مِن أَمْسِه؛ فترحَّلْ من مواطن غَيِّك وهلاكِك إلى مواطنِ رُشْدِك وسدادِك، ولا تَغْتَرَّ بكثرة الهالكين بزخارف الدُّنيا، ولا تَسْتَوْحِشْ من الحقِّ لقلَّة السَّالكين.

واشكروا ربَّكم على تمام فرضكم، وليكن عيدُكم مقروناً بتفريجِ كُربة وملاطفةٍ ليتيم، وابتهجوا بعيدكم بالبقاء على العهد وإتباعِ الحسنةِ بالحسنة، وإيَّاكُم والمُجاهَرَة في الأعياد بقبيح الفِعال والآثام؛ فذلك مَاحِقٌ للنِّعَم، يقول أحد السَّلف: «كُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ؛ فَهُوَ عِيدٌ، وَكُلُّ يَوْمٍ يَقْطَعُهُ المُؤْمِنُ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ وَذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ؛ فَهُوَ عِيدٌ».

ثم اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رَحِيلُ رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

يُنْزِلُ اللَّهُ على عبادِه مواسمَ الخيرات لِيتزوَّدُوا من الطاعات، ولِحِكْمتِه سبحانه لا تدومُ الأيَّامُ المباركات؛ ليتسابقَ المتسابقون في لحظاتِها ويُحرَمَ من فضلها المقصرون.

وقد حلَّ بالمسلمين زمنٌ فاضلٌ؛ في نهارِه صيامٌ وبذلٌ وعطاء، وفي ليلِه تهجُّدٌ وقرآنٌ ودعاء، كم منْ مسيءٍ غُفر له؟! وكم من محروم وُهِبَ له؟! وكم من شقيٍّ كُتِبَتْ له السَّعادة؟! وكم من دعوةٍ استُجيبت؟! وكم منْ عملٍ صالحٍ كان سببَ دخولِ الجنَّة؟!

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع والعشرين من شهر رمضان، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أيَّامٌ مبارَكةٌ أَذِنتْ بالرَّحيلِ وأَوْشَكَتْ على الزَّوال، مَوْسمٌ يُودِّعُه المسلمون، كم من حيٍّ لَنْ يَعُودَ عليه رمضانُ وكُتِبَ في عِدادِ أهلِ القبور فيكون مرهوناً بعمله؟ قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، والعاقلُ مَنِ انْتَهَزَ بقيَّةَ لحظاتِ شهرِه فشغَلها بالطَّاعاتِ وعظيمِ القُرُبات واستبدلَ السَّيِّئاتِ بالحسنات، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «العِبْرَةُ بِكَمَالِ النِّهَايَاتِ لَا بِنَقْصِ البِدَايَاتِ»، فمَنْ كان في شهرِه مُنِيباً وفي عملِه مُصِيباً؛ فليُحْكِم البِناءَ وليَشكُرِ اللَّهَ على النَّعماء، ولا يكنْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، ومَنْ كان مسيئاً؛ فليتبْ إلى اللَّهِ ما دامَ بابُ التَّوبة مفتوحاً، فرمضان موسمٌ لتوبةِ العاصين.

أيُّها المسلمون:

الاستغفارُ ختامُ الأعمالِ الصَّالحة، يُخْتَمُ به الصَّلاة والحجُّ وآخرُ اللَّيل، ومِنْ خيرِ ما يُخْتَمُ به شهرُ رمضان: كثرةُ الاستغفار، وتلاوةُ القرآن، والدُّعاء؛ فالأعمالُ بالخواتيم.

وإذا أكملَ المسلمُ العملَ وأتمَّه بقي عليه الخشيةُ من عدم قَبولِه أو فسادِه بعد قبولِه؛ قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكُمْ بِالعَمَلِ»، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، قال سلمةُ بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَوْفُ عَلَى العَمَلِ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ أَشَدُّ مِنَ العَمَلِ».

والمرءُ مأمورٌ بعبادةِ الرَّحمنِ في كلِّ وقتٍ وآن؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، ومَنْ كان يعملُ الصَّالحات في رمضان؛ فليداومْ عليها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ:

أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَلِيلُ العَمَلِ الدَّائِمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْقَطِعُ، وَإِنَّمَا كَانَ القَلِيلُ الدَّائِمُ خَيْراً مِنَ الكَثِيرِ المُنْقَطِعِ؛ لِأَنَّ بِدَوَامِ القَلِيلِ تَدُومُ الطَّاعَةُ وَالذِّكْرُ وَالمُرَاقَبَةُ، وَالنِّيَّةُ وَالإِخْلَاصُ وَالإِقْبَالُ عَلَى الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُثْمِرُ القَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيدُ عَلَى الكَثِيرِ المُنْقَطِعِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً».

ومِنْ كرَمِ اللَّه أنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ في رمضانَ دائمةٌ طوالَ العام؛ فيُشرَعُ صيامُ ستٍّ من شوَّال، ومَنْ صامَها كان كصيامِ الدَّهر، وصيامُ الاثنين والخميس وثلاثة أيَّام من كلِّ شهر مُرغَّبٌ فيه، وتلاوةُ القرآنِ العظيمِ مأمورٌ بها على الدَّوام، وقيامُ اللَّيلِ مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ يغرُبُ شمسُ نهارِها، والصَّدقةُ بابٌ مفتوح، والدُّعاء لا غِنى للمرءِ عنه في حياتِه.

ومَنْ عَمِلَ طاعةً فعلامةُ قبولِها: أن يَصِلَهَا بطاعةٍ أخرى، وعلامةُ ردِّها: أن يُعقِبَ تلك الطَّاعةَ بمعصية، وما أحسنَ الحسنةَ بعد السَّيِّئةِ تمحوها! وأحسنُ منها الحسنةُ بعد الحسنة تتلوها، وما أقبحَ السَّيِّئةَ بعد الحسنةِ تمحقُها وتعفوها! فزَكُّوا أنفسكم بفعلِ الطَّاعة والإخلاصِ في العبادة، وصدقِ التَّوبةِ إلى اللَّه؛ طمعاً في عظيمِ مغفرتِه وواسعِ رحمتِه وجزيلِ عطائه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

بارك اللَّهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

شرعَ اللَّهُ في ختامِ الشَّهرِ زكاةَ الفطرِ طُهرةً للصَّائم من اللَّغوِ والرَّفَث، وطُعمةً للمساكين، قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ: صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ» (متفق عليه)، ويُستحبُّ إخراجُ الزَّكاةِ عن الجنين، ولا بأسَ بنقلِ الزَّكاة إلى بلدٍ آخر، وإخراجُها في المحلِّ الذي أنتَ فيه أفضل، ويجوز إخراجُها قبل العيد بيومٍ أو يومين، ويُستحبُّ إخراجُها حينَ الذَّهابِ إلى صلاةِ العيد.

والعيدُ فَرَحٌ بتفاؤلِ قَبولِ الأعمالِ الصَّالحة في شهرِ البركات؛ فيُشرَعُ التَّكبيرُ من ليلتِه إلى صلاةِ العيد، وكان النَّبيُّ ﷺ يَخْرُج إلى العيد في أجمل ثيابه، و«كَانَ لَا يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمرَاتٍ» (رواه البخاري)، و«كَانَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ - أَيْ: خَرَجَ مِنْ طَرِيقٍ إِلَى المُصَلَّى وَعَادَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ -» (رواه البخاري).

ومَنْ فاتته صلاةُ العيد فإنَّه يصلِّيها على صفتِها، سواءٌ في المصلَّى أو في غيرِه - جماعةً أو فرادى -، قال البخاريُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا فَاتَهُ العِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ».

والعيدُ سرورٌ واستبشارٌ بإسباغِ فضلِ اللَّهِ على عبادِه؛ فيُكْثِرُ العبدُ في يومِ العيدِ من ذِكْرِ اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَإِنَّ هَذِهِ الأَيَّامَ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه أبو داود).

وَلْيَحذرِ المسلمُ أن يتجاوزَ في العيدِ ما حدَّه اللَّه له؛ فيهدمَ ما بناه في رمضان، ولْيَكُنْ على وجهِك في العيدِ وغيرِه نورُ الطَّاعةِ وسَمْتُ العبادة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

انْقِضَاءُ رَمَضَانَ[(١)]

إنَّ الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

عاش المسلمون في هذا الشَّهر المبارك زمناً فاضلاً، نهارُه صيامٌ وليلُه قيامٌ، عُمِرَتْ فيه المساجدُ بالطَّاعة والقرآن، ويتقلَّبون في لحظاته بين ذِكْرٍ ودعاءٍ وبَذْلٍ وعطاء، القلوب مُخْبِتة والجوارح مُقْبِلة؛ فذاق المؤمنون فيه من طعمِ الإيمانِ وحلاوتِه، وها هي أيامُه قد آذنت بالرَّحيل، وأَوْشَكَت على الزوال، والمُوفَّقُ مَنِ اغتنم باقيَ لحظاته؛ فالأعمال بالخواتيم، والعبرة بكمال النِّهايات، وَمَنْ كان في شهره منيباً وفي عمله مصيباً فَلْيُحكِمِ البناءَ، ولْيَشكُرِ اللَّهَ على النَّعماء، ولا يكن

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كالتي نقضت غَزْلَها من بعد قوَّةٍ أنكاثاً، فحِفْظُ الطَّاعةِ أشقُّ من فعلها، ومِنْ دعاءِ الصَّالحين: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَمَلَ الصَّالِحَ وَحِفْظَهُ».

ومَنْ كان مُقَصِّراً فَلْيُبادِرْ بالتَّوبة النَّصوح؛ فإنَّ البابَ مفتوح، قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» (رواه أحمد).

وكونوا لِقَبول العملِ أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، والمؤمن يجمعُ بين إحسانٍ ومخافة، حاله كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخافُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾» (رواه الترمذي).

ولَئِنِ انقضى شهرُ رمضان؛ فإنَّ زمنَ العمل لا ينقضي إلَّا بالموت؛ قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، وقليلُ العملِ الدَّائمِ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ؛ قال ﷺ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه)، ومن علامة قَبول الحسنةِ: فعلُ الحسنة بعدها، وما أحسنَ الحسنةَ بعد السَّيِّئة تمحوها! وأحسنُ من ذلك الحسنةُ بعد الحسنةِ تتلوها.

ومِنْ فضل اللَّه أنَّ أعمال رمضان دائمةٌ طوالَ العامِ؛ من تلاوةٍ وصدقةٍ وصيامٍ وعمرةٍ ودعاءٍ وقيام، وغيرِ ذلك مِمَّا شرعه اللَّه لعباده

على الدَّوام، وفي استدامةِ الطَّاعةِ وامتدادِ زمانها نعيمٌ للصَّالحين، وقرةُ عَيْنٍ للمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وفي ختامِ رمضانَ بُشرى لأهل الصِّيام والقيام؛ قال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ» (متفق عليه).

والحياة أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، وإنَّ عُمْراً يُقَاسُ بالأنفاس لَسَريعُ الانصرامِ، وفي انقضاء رمضان عبرةٌ بزوال الدنيا وما فيها، وكأنكم بالأعمال قد انقضت وبالدُّنيا قد مضت، وحينها كلُّ عبدٍ مرهونٌ بعمله، والفائزُ مَنِ استجابَ لداعي ربِّه، وكان من المحسنين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّهُ لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

خصَّ اللَّهُ ختامَ هذا الشهر بزكاة الفِطْر طُهرةً للصَّائمينَ وطُعمةً للمساكين، ومقدارها: صاع من غالب قوت البلد يُخْرِجُها المرءُ عن نفسه وعمَّن يعول، ووقت إخراجها المستحب: قبل صلاة العيد، ويجوز تقديمُها قبل ذلك بيومٍ أو يومين.

وإذا انقضى رمضانُ بغروبِ شمسِ آخِرِ أيَّامه يتأكَّدُ التَّكبيرُ إلى صلاة العيد؛ قال سبحانه: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، و«**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ، فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَا بَعْدَ رَمَضَانَ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى هي وصيَّةُ اللَّهِ لجميعِ خلقِه، ووصيَّةُ رسولِ اللَّه ﷺ لأُمَّته.

أيُّها المسلمون:

لقد يسَّر اللَّهُ طُرُقَ الخيرات، وتابع لعباده مواسمَ الحسنات، وربُّنا وحده هو مصرِّفُ الأيامِ والشُّهور: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾، جعل لكلِّ أجلٍ كتاباً، ولكلِّ عملٍ حساباً، وجعل الدُّنيا سوقاً يغدو إليها النَّاسُ، ويروحون منها، «فَبَائِعٌ نَفْسَهُ؛ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

والأيَّامُ أجزاءٌ من العمر، ومراحلُ في الطَّريق تُفْنِي يوماً بعد يوم،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث عشَر من شهر شوَّال، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

مُضِيُّها استنفاد للأعمار، واستِكْمَالٌ للآثار، وقُرْبٌ من الآجال، وغَلْقٌ لخزائن الأعمال.

مضت أيامٌ مباركاتٌ قطعتُم بها مرحلة من مراحل العمر، مَنْ أحسن فيها فَلْيَحمدِ اللَّه، وَلْيُواصلِ الإحسان، ومن أساء فَلْيَتبْ إلى اللَّه وَلْيُصلِح العمل، و«**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ**»، قيل للإمام أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَتَى الرَّاحَةُ؟ قَالَ: عِنْدَ وَضْعِ أَوَّلِ قَدَمٍ فِي الجَنَّةِ».

في استدامةِ الطَّاعة وامتدادِ زمانها نعيمٌ للصَّالحين، وقرةُ عَيْنٍ للمؤمنين، وتحقيق آمالِ المحسنين؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**» (رواه الترمذي).

ولِقَبول العملِ علامات، وللكذب في التَّوبة والإنابة أمارات؛ فمِنْ علامة قَبول الحسنةِ: فِعلُ الحسنة بعدها، ومن علامة السَّيِّئةِ: السَّيِّئةُ تتبعها، فأتبِعُوا الحسنات بالحسنات تَكُنْ علامة على قَبولها وتكميلاً لها، وتوطيناً للنَّفس عليها، حتى تُصبحَ من سجاياها وكريم خصالها، وأتبعوا السَّيِّئات بالحسنات تكن كفَّارة لها، وَوِقَاية من خطرها وضررها: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» (رواه أحمد)، وفي لفظٍ: «**وَإِذَا أَسَأْتَ؛ فَأَحْسِنْ**».

إنَّ الاستقامةَ على الطَّاعةِ والاستمرارِ على التَّقَيُّدِ بامتثالِ الأوامر واجتنابِ النَّواهي والزَّواجر هي صفةُ عبادِ اللَّه المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ

﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، ولقد أمر اللَّهُ نبيَّه ﷺ والمؤمنين بالاستقامة، وحثَّهم على ملازمتها؛ فقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، والاستقامة مفتاحٌ للخيرات، وسببٌ لحصولِ البركات واستقامة الأحوال؛ قال ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾، روى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد اللَّه الثَّقفيِّ رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قولاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحداً بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»؛ فاستقيموا على طاعة مولاكم في كلِّ وقتٍ وحين، فإنَّ عملَ المؤمن ليس له أجلٌ دون الموت؛ كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، ولا تكونوا من الذين يُقبلون على الطَّاعات في زمنٍ ويُعرِضُونَ عن ربِّهم في سائر الأوقات.

أيُّها المسلمون:

دَأْبُ الصَّالحين خوفُهم من عدم قَبولِ الأعمال الصَّالحات، يقول الحسنُ البَصريُّ رحمه الله: «أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُهُمْ مِلْءَ الأَرْضِ؛ مَا أَمِنَ لِعِظَمِ الذَّنْبِ فِي نَفْسِهِ»؛ فلا تثقوا بكثرة العمل؛ فإنَّك لا تدري أَيُقْبلُ منك أم لا، ولا تأمنْ ذنوبَك؛ فإنَّك لا تدري أَكُفِّرتْ عنك أم لا، والمُعْجَبُ بِعمله مخذول، وكم من عابدٍ قد أفسدَه العُجْبُ؟!

ومن المهلكات: شحٌّ مطاع، وهوًى متَّبَع، وإعجابُ المرء بنفسه، بالعجب اغترارُ النَّفس وأَمْنٌ مِنْ مكر اللَّه وتقصيرٌ في العمل ونسيانُ الذُّنوب وإهمالُها، يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «الهَلَاكُ فِي اثْنَتَيْنِ: القُنُوطُ، وَالعُجْبُ»، وما أَهْونَ إحباطِ الأعمال! بالمَنِّ والأذى تَبطلُ الصَّدقة،

وبترك صلاة العصر يَبْطلُ العمل؛ لذا كان من دعاء الصَّالحين: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَمَلَ الصَّالِحَ وَحِفْظَهُ»، واللَّهُ ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾، ومن لم يتفقَّد آفات الأعمال كان عملُه إلى البَوار، والأعمال الظَّاهرة إذا لم تكن خالصة عن الشَّوائب؛ لم تكن عند اللَّه نافعة.

فاستعنْ باللَّهِ على نفي الإعجاب باحتقار الأعمال، وتَذَكُّرِ آلاءِ اللَّه عليك، وبالوَجَلِ من زوال النِّعم عند تضييع الشُّكر، يقول سعيدُ بن جُبَيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ بِمَعْصِيَةٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ بِطَاعَةٍ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا سَعِيدُ؟ قَالَ: عَمِلَ رَجُلٌ مَعْصِيَةً فَمَا زَالَ خَائِفاً مِنَ اللَّهِ مِنْ فِعْلِهَا؛ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ، وَعَمِلَ رَجُلٌ طَاعَةً فَمَا زَالَ مُعْجَباً بِهَا حَتَّى أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ»، فاحْفَظْ ما عَمِلْتَه من صالحاتٍ في الشَّهر المُبارَكِ بالإخلاص والإقرار بالتَّقصير وطلب المغفرة والرِّضوان.

أيُّها المسلمون:

الخطايا مُطَوَّقة في أعناق الرِّجال، والهلاكُ في الإصرار عليها، وما أعرض مُعرِضٌ عن طاعته إلَّا عَثِرَ في ثوب غفلته، ومَنْ أصلح ما بينه وبين اللَّه؛ أصلحَ اللَّهُ ما بينه وبين الخلق، رُوي عن أبي جعفر السَّائح أنَّه قال: «كَانَ حَبِيبٌ - أَبُو مُحَمَّدٍ - تَاجِراً يَكْرِي الدَّرَاهِمَ، فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ جَاءَ آكِلُ

الرِّبَا، فَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَقَالَ: يَا رَبِّ! أَفْشَيْتَ سِرِّي إِلَى الصِّبْيَانِ، فَرَجَعَ فَجَمَعَ مَالَهُ كُلَّهُ وَقَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَسِيرٌ وَإِنِّي قَدِ اشْتَرَيْتُ نَفْسِي مِنْكَ بِهَذَا المَالَ فَأَعْتِقْنِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ تَصَدَّقَ بِالمَالِ كُلِّهِ وَأَخَذَ فِي العِبَادَةِ».

فإيَّاك والمعاصي بعد شهر الغفران، فالعاصي في شقاء، والخطيئة تُذِلُّ الإنسان، وتُخْرِس اللِّسان، يقول أبو سليمان التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ؛ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ»، وأَقْبِح بالذَّنب بعد الطَّاعة، والبُعْدِ عن المولى بعد القرب منه!

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مضت تلك اللَّيالي الغرَّة بفضائلها ونفحات ربِّها، فهنيئاً للذين أطاعوا ربَّهم، وعظَّموا شهرهم، وأخلَصوا العمل لخالقهم، ومَنْ فاتته التَّوبة في شهر الغفران فَلْيَتَداركْها قبل فوات الأوان.

وربُّنا تعالى يَتَوَدَّدُ إلى خلقِه بالنِّعم، ويناديهم في الظُّلَم؛ فكنْ مُتعلِّقاً بخالقك في كلِّ لحظةٍ من حياتك، وفي كلِّ حركةٍ وسكونٍ من شأنك، والذي فضَّل رمضان هو الإله المعبود في كلِّ زمان، واجعَلُوا الاستقامة شِعَاركم، وصالحَ الأعمالِ غَايَتكم، وتمسَّكوا بأخلاق القرآن، واتَّصِفُوا بصفاتِ خير الأنام؛ يَحْصُلْ لكم الفلاح، وتَتِمّ لكم السَّعادةُ في الدَّارين؛ قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

المُدَاوَمَةُ عَلَى الأَعْمَالِ بَعْدَ رَمَضَانَ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

اقتضت حكمةُ اللَّه وكمالُ علمِه ولطيفُ خبرتِه أنْ نَوَّعَ العبادات، وجَعَلَها وظائفَ على القلب واللِّسان والجوارح، ومنها الظَّاهرُ والباطن، يجمعها كلَّها معنى واحدٌ به تتحقَّق العبوديَّة؛ هو: اجتماع غايةِ الحُبِّ مع غاية الذُّلِّ للَّه وحدَه.

وعدَّد سبحانه تبعاً لذلك مواسمَ العبادة، وكرَّر أوقاتَها ومناسباتِها فضلاً منه ورحمةً، فلَئِنْ مضى موسمٌ فيتلوه مواسم، ولَئِنْ رُفِع مَنارُ عبادةٍ وأدركه من شاء اللَّه من العباد؛ فعمَّا قريب يُرفَع لهم غيرُه، ولَئِنْ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني من شهر شوَّال، سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

خُتِم على باب أجرٍ بمَنْ سُبِقَ إليه؛ فيُوشِكُ أن تُفتَحَ بعده أبواب، وما مِنْ عبدٍ إلَّا ويجدُ من أبواب العبادة وأنواعِها ما يناسبه، والشَّأن في صلاح النِّيَّة وصدق العزيمة، وعلوِّ الهِمَّة، قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

وقد رحل عنَّا شهر رمضان الذي جعله اللَّه من أعظم مواسم الطَّاعة، ومن أكبر أسواق الخير، مَنْ أحسن فيه ووُفِّق للطاعة فَلْيَعلم أنه ليس رمضانُ وحدَه موسمَ العمل، ومَنْ أساء أو قصَّر فَلْيُبادرْ بتوبة تكمِّلُ ما نقص من إيمانه، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وحُسْنُ العهد من الإيمان، والتَّوفيق للطَّاعة نعمة يجب شكرها بالاستمرار عليها، وقَبولُ الطَّاعة له دلائل وعلامات، فمَنْ أقبل على الطَّاعة بعد رمضان، وصدرُه منشرِحٌ للعبادة والاستزادةِ منها والتَّنقُّل بين مدارجها؛ فتلك أَمارة خَيرٍ أراده اللَّه به، وشاهد صلاحٍ يُدَبِّره اللَّه له؛ فإنَّ من ثواب الحسنةِ: الحسنةَ بعدها، والثَّباتُ على الطَّاعة نعمةٌ أكبر من ابتداء الطَّاعة، ومَنْ أعرض أو قصَّر فما أحوجه إلى الاستغفار وسؤال اللَّه القَبول، فلم يزل شأنُ الصَّالحين الاهتمامَ لِقَبول العملِ أكثرَ من العمل، وإنَّ من علامة ردِّ العمل وعدم القبول: إتْباعَ الطَّاعة بالمعصية، وما أحسنَ الحسنة بعد السَّيِّئةِ؛ تمحوها! وما أقبحَ السَّيِّئة بعد الحسنةِ؛ تمحقُها وتعفوها!

وأَرُوا اللَّهَ مِنْ أنفسِكم خيراً بعد كلِّ موسمٍ من مواسم العبادة:

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾، وإيَّاكم والانقطاع والمَلال والإعراضَ! فإنَّ اللَّه لا يَمَلُّ حتى تملُّوا، وخيرُ العمل وأحبُّه إلى اللَّه: ما داوم عليه العبد ولو كان قليلاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعالَى: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه).

ومَنْ ذاق حلاوة العبادة في رمضان، وامتلأ صدرُه بالخشوع والذُّلِّ للَّه؛ حريٌّ به أن يَستعيذَ باللَّه من الرُّجوعِ عن الاستقامة إلى غيرها، ومن النُّقصانِ بعد الزِّيادة، ومن الغفلةِ بعد الانتباه، ويَجمعُها قول النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ» (رواه مسلم).

وإيَّاك أن يراكَ اللَّه حيثُ نهاك بعد إذ رآك حيثُ أمرك! وإيَّاك أن يجدَك ربُّك معرِضاً عنه بعد أن تفضَّل عليك ووفَّقك للإقبال عليه! واحذر أن تُوَلِّيَه دبُرَك وقد بَسطَ لك يديه يَنتظرُ دعاءك ومسألتَك، ويفرحُ بتوبتك وإنابتك؛ فرَبُّ رمضانَ هو ربُّ الشُّهورِ والأعوام كلِّها، ومواسمُ الخيرِ لا تنقطعُ عن الصَّادقين، وأبوابُ العبادة مُشْرَعَة للقاصدين، قال النَّبيُّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» (رواه مسلم).

وإذا اجتمعت عباداتُ للمسلم - ولو في غير رمضان -؛ نالَ الجنَّةَ، قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِماً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جِنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا،

قَالَ: **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِيناً؟** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضاً؟** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه مسلم).

والموفَّقُ مَنِ اغتنم الفرصةَ قبل أن يُحالَ بينه وبينها، فَجَعَلَ العامَ كلَّه رمضانَ، يُسارِعُ فيه إلى الخير ويُسابِقُ إلى الطَّاعة، فإنَّ الإقبال على اللَّه ليس له زمان ولا موسم، وما تمضي من عُمُر المؤمن سَاعةٌ من السَّاعات إلَّا وللَّه فيها عليه وظيفة من وظائف الطَّاعات؛ فالمؤمنُ يتقلَّبُ بين هذه الوظائف ويتقرَّبُ بها إلى مولاه وهو راجٍ خائف.

ومَنْ قعدت به هِمَّتُه عن الاستكثار من أعمال الجوارح، أو قَصُرت ذاتُ يدِه عن الإنفاق في وجوه الخير؛ فلا يُغْلَبَنَّ عن إصلاح قلبه والعناية بسريرته، بتحقيق التَّوكُّل على اللَّه، ودوام الرَّغبةِ إليه، والخوف منه، ودوام التَّعلُّق به، وسلامة صدره للمسلمين، وأن يُدركَ ما عَجز عنه بكثرة ذكر اللَّه، وملازمة الاستغفار والدُّعاء، والنُّصحِ للمسلمين عامَّتِهم وخاصَّتِهم.

والأزمنةُ والأمكنةُ الفاضلةُ لا تُقَدِّسُ أحداً ما لم يعملْ صالحاً ويَستقمْ ظاهراً وباطناً، وكثرةُ أعمال الجوارح لا تنفع إلَّا من قلبٍ سليم ونفسٍ مُخْبِتَة، والعاقلُ من يَعتني بصلاحِ قلبه على الدَّوام، ويَتفقَّدُ سريرتَه وباطنَه في جميع الأزمان، والنِّيَّةُ الصَّالحةُ يُؤْجَرُ معها العبدُ حتى على أكله وشربِه ونومِه، وتُصبح الطَّاعةُ الواحدة في حقِّه طاعاتٍ كثيرة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**» (متفق عليه).

وعملُ المؤمنِ لا ينقضي حتى يَأتيَهُ أجَلُه؛ فإنَّ اللَّه لم يجعلْ لعملِ المؤمن أجلاً دون الموت، قال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾، فالشُّهور والأعوام، واللَّيالي والأيَّام مقاديرُ الآجال، ومواقيتُ الأعمال، ثمَّ تنقضي سريعاً، والذي أوجدها وخصَّها بالفضائل حيٌّ قَيُّومٌ، ولأعمالِ عبادِه شاهدٌ رقيب، وكلُّ وقتٍ يُخْليه العبدُ من طاعة مولاه فقد خَسِرَه، وكلُّ ساعةٍ يَغْفَلُ فيها عن ذكر اللَّه تكونُ عليه يوم القيامة ندامةً وحسرة.

ومَنْ كان مُقَصِّراً أو مفرِّطاً فلا شيء يحولُ بينه وبين التَّوبة ما لم يُعاينِ الموت، قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**» (رواه أحمد).

ومِنْ رحمةِ اللَّه بعباده وحكمته في شرعه وأمره: أنَّه لم يَطلبْ من خلقِه الانقطاعَ إلى عبادته في كلِّ وقت، ولم يُوجبْ عليهمُ الرَّهبانيَّةَ التي تُناقضُ موجَبَ الفطرة، وتَكْبَحُ رغباتِ النَّفس وشهواتِها من كلِّ وجه، بل جعل لكلِّ شيءٍ قَدَراً، وضرب لكلِّ شيءٍ أجلاً، وجعل الأعياد أيَّام فَرَحٍ وسرور وأَكْلٍ وشرب من غير غفلةٍ ولا معصية.

ومن وَسَطِيَّة الإسلام: مُوَازَنتُه بين مطالبِ الرُّوحِ والجسد، ومراعاةُ حقوقِ النَّفس مع أداء الواجبات وترك السَّيِّئات، قال ﷺ: «**إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ** - أَيْ: ضَيْفِكَ - **عَلَيْكَ حَقّاً**» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فأَعمارُ هذه الأمَّةِ قصيرةٌ، واللَّهُ عوَّضَها بأعمالٍ يسيرةٍ في أزمنةٍ فاضلةٍ أجورُها كبيرة، والمسلمُ يَبذلُ جُهدَه وعملَه في كل حين لعمل الطَّاعات، ويزيدُ ذلك في مواسم الخيرات، والمُوفَّقُ مَنْ يَتزوَّدُ دَوْماً من الصَّالحات موقناً بأنَّه سيموتُ في يومه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريكَ له تعظيماً لِشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من توفيقِ اللَّه للعبدِ أنْ يداومَ على الصِّيام والقيام بعد رمضان؛ فيصومُ ستّاً من شوَّال، لقول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ؛ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (رواه مسلم)، ويصومُ ثلاثة أيَّامٍ من كلِّ شهر، أو الاثنين والخميس، وعرفةَ لغير الحاجِّ، وعاشوراء، وغيرَها من أوقات الصِّيام المُطلَق والمُقيَّد، ويقومُ من اللَّيل ما تيسَّرَ له، مع المداومةِ على نوافل الصَّلاة، والإكثارِ من تلاوة كتاب اللَّه وذكره سبحانه، وغيرِها من العبادات، مع الإحسان إلى الخلق.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فِهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ الْجُزْءِ الثَّانِي

الباب الثَّالِث: الإيمانُ بالرُّسل، وفيه فصلان: ٥
الفصل الأوَّل: الأَنْبِيَاءُ ٦
الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ ٧
الفصل الثَّاني: نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ١٤
دَلائِلُ النُّبُوَّةِ ١٥
اعْرِفْ نَبِيَّكَ ﷺ ٢٦
نُصْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ ٣٦
السَّعَادَةُ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ ٤٥
أَخْلَاقُ النَّبِيِّ ﷺ ٥٢
هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ وَالشَّبَابِ ٦٣
حُقُوقُ النَّبِيِّ ﷺ ٧٤
الاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ٨٣
الباب الرَّابع: الإيمانُ باليومِ الآخِرِ، وفيه فصلان: ٩٣
الفصل الأوَّل: أَشْرَاطُ السَّاعَةِ ٩٤
أَشْرَاطُ السَّاعَةِ ٩٥
المَسِيحُ الدَّجَّالُ ١٠٧

الفصل الثَّاني: يَومُ القِيَامَةِ ١١٦
اليَوْمُ الآخِرُ: يَوْمُ الدِّينِ ١١٧
أَهْوَالُ القِيَامَةِ ١٢٤
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه ١٣٢
أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّة ١٣٩
الباب الخَامِس: الإيمانُ بالقَضَاء والقَدَر، وفيه فصلان: ١٤٧
الفصل الأوَّل: التَّوَكُّل ١٤٨
التَّوَكُّلُ ١٤٩
حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ١٦٠
الفصل الثَّاني: الصَّبْرُ ١٧٢
الخِيرَةُ فِيمَا قَضَاهُ اللَّهُ ١٧٣
الصَّبْرُ عَلَى المَصَائِبِ ١٨١
مُعَانَاةُ مَرِيضٍ ١٩٠
الثَّبَاتُ عِنْدَ المُصِيبَةِ ١٩٩
أَعْمَالٌ تُزِيلُ الهُمُومَ ٢٠٦
أَعْمَالٌ تُفَرِّجُ الكُرُوبَ ٢١٣
وَدَاعاً لِلْهُمُومِ ٢٢١

الباب السَّادس: الصَّلاة، وفيه فصلان: ٢٢٩
الفصل الأوَّل: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ٢٣٠
شَأْنُ الصَّلاةِ فِي الإِسْلامِ ٢٣١
مَنْزِلَةُ الصَّلاةِ فِي الدِّين ٢٤٠
وُجُوبُ صَلاةِ الجَمَاعَةِ ٢٤٩
فَضْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ ٢٥٦
خَصَائِصُ المَسَاجِدِ ٢٦٥
الفصل الثَّاني: النَّوَافِلُ ٢٧٦
فَضَائِلُ قِيَامِ اللَّيْلِ ٢٧٧
الباب السَّابع: الزَّكاة، وفيه فصلان: ٢٨٧
الفصل الأوَّل: الزَّكَاةُ ٢٨٨
الزَّكَاةُ ٢٨٩
الفصل الثَّاني: الصَّدَقَةُ ٢٩٥
فَضْلُ الصَّدَقَةِ ٢٩٦
فَضْلُ النَّفَقَةِ ٣٠٢
الباب الثَّامن: صيامُ رَمَضَان، وفيه أربعة فصول: ٣٠٩
الفصل الأوَّل: اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ ٣١٠
الاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ ٣١١
لاحَ هِلالُ رَمَضَانَ ٣١٧

قُدُومُ رَمَضَانَ ٣٢٥
إِشْرَاقَةُ رَمَضَانَ ٣٣٢
إِطْلالَةُ رَمَضَانَ ٣٣٨
رَمَضَانُ هَلَّ ٣٤٣
أَتَاكُمْ رَمَضَانُ ٣٥٠
أَشْرَفُ الشُّهُورِ ٣٥٧
أَيَّامٌ ثَمِينَةٌ ٣٦٣
نَفَحَاتُ رَمَضَانَ ٣٧٠
لَيَالٍ مُبَارَكَةٌ ٣٧٥
الفصل الثَّاني: الأَعْمَالُ فِي رَمَضَانَ ٣٨١
بَشَائِرُ رَمَضَانَ ٣٨٢
رَمَضَانُ مَغْنَمٌ لِلْخَيْرَاتِ ٣٨٩
مَنَافِعُ رَمَضَانَ ٣٩٥
كُنُوزُ رَمَضَانَ ٤٠١
مَقَاصِدُ الصَّوْمِ ٤٠٧
الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ فِي رَمَضَانَ ٤١٧
عِبَادَاتٌ فِي رَمَضَانَ ٤٢٧
كَثْرَةُ التَّعَبُّدِ فِي رَمَضَانَ ٤٣٣

الفصل الثَّالث: العَشْرُ الأَوَاخِرُ ٤٤٠
فَضَائِلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ ٤٤١
اغْتِنَامُ العَشْرِ الأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ ٤٤٨
لَيْلَةُ القَدْرِ ٤٥٦
تَدَارُكُ العَشْرِ الأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ ٤٦٢
الفصل الرَّابع: وَدَاعُ رَمَضَانَ ٤٦٨
نِهَايَةُ رَمَضَانَ ٤٦٩
خِتَامُ رَمَضَانَ ٤٧٦
رَحِيلُ رَمَضَانَ ٤٨٣
انْقِضَاءُ رَمَضَانَ ٤٨٨
مَا بَعْدَ رَمَضَانَ ٤٩٢
المُدَاوَمَةُ عَلَى الأَعْمَالِ بَعْدَ رَمَضَانَ ٤٩٨
فِهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ الجُزْءِ الثَّانِي ٥٠٥

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع
+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٧٧٠-٩